شِعْرُ الرَّافِعِيّ

شِعْرٌ مَجْمُوْعٌ

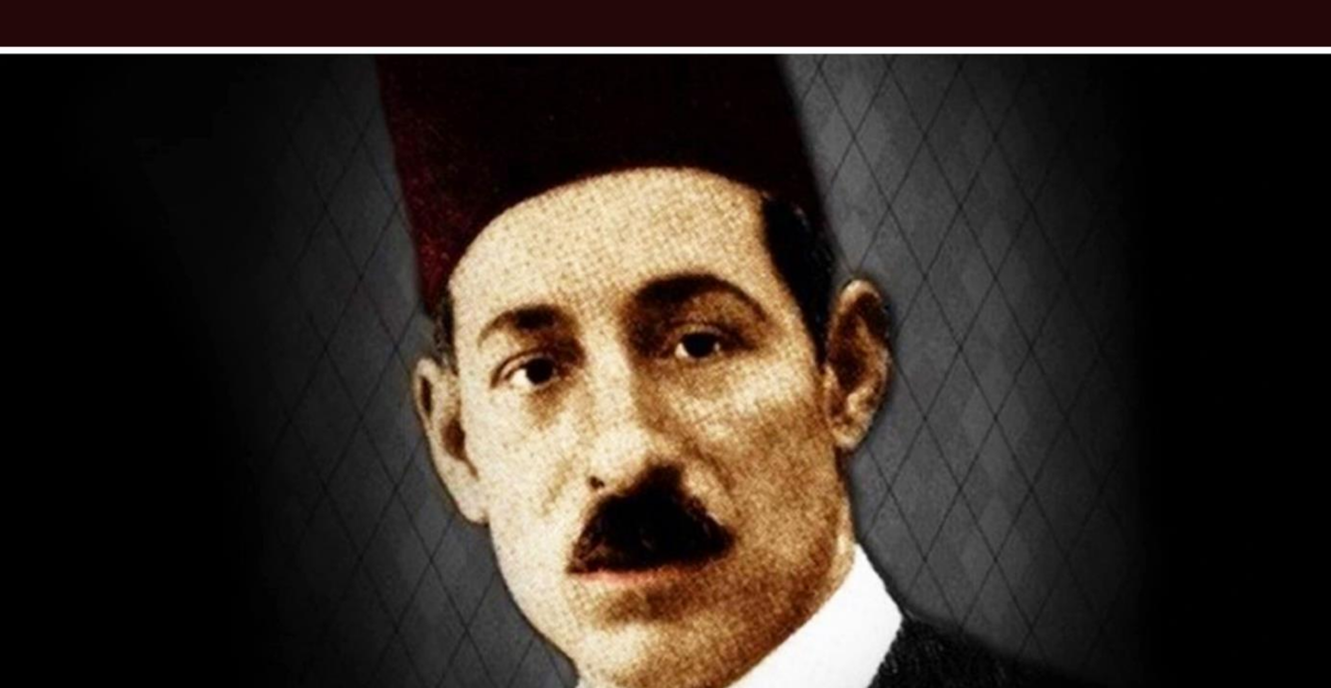
وَقَصَائِدُ تُنْشَرُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِيْ كِتَابٍ

جَمَعَهُ الفَقِيْرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ:

أَبُو عَبْدِ اللهِ الرِّتْيَانِيُّ

مُحَمَّدُ بْنُ جَمِيْلِ بنِ أَحْمَدَ النَّعْسَانِ

-غَفَرَ اللهُ لَهُ-



شِعْرُ الرَّافِعِيِّ

شِعْرٌ مَجْمُوْعٌ

وَقَصَائِدُ تُنْشَرُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِيْ كِتَابٍ

جَمَعَهُ الفَقِيْرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ:

أَبُو عَبْدِ اللهِ الرِّتْيَانِيُّ

مُحَمَّدُ بْنُ جَمِيْلِ بنِ أَحْمَدَ النَّعْسَانِ

-غَفَرَ اللهُ لَهُ-

بسم الله
الرحمن الرحيم

الفهرست

الفهرست 5
مقدمة المجموع 9
القسم الأول: مقدمات الدواوين 25
مقدمة الجزء الأول من ديوان الرافعي 27
مقدمة الجزء الثاني من ديوان الرافعي 37
مقدمة الجزء الثالث من ديوان الرافعي 51
مقدمة الجزء الأول من ديوان النظرات 63
القسم الثاني: القصائد 71
قصيدة: ذم الهوى 73
قصيدة: والدتي 75
قصيدة: أحلام بحمدون 78
قصيدة: جوهرة الهوى 82
قصيدة: السيف العثماني 86
قصيدة: إلى بحمدون؛ عبرات البين 91
قصيدة: الشرق المريض 93

قصيدة: دموع الهرم لدموع الصبا؛ من الشيخ البائس لحفيدته 97
قصيدة: على الكوكب الهاوي 102
قصيدة: غليوم 107
قصيدة: ويلسون 113
قصيدة: التبرج 117
قصيدة: التخنث 121
قصيدة: أبي 125
قصيدة: مصر والشام 130
قصيدة: حديث الهوى 133
قصيدة: حيلة مرآتها 135
قصيدة: أيام لبنان 138
قصيدة: وادي الهوى 141
قصيدة: صب كأسا 143
قصيدة: الحب 144
قصيدة: أنا ونفسي 146
قصيدة: كما يُرى مفرغاً في جسمه السبع 151
قصيدة: لسان الصحراء؛ في رحلة جلالة الملك 154

قصيدة: ما نفع رقة روحي؟ 157

قصيدة: قال القمر... 159

قصيدة: مني السلام 161

قصيدة: كتاب رضا 162

قصيدة: متى يا حبيب القلب 163

قصيدة: في الأحلام 165

قصيدة: يا قلبي! 167

قصيدة: يوم النوى 169

قصيدة: إلى الحزين 171

قصيدة: وصف موقف 172

قصيدة: الهموم 173

قصيدة: قلبي.. يا قلبي 176

القسم الثالث: القطع والنتف 179

القسم الرابع: الأراجيز 195

النشيد الوطني 197

مطلع الشمس 201

في طه حسين 206

القسم الخامس: الأناشيد 209
نشيد الراية العثمانية الدستورية 211
النشيد الوطني 214
نشيد زهر الجنة 219
نشيد سعد باشا زغلول 220
نشيد الربيع 223
نشيد ندى الورد 225
نشيد كن دائما لمصرك 227
نشيد الشباب المحمدي 229
نشيد المدرسة 234
نشيد بنت النيل 236
نشيد الأسد الأفغاني 238
النشيد القومي العربي 240
القسم السادس: الموشحات والأزجال 243
موشحة: زفرات 245
زجل في تسلية فقير 247

مقدمة المجموع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فليس من عادتي أن أكتب تقديما لشيء أزعم أني جمعته وألفته، شارحا فيه نهجي في ترتيبه و تأليف أجزائه، بل أترك ذلك للقارئ، محترما عقله ومستثيرا فطنته. وسبب ذلك – عند نفسي– أمران:

الأول: العجز؛ فإني لا أحسن هذا الفن، فن كتابة المقدمات، وكثيرا ما أستعين بغيري لإنجاز هذا الأمر الشاق.

والثاني: التقليد؛ وأقصد بذلك تقليد علمائنا السالفين، أو فريق كبير منهم؛ فإن الرجل منهم كان إذا كتب في علم ما، فإنه يبدأ كتابه مباشرة دون أن يقدم له بمقدمة يشرح فيها نهجه وسبيله في ذلك التأليف؛ والأمثلة أكثر وأشهر من أن تذكر.

وسبب ذلك –فيما فهمت– أن أهل العلم كانوا يخاطبون مجتمعا العامي فيه أعلم من أعلام عصرنا، ثم إن خطابهم كان موجها إلى أهل العلم والاختصاص أمثالهم، فكانوا يوجزون العبارة ويكتفون بالإشارة، وليس بهم حاجة إلى تطويل الكلام وبسطه وتكلف شيء هم في غنى عنه، فالمخاطبون بكلامهم يدركون مقاصده بيسيره.

ثم إن العلم عندهم كان عزيزا كريما، وعلى طالبه أن يشعر بعزته، وأن تعظم في صدره قيمته، وأن يدرك أن هذا العلم كنز ثمين يحتاج إلى استنباط واجتهاد لتحصيله والانتفاع به. فكانوا يكتبون بأسلوب يجمعون فيه بين تقليد العلم مستحقه ومنعه عمن يشينه من الجهال والرعاع.

وقد ارتضيت هذه الطريقة في التأليف والكتابة -أزعم أني من أهلهما- في زمن انتشر فيه القلم وفشا فيه الجهل، ولعل هذا الولوع عندي اضطراري قبل أن يكون اختياريا، ويكون عجزي عن هذا الفن، فن كتابة المقدمات، أكبر الأسباب التي دفعتني إلى تفسير صنيع أهل العلم السالفين وتعلقي بهذا التفسير للهروب من عرف علمي سائد في هذا العصر.

على أني سأخالف هنا كل ما سبق، وأحاول أن أكتب شيئا يصح أن يسمى (مقدمة) أو مدخلا لهذا الكتاب؛ إذ إن المقصد الأول لهذا العمل أوجب علي فعل هذا، ولو تركت كما (أشتهي) لما رأيت -أيها القارئ- هذه الكلمات.

ومحاولة مني للفرار، فإني لجأت إلى البحث عن مقدمة تناسب هذا العمل، أستلهم منها وأمشي على نورها؛ فوجدت ضالتي عند محمد سعيد العريان رحمه الله، وذلك في تقديمه للجزء الرابع الأخير من ديوان الشوقيات. فلا تظنن -أيها القارئ الكريم- إن رأيت كلمات متطابقة أن ذلك من توارد الخواطر، فلستُ هناك، وإنما هي سرقة مقنعة مموهة.

والآن إليك البيان:

هذا المجموع الشعري، أو الديوان المصنوع، أو ملحق الديوان، أو الجزء -سمه ما تشاء- هو جزء يصح أن يسمى "ديوان النظرات: الجزء الثاني"؛ فقد أصدر الرافعي رحمه الله ديوانه الأولى بأجزائه الثلاثة، ثم أصدر ديوانا جديدا سنة 1908م سماه: ديوان النظرات، أخرج الجزء الأول منه، وكان -رحمه الله- بصدد إخراج الجزء الثاني، ولكنه توفي ولم ير الديوان النور. وقد قال الرافعي في رسالة له إلى محمود أبو ريه بتاريخ (13 شباط 1919)[1]: إني منذ أشهر أنشر في جريدة [الحال][2] قطعة شعرية كل أسبوع، وسأضع الديوان إن شاء الله هناك... وأكثر مسودات هذا الجزء ملقى لدي منذ سبع سنوات وأكثر وأقل، فقد ضقت بها وضقت بترك الشعر كل هذه المدة، وهو في لذة نفسي أعظم من الكتابة وإن كان متعبا شاقا.

ولكن هيهات مني تلك المسودات، فذهبت أجمعها قصاصات من صحف ومجلات، وبقية من مطبوعات؛ لأنظر في ترتيبها وتبويبها وإخراجها ديوانا.

ومن التجوز أن نسمي هذا العمل ديوانا، فما هو إلا بقية أو شيء من البقية التي لم تنشر في الديوان الأول وفي الجزء الأول من ديوان النظرات؛ فليس يجمعها باب، ولا تضمها وحدة، ولا تميزها خصيصة من خصائص شعر الرافعي، إلا ما قل وندر، وإن منها لآخر ما قال وأوائل ما نظم، ومنها القصيدة ومنها البيت اليتيم، ومنها الأرجوزة ومنها الموشحة... إلخ؛ ولعل في هذا ما يكون من خصائص شعره، فيجد الباحث في هذه البقية مادة تعينه

---

(1) من رسائل الرافعي (ص 70 – 71).

(2) زيادة مني.

على الموازنة بين ما كان هذا الشاعر في أولاه وما صار في آخرته، وبين تقليده واتباعه وتجديده وابتداعه، وبين أسلوبه وأسلوبه أقرانه... وإنها بذلك لحقيقة أن تعين الباحث على باب من القول لعل أسبابه لا تتهيأ له من غير أن ينظر في هذه البقية من شعره.

على أن هذا الجزء ليس هو كل ما بقي من شعر الرافعي بعد دواوينه المنشورة وغير المنشورة، ولكنه كل ما تهيأ لجامعه العاجز أن يجمعه من بطون الكتب والمجلات، والعبد الفقير يدرك يقينا أن شيئا كثيرا قد فاتني؛ وإلا فأين مدائحه وتوسلاته الشعرية بالسيد البدوي[1]؟ وأين أصول الجزء الثاني من ديوان النظرات[2]؟ وأين قصيدة أطفال الشوارع[3]؟ وأين قصائده التي كان ينشرها في جريدة الحال[4]؟ وأين قصيدته عن بعث الحب[5]؟ وأين قصائده في مدح الملك فؤاد[6]؟ وأين أناشيده، أغاني الشعب، التي كان ينشرها في الصحف المصرية وخاصة صحيفة الأهرام[7]؟ وأين وأين... إلخ.

وهذا النقص قد يكون عن غفلة مني، أو لعدم استقرائي مظان هذا الشعر كما ينبغي؛ معتذرا لنفسي: أنا في أرض جهادية مفصولة عن العالم الخارجي، إلا من خلال (الإنترنت)،

---

(1) انظر حياة الرافعي (ص 25 الحاشية).
(2) انظر من رسائل الرافعي (ص 70 - 71).
(3) انظر من رسائل الرافعي (ص 77).
(4) انظر من رسائل الرافعي (ص 70 - 71).
(5) انظر حياة الرافعي (ص 113).
(6) انظر حياة الرافعي (ص 169 - 170).
(7) انظر حياة الرافعي (ص 84)؛ ومن رسائل الرافعي (ص 282 الحاشية).

الذي لا يعتمد عليه وحده إلا الجهلة، ويستحيل علي أن أصل إلى مسقط رأس الرجل أو بلده لأفتش في المكتبات العامة والخاصة عن تلك المجلات البائدة أو نادرة الوجود التي كان ينشر فيها شعره... إلخ. ومهما يكن من شيء، فهذه حقيقة ينبغي أن أذكرها، لعل سائلا يسأل من بعد أو لعل مدعيا أن يدعي.

وقد رتبت هذا المجموع في ستة أقسام:

القسم الأول: مقدمات الدواوين السابقة؛ ما عدا مقدمة ديوان (نسيم السحر)، فقد نشرها الأستاذ وليد كساب –حفظه الله– في المقالات التي جمعها للرافعي، ولأنه أخبرني أن هناك رجلا جزائريا يعمل على تحقيق الديوان لنشره، ولا أدري أنشر أم لا. وديوان نسيم السحر نشره الرافعي قبل نشر ديوانه المعروف.

وليعلم القارئ الكريم[1] أني كنت قد وضعت هذه المقدمات الأربعة في صدر كتابي الآخر "المشوق إلى مقالات الرافعي ورسائله"، ثم إنني لما بدأت العمل في هذا المجموع بدا لي فيها، فوضعتها هنا وجعلتها القسم الأول الذي يبدأ به الجزء كونها مقدمة له تريحيني من كتابة تقديم... ولكن فسخ العزائم من الدلائل على معرفة الله.

وتعلم أن الرافعي رحمه الله كان يهم أن يلحق تلك المقدمات بكتابه "وحي القلم"، بعد أن أشار عليه بذلك محمود أبو ريه، ولكنه توفي والجزء الثالث من وحي القلم في مسوداته، وهو الجزء الأليق بوضع المقدمات فيه، ولكن طبعه محمد سعيد العريان بدونها.

---

(1) نعم، هذا من باب الإعلان عن الكتاب الآخر، وإلا فإن هذه الكلمة لا موضع لها هنا!!!

ومما يدل على رغبة الرافعي تلك قوله في رسالة له إلى أبي ريه بتاريخ (21 تشرين الثاني 1931م)[1]: قد كنت في حيرة من أمر هذه المقدمات إذ أعيد طبع الديوان، لأنه لا بد من حذفها، ونشرها الآن في المجموعة [يقصد مجموعة مقالاته التي سميت أخيرا: وحي القلم] يحفظها. ولا أعرف ما هي هذه المقدمات، لأني لم أعد قراءتها، فإن رأيتُها جيدة نشرتها، وإلا اخترت منها ما يكون جيدا فيها. ومن عجيب أمر هذه المقدمات أن المقدمة الأولى حين نشرت في (المؤيد) كان لها تأثير كبير، فغطت على مقدمة حافظ، وذهل لها المنفلوطي، كما أخبرني الذي رآه وهو يقرؤها. والمقدمة الثانية دهش لها اليازجي وقرأها أمامي، ومقدمة النظرات قرأها الدكتور شبلي شميل الشهير وقال: لا بد أن تكون هذه المقالة مترجمة. ثم صح عزمه –رحمه الله– على ضمها إلى وحي القلم، فقال في رسالة أخرى بتاريخ (21 حزيران 1932م)[2]: سأضم إليها [مجموعة المقالات] مقدمات الدواوين، فقد استشرت في ذلك صاحبنا جورجي إبراهيم فقال لي: إن مقدمة الجزء الأول فتنت الشيخ اليازجي، وإنه لما قابله في ذلك العهد قال له اليازجي: كم عمر هذا الشيخ ناظم الديوان؟، فإني قضيت الثلاثة الأسابيع الأخيرة أبحث فيما عندي من المظان عن المقدمة لعلي أعثر بها مسروقة من بعض الكتب، إذ يستحيل على شيخ في هذه الأيام أن يكتب مثل هذه المقدمة. هذه كلمات اليازجي كما يقول جورجي، وناهيك باليازجي في زمنه وانفراده بالنقد والبلاغة. فإن كان ذلك كذلك كان من الخطأ ترك هذه المقدمات... إلخ.

---

(1) من رسائل الرافعي (ص 245 – 246).

(2) من رسائل الرافعي (ص 262).

القسم الثاني: القصائد؛ والقصيدة هي ما كانت مؤلفة من سبعة أبيات أو تزيد. وإن من هذه القصائد آخر ما أنشئ وإن منها القديم الذي تطاولت عليه السنون وتراكمت الحوادث حتى ليوشك أن ينساه التاريخ، وإن منها ما هو منشور في كتبه النثرية وإن منها ما هو منشور في المجلات والصحف الثقافية والأدبية، وإن منها ما هو مشهور معروف وإن منها ما هو مغمور مجهول.

بلغ عدد القصائد في هذا القسم **36 قصيدةً**، تشتمل على **1145 بيتٍ**، 351 بيتٍ في 16 قصيدة منها نشرت من قبل في كتب متداولة بين الناس، **و794 بيتٍ في 20 قصيدة لم تنشر من قبل في كتاب**.

وقد توزعت هذه القصائد على **11 بحرا** من بحور الخليل، وهي: **البسيط** تامه ومجزوؤه (412 بيت في 13 قصيدة، منها 322 بيت لم تنشر من قبل)، **والطويل** (343 بيت في 7 قصائد، منها 215 بيت لم تنشر من قبل)، **والكامل** تامه ومجزوؤه (133 بيت في 5 قصائد، منها 55 بيتا لم تنشر من قبل)، **والوافر** (115 بيت في 3 قصائد، كلها لم تنشر من قبل)، **والخفيف** (59 بيتا في قصيدتين، منها 52 بيتا لم تنشر من قبل)، **والمديد** (14 بيتا في قصيدة منشورة)، **والسريع** (9 أبيات في قصيدة منشورة)، **ومجزوء الرجز** (12 بيتا في قصيدة منشورة)، **والمضارع** (13 بيتا في قصيدة منشورة)، **والمتقارب** (25 بيتا في قصيدة غير منشورة)، **والمجتث** (10 أبيات في قصيدة غير منشورة).

القسم الثالث: القطع والنتف؛ والقطعة هي ما كانت مؤلفة من أربعة أو خمسة أو ستة أبيات، والنتفة هي ما كانت مؤلفة من بيتين أو ثلاثة، أما البيت الواحد فيسمى: اليتيم. وهذه القطع والنتف كالقصائد: مختلفة الزمان والموضع والشهرة.

بلغ عدد المقطعات في هذا القسم **33 قطعة**، تشتمل على **96 بيتا**، 87 بيتا في 29 قطعة منها نشرت من قبل في كتب متداولة بين الناس، **و9 أبيات في 4 قطع لم تنشر من قبل في كتاب**.

وقد توزعت هذه المقطعات على **10 بحور** من بحور الخليل، وهي: **البسيط** تامه ومجزوؤه (24 بيتا في 10 قطع، منها 4 أبيات لم تنشر من قبل)، **والطويل** (20 بيتا في 7 قطع، بيت واحد منها لم ينشر من قبل)، **والكامل** (8 أبيات في 4 قطع، منها 4 أبيات لم تنشر من قبل)، **والوافر** (7 أبيات في 3 قطع منشورة)، **والمتقارب** (8 أبيات في 3 قطع منشورة)، **ومجزوء الرمل** (7 أبيات في قطعة منشورة). **والخفيف** (10 أبيات في قطعتين منشورتين)، **والمديد** (5 أبيات في قطعة منشورة)، **والسريع** (4 أبيات في قطعة منشورة)، **والمجتث** (3 أبيات في نتفة منشورة).

القسم الرابع: الأراجيز؛ وقد أفردتها وميزتها عن القصائد والمقطعات، اتباعا لبعض أهل العلم، ولأن للأراجيز نغمة خاصة بها ونفسا شعريا متميزا.

وبلغ عدد الشطور في هذا القسم **133 شطرا** في **3 أرجوزات**، كلها منشورة.

القسم الخامس: الأناشيد؛ ولغة الرافعي رحمه الله في هذا القسم غير لغته في سائر شعره، وإنه يسمح فيه للشاعر أن يترخص. وأكثر تلك الأناشيد نظمها الرافعي رحمه الله في مناسبات معينة لعموم الناس، وأرادها أن تردد في أفواه الناس كلهم على اختلاف طبقاتهم. وقد أفرد الدكتور مصطفى نعمان البدري هذا الفن عند الرافعي بكتاب جميل اسمه: أغاريد الرافعي.

بلغ عدد الأناشيد في هذا القسم **12 نشيدا**، تشتمل على **157 بيت** ونشيدين اثنين هما على طريقة الموشحات لم أدخلهما في عدد الأبيات، 139 بيت في 11 نشيدا منها نشرت من قبل في كتب متداولة بين الناس، **و18 بيتا في نشيد واحد لم تنشر من قبل في كتاب**.

وقد توزعت هذه الأناشيد على **6 بحور** من بحور الخليل، وهي: الرمل (موشحتين و14 بيتا في 3 أناشيد منشورة)، **والمجتث** (34 بيتا في نشيدين منشورين)، **والمتقارب** (20 بيتا في نشيد واحد منشور)، **والخفيف** (18 بيتا في نشيد واحد غير منشور)، **والرجز** (32 بيتا في نشيد واحد منشور، وقد ذكرت هذا النشيد في القسم الرابع)، **والهزج** (12 بيتا في نشيد واحد منشور).

إضافة إلى **بحر جديد** من وضع الرافعي، اسمه: **البحر المنفجر**، نظم عليه 25 بيتا في نشيدين اثنين، وكلاهما منشور من قبل.

ونظم بيتين لمطلع نشيد على فن **الزجل** أيضا.

وقد أوردت في هذا القسم موشحتين، كان حقهما أن تكونا في القسم الأخير، ولكن راعيت فيهما غاية النظم لا الشكل، فليعلم.

القسم السادس: الموشحات والأزجال؛ وكان من حق هذا القسم أن تنثر مواده بين مواد القسم السابق له، إلا أني أفردته لأسباب يدركها القارئ الفطن.

ويضم هذا القسم **موشحة واحدة** على **البحر الخفيف**، وحمل **زجل واحد** مؤلف من **16 بيتا**.

هذا هو الهيكل العام للمجموع الذي بين يديك، وبقي أن أشير إلى جملة أمور يحسن ذكرها بعدئذ:

أولا: لم أترجم للرافعي رحمه الله، فهو **الآن** أشهر من نار على علم، ثم إن من كتب عنه لم يترك مزيدا لمستزيد، وإلا لو وجدت فرصة لنصصت. ومن أراد أن يعرف من هو الرافعي فليعد إلى كتاب محمد سعيد العريان "حياة الرافعي"، أو إلى كتاب محمد رجب بيومي "فارس القلم تحت راية القرآن". والكتابات عن الرافعي كثيرة جدا، تجد مسردا لها في نهاية كتاب الأستاذ وليد كساب "مقالات الرافعي المجهولة في اللغة والأدب".

ثانيا: لم أكتف في هذا الجزء بجمع ما لم ينشر من شعر الرافعي في كتاب يلمه أو ديوان يضمه، وإنما رجعت كذلك إلى كتبه النثرية فجمعت ما فيها من شعر؛ ثم ذهبت إلى ما جمع له من الشعر في باب معين فأخذته؛ فأصبح هذا المجموع كالبحيرة تنتهي إليها الأنهار.

ثالثا: رتبت هذه المادة الشعرية ترتيبا تاريخيا؛ فأبدأ في كل قسم مما سبق ذكره بأقدم ما أجده من الشعر، وأختمه بآخر ما نظمه الرافعي رحمه الله قبل وفاته. وقد اعتمدت في ذكر التواريخ على تواريخ إصدار الأعداد أعداد الصحف والمجلات التي نقلت منها، وإن كانت المادة مأخوذة من كتاب للرافعي، بنيت على تاريخ الطبعة الأولى للكتاب. وقد أجهل مرات التاريخ الدقيق لنشر المادة، فأضع تاريخا قريبا من ذلك بناء على ما ورد من معلومات في المصادر والمراجع التي عدت إليها.

ومما يجب أن أنبه إليه؛ لئلا أتهم بالتدليس: أن بعض المجلات التي ذكرتها مرفقة بتاريخ النشر لم أقف عليها بنفسي، وإنما أخذت ذلك من كتاب نقل عنها أو ذكر ذلك عنها، كجريدة الحال الأسبوعية مثلا.

رابعا: ضبطت المادة الشعرية كلها بالشكل، وكذلك كل ما قاله الرافعي عنها، أو ما كان من كلام ناشرة المادة الشعرية. وهذا وإن كان مخالفا لآداب العلم، لما فيه من استجهال للقارئ وظن سوء بقدراته، إلا أن لي في ذلك عذرا؛ وهو رأي الرافعي في إحدى رسائله وهو يتحدث عن طبع كتابه "وحي القلم"، قال[1]: وسيطبع من الحروف المشكولة، إذ لا يحسن أسلوبي إلا بها.

خامسا: أغفلت نسبة ما في الحواشي إلى أصحابها، فقد تكون من قول الرافعي، أو للعريان، أو لأبي ريه، أو لغيرهم من الناشرين؛ وتركت للقارئ أن يميز ذلك بنفسه اعتمادا على السياق.

---

(1) من رسائل الرافعي (ص 261).

سادسا: لم أعد في جمع المادة وتبيان المنشور منها من غير المنشور إلا إلى الكتب التي سأذكرها الآن، فكل ما لم أجده فيها فهو عندي غير منشور من قبل.

والمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في جمع هذا الجزء، مرتبة بحسب تاريخ نشرها في المرة الأولى، هي:

1-ديوان الرافعي: الجزء الأول؛ ط1: مطبعة الجامعة، مصر، الإسكندرية، 1322هـ.

2-ديوان الرافعي: الجزء الثاني؛ ط1: مطبعة الجامعة، مصر، الإسكندرية، 1322هـ.

3-ديوان الرافعي: الجزء الثالث؛ ط1: مطبعة الأخبار، مصر، القاهرة، 1324هـ.

4-ديوان النظرات: الجزء الأول؛ ط1: مطبعة الجريدة، مصر، القاهرة، 1908م.

5-حديث القمر؛ ط2: المكتبة الأهلية، مصر، القاهرة، 1922م.

6-المساكين؛ ط2: دار العصور، مصر، القاهرة، 1929م.

7-النشيد المصري الوطني؛ ط1:المكتبة الأهلية، مصر، القاهرة، 1920م.

8-رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب؛ ط1: مطبعة الهلال، مصر، القاهرة، 1924م.

9-السحاب الأحمر؛ ط1: المطبعة السلفية، مصر، القاهرة، 1924م.

10-تحت راية القرآن؛ تحقيق: محمد سعيد العريان، ط5: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، القاهرة، 1963م.

11-على السفود؛ تحقيق: حسن السماحي سويدان، ط1: دار البشائر، سوريا، دمشق، 2000م.

12-أوراق الورد؛ تحقيق: محمد سعيد العريان، ط8: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، القاهرة، 1967م.

13-وحي القلم؛ تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط1: دار ابن حزم، لبنان، بيروت، 2005م.

14-حياة الرافعي؛ تأليف: محمد سعيد العريان، ط3: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، القاهرة، 1955م.

15-من رسائل الرافعي؛ تحقيق: محمود أبو ريه، ط2: دار المعارف، مصر، القاهرة، 1968م.

16-أغاريد الرافعي: دراسة وتدوين؛ تأليف: مصطفى نعمان البدري، ط1: وزارة الثقافة والإعلام، العراق، بغداد، 1979م.

17-كلمة وكليمة؛ تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط1: دار ابن حزم، لبنان، بيروت، 2002م.

18-مقالات الرافعي المجهولة في اللغة والأدب؛ تحقيق: وليد عبد الماجد كساب، ط1: المجلة العربية، السعودية!، الرياض، 1438هـ.

19-موقع: أرشيف الشارخ للمجلات الأدبية والثقافية العربية

https://archive.alsharekh.org

ولن أذكر المجلات التي أخذت منها هنا، بل ستجدها مبثوثة في الكتاب، ومعظمها قد أخذته من موقع أرشيف الشارخ، فاكتفيت بذكره عن ذكرها.

كلمة أخيرة:

بقيت كلمة هي من الواجب الذي لا يسعني إغفاله: صاحب الفضل الذي أثار همتي لهذا العمل هو الأستاذ وليد كساب، بما فتح لي من الأبواب حين قراءة ما جمعه في "مقالات الرافعي المجهولة في اللغة والأدب"، فإنني رأيته أغفل ذكر الشعر المجهول، فخطر لي أن أتمم ما بدأه الأستاذ، وصح عزمي على ذلك لما قرأت رواية "حسام الدين الأندلسي" بتحقيقه، فإنه أشار إلى أن كثيرا من الشعر فيها هو للرافعي، وهو مما لم ينشر في ديوانه= فله مني جزيل الشكر والتقدير.

وقد فاتني أن أنبه إلى أمر مهم، وهو أني لم أدخل في هذا المجموع ما ذكر من الشعر في مسرحية "حسام الدين الأندلسي"، لأنها نشرت قبل نشر ديوان الرافعي -مع أنك تجد في هذا المجموعة قصيدة ونتفة هي كذلك-، ولأنها عمل فني مستقل، وكذلك لأني أظن أن ديوان "نسيم السحر" ضم شيئا منها؛ فلعل محقق الديوان يلحق تلك الأشعار بالديوان، فإن لم يفعل استدركتها في قابل الأيام.

وأشكر هنا كذلك كل من أعانني في نسخ ومقابلة وتصحيح النصوص، معرضا عن ذكر أسمائهم، لغايات ومذاهب... وحاجات في نفس يعقوب.

هذا هو الجزء المجموع من شعر الرافعي كما هو بين يدي قارئه، ولعلي كنت مسؤولا – وقد تحملت هذه التبعة– أن أشرح أو أعلق على بعض ما قد يحتاج إلى التعليق والشرح من أبياته، ولكني آثرت –والكتاب في طبعته الإلكترونية– أن أجعله خالصا لشعر شاعره، وألا أستأثر بالتوجيه في الشرح أو أتطفل بالتعليق والتأريخ؛ وإن شاء الله لهذا المجموع أن يخرج كتابا ورقيا مطبوعا فسيكون لي معه شأن آخر.

وإني لأرجو بهذا أن أكون قد أديت واجبي تجاه أدب الرافعي، الرجل الذي حمل القلم تحت راية القرآن يذود عنها ويدافع دفاع الأسود عن عرينها، الرجل الذي كان يؤلف الكتب والمقالات فيؤلف بها الرجال، فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عنا كل خير.

وأرجو أن أكون قد أديت واجبي على وجه يعذرني عند الناقد من بعض ما يراه في هذا المجموع من هنات وما أبرئ نفسي.

النائي عن بلده، الفقير إلى رحمة ربه

أبو عبد الله، الرتياني الحلبي

أريحا المحروسة/ الخميس 20 ربيع الثاني 1443هـ

القسم الأول:

مقدمات الدواوين

مقدمة الجزء الأول من ديوان الرافعي

[1321 - 1903][1]

أَوَّلُ الشِّعْرِ اجْتِمَاعُ أَسْبَابِهِ، وَإِنَّمَا يُرْجِعُ فِيْ ذَلِكَ إِلَى طَبْعٍ صَقَلَتْهُ الحِكْمَةُ، وَفِكْرٍ جَلَا صَفْحَتَهُ البَيَانُ؛ فَمَا الشِّعْرُ إِلَّا لِسَانُ القَلْبِ إِذَا خَاطَبَ القَلْبَ، وَسَفِيْرُ النَّفْسِ إِذَا نَاجَتِ النَّفْسَ، وَلَا خَيْرَ فِيْ لِسَانٍ غَيْرِ مُبِيْنٍ، وَلَا فِيْ سَفِيْرٍ غَيْرِ حَكِيْمٍ.

وَلَوْ كَانَ طَيْراً يَتَغَرَّدُ لَكَانَ الطَّبْعُ لِسَانَهُ، وَالرَّأْسُ عِشَّهُ، وَالقَّلْبُ رَوْضَتَهُ، وَكَانَ غِنَاؤُهُ مَا يَسْمَعُهُ مِنْ أَفْوَاهِ الْمُجِيْدِيْنَ مِنَ الشُّعَرِاءِ؛ وَحَسْبُكَ بِكَلَامٍ تَنْصَرِفُ إِلَيْهِ كُلُّ جَارِحَةٍ، وَتُضَمُّ عَلَيْهِ كُلُّ جَانِحَةٍ، وَيُجْنَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى لَتَحْسِبَ الشُّعَرَاءَ مِنَ النَّحْلِ تَأْكُلُ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَـ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾.

وَكَأَنَّمَا هُوَ بَقِيَّةٌ مِنْ مَنْطِقِ الإِنْسَانِ اخْتَبَأَتْ فِيْ زَاوِيَةٍ مِنَ النَّفْسِ فَمَا زَالَتْ بِهَا الحَوَاسُّ حَتَّى وَزَنَتْهَا عَلَى ضَرَبَاتِ القَلْبِ، وَأَخْرَجَتْهَا بَعْدَ ذَلِكَ أَلْحَاناً بِغَيْرِ إِيْقَاعٍ، أَلَا تَرَاهَا سَاعَةَ النَّظْمِ كَيْفَ تَتَفَرَّغُ كُلُّهَا ثُمَّ تَتَعَاوَنُ كَأَنَّمَا تَبْحَثُ بِنُوْرِ العَقْلِ عَنْ شَيْءٍ غَابَ عَنْهَا فِيْ سُوَيْدَاءِ الفُؤَادِ وَظُلُمَاتِهِ؛ لِذَلِكَ كَانَ أَحْسَنُ الشِّعْرِ مَا تَتَغَنَّى بِهِ قَبْلَ عَمَلِهِ، وَهِيَ طَرِيْقَةٌ تَفَنَّنَ فِيْهَا الشُّعَرَاءُ، حَتَّى لَكَانَ الحُطَيْئَةُ يَعْوِيْ فِيْ أَثَرِ القَوَافِيْ عِوَاءَ الفَصِيْلِ فِيْ أَثَرِ أُمِّهِ.

---

(1) ديوان الرافعي (3/1 - 11).

وَتَرَى الْمُجِيْدَ مِنْ أَهْلِ الغِنَاءِ إِذَا رَفَعَ عَقِيْرَتُهُ يَتَغَنَّى ذَهَبَ فِيْ التَّحَرُّكِ مَذَاهِبَ، حَتَّى كَأَنَّمَا يَنْتَزِعُ كُلَّ نَغْمَةٍ مِنْ مَوْضِعٍ فِيْ نَفْسِهِ، فَيَتَأَلَّفُ مِنْ ذَلِكَ صَوْتٌ إِذَا أَجَالَ حَلْقَهُ فِيْهِ وَقَعَتْ كُلُّ قِطْعَةٍ مِنْهُ فِيْ مِثْلِ مَوْضِعِهَا مِنْ كُلِّ مَنْ يَسْمَعُ، فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَسْتَفِزَّهُ طَرَبُهُ كَأَنَّمَا انْجَذَبَ قَلْبُهُ، وَتَصْبُوْ نَفْسُهُ كَأَنَّمَا أُخِذَ حِسُّهُ؛ لَا فَرْقَ فِيْ ذَلِكَ بَيْنَ أَعْجَمِيٍّ وَعَرَبِيٍّ. وَمِنْ أَجْلِ هَذَا تَرَى أَحْسَنَ الأَصْوَاتِ يَغْلُبُ عَلَى كُلِّ طَبْعٍ، وَإِنَّمَا الشَّاعِرُ وَالْمُغَنِّي فِيْ جَذْبِ القُلُوْبِ سَوَاءٌ، وَفِيْ سِحْرِ النُّفُوْسِ أَكِفَّاءٌ؛ إِلَّا أَنَّ هَذَا يُوْحِي إِلَى القَلْبِ وَذَاكَ يَنْطِقُ عَنْهُ، وَأَحَدُهُمَا يَفِيْضُ عَلَيْهِ وَالثَّانِي يَأْخُذُ مِنْهُ، وَالوَيْلُ لِكِلَيْهِمَا إِذَا لَمْ يُطْرِبْ هَذَا وَلَمْ يُعْجِبْ ذَاكَ.

وَالشِّعْرُ مَوْجُوْدٌ فِيْ كُلِّ نَفْسٍ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، فَإِنَّكَ لَتَسْمَعُ الفَتَاةَ فِيْ خِدْرِهَا، وَالْمَرْأَةَ فِيْ كِسْرِ بَيْتِهَا، وَالرَّجُلَ وَقَدْ جَلَسَ فِيْ قَوْمِهِ، وَالصَّبِيَّ بَيْنَ إِخْوَتِهِ= يَقُصُّوْنَ عَلَيْكَ أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ، فَتَجِدُ فِيْ أَثْنَاءِ كَلَامِهِم مِنْ عَبَقِ الشِّعْرِ مَا لَوْ نَسَمْتَهُ لَفَغَمَكَ. وَحَسْبُكَ أَنْ تَكْسِرَ وِسَادَكَ تَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ فَتَرَاهُ طَائِراً بَيْنَ أَمْثَالِهِمْ وَفِيْ فَلَتَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَهُوَ كَأَنَّمَا قَدْ ضَلَّ أَعْشَاشَهُ. وَلَقَدْ نَبَغَ مِنْ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ شُمُوْسٌ سَطَعْنَ فِيْ سَمَاءِ البَيَانِ، وَطَلَعْنَ فِيْ أُفُقِ البَلَاغَةِ، وَلَا يَزَالُ النَّاسُ إِلَى اليَوْمِ يَرْوُوْنَ لِلْخَنْسَاءِ وَجَنُوْبَ وَعُلَيَّةَ وَعَنَانَ وَنَزْهُوْنَ وَوَلَّادَةَ وَغَيْرِهِنَّ، وَبِحَسْبِكَ قَوْلُ النَّوَّاسِيِّ: مَا قُلْتُ الشِّعْرَ حَتَّى رَوَيْتُ لِسِتِّيْنَ امْرَأَةً مِنْهُنَّ الخَنْسَاءُ وَلَيْلَى.

وَلَوْ كَانَ الشِّعْرُ هَذِهِ الأَلْفَاظُ الْمَوْزُوْنَةُ الْمُقَفَّاةُ، لَعَدَدْنَاهُ ضَرْباً مِنْ قَوَاعِدِ الإِعْرَابِ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ تَعَلَّمَهَا، وَلَكِنَّهُ يَتَنَزَّلُ مِنَ النَّفْسِ مَنْزِلَةَ الكَلَامِ؛ فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَنْطِقُ بِهِ، وَلَا يُقِيْمُهُ كُلُّ إِنْسَانٍ.

وَأَمَّا مَا يَعْرِضُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الوَزْنِ وَالتَّقْفِيْةِ؛ فَكَمَا يَعْرِضُ لِلْكَلَامِ مِنْ اسْتِقَامَةِ التَّرْكِيْبِ وَالإِعْرَابِ، وَإِنَّكَ إِنَّمَا تَمْدَحُ الكَلَامَ بِإِعْرَابِهِ وَلَا تَمْدَحُ الإِعْرَابَ بِالكَلَامِ.

وَلَمْ أَقْرَأْ أَجْمَعَ فِيْهِ مِنْ قَوْلِ حَكِيْمِ العَصْرِ، وَإِمَامِ الإِفْتَاءِ فِيْ مِصْرَ: وَلَوْ سَأَلُوا الحَقِيْقَةَ أَنْ تَخْتَارَ لَهَا مَكَاناً تُشْرِفُ مِنْهُ عَلَى الكَوْنِ، لَمَا اخْتَارَتْ غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ. وَلَا فِيْمَا قَالُوْهُ فِيْ الشُّعَرَاءِ أَجْمَعَ مِنْ قَوْلِ كَعْبِ الأَحْبَارِ: الشُّعَرَاءُ أَنَاجِيْلُهُمْ فِيْ صُدُوْرِهِمْ، تَنْطِقُ أَلْسِنَتُهُمْ بِالحِكْمَةِ.

وَلَمْ يَكُنْ لِأَوَائِلِ العَرَبِ مِنَ الشُّعَرَاءِ إِلَّا الأَبْيَاتُ يَقُوْلُهَا الرَّجُلُ فِيْ الحَاجَةِ تَعْرِضُ لَهُ، كَقَوْلِ دُوَيْدِ بنِ زَيْدٍ حِيْنَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ، وَهُوَ مِنْ قَدِيْمِ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ:

اليَـــــوْمَ يُبْـــــنَى لِدُوَيْـــــدٍ بَيْتَـــــهُ

لَـــــوْ كَـــــانَ لِلـــــدَّهْرِ بِلَـــــىً أَبْلَيْتُـــــهُ

أَوْ كَـــــانَ قِـــــرْنِيْ وَاحِـــــداً أَكْفَيْتُـــــهُ

وَإِنَّمَا قُصِّدَتِ القَصَائِدُ عَلَى عَهْدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوْ هَاشِمِ بنِ عَبْدَ مَنَافَ.

وَهُنَاكَ رَفَعَ امْرُؤُ القَيْسِ ذَلِكَ اللِّوَاءَ، وَأَضَاءَ تِلْكَ السَّمَاءَ الَّتِيْ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءٌ، وَهُوَ لَمْ يَتَقَدَّمْ غَيْرَهُ إِلَّا بِمَا سَبَقَ إِلَيْهِ مِمَّا اتَّبَعَهُ فِيْهِ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ؛ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَوْقَفَ عَلَى الطُّلُوْلِ، وَوَصَفَ النِّسَاءِ بِالظِّبَاءِ، وَالْمَهَا بَالبَيْضِ، وَشَبَّهَ الخَيْلَ بِالعُقْبَانِ وَالعِصِيّ، وَفَرَّقَ بَيْنَ النَّسِيْبِ وَمَا سِوَاهُ مِنَ القَصِيْدَةِ، وَقَرَّبَ مَآخِذَ الكَلَامِ وَقَيَّدَ أَوَابِدَهُ، وَأَجَادَ الاسْتِعَارَةَ وَالتَّشْبِيْهَ، وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَتَعَنَّتُ عَلَى كُلِّ شَاعِرٍ بِشِعْرِهِ.

ثُمَّ تَتَابَعَ القَارِضُوْنَ مِنْ بَعْدِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَسْهَبَ فَأَجَادَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَكَبَّ كَمَا يَكْبُوْ الجَوَادُ، وَبَعْضُهُمْ كَانَ كَلَامُهُ وَحْيَ الْمَلَاحِظِ، وَفَرِيْقٌ كَانَ مِثْلَ سُهَيْلٍ فِيْ النُّجُوْمِ: يُعَارِضُهَا وَلَا يَجْرِيْ مَعَهَا؛ وَلَقَدْ جَدُّوا فِيْ ذَلِكَ حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لِسَانَهُ لَوْ وُضِعَ عَلَى الشَّعْرِ لَحَلَقَهُ، أَوْ الصَّخْرِ لَفَلَقَهُ.

ذَلِكَ أَيَّامَ كَانَ لِلْقَوْلِ غُرَرٌ فِيْ أَوْجِهٍ وَمَوَاسِمُ، بَلْ أَيَّامَ كَانَ مِنْ قَدْرِ الشُّعَرَاءِ أَنْ تَغْلِبُ عَلَيْهِمْ أَلْقَابُهُمْ بِشِعْرِهِمْ حَتَّى لَا يَعْرِفُوْنَ إِلَّا بِهَا، كَالْمُرَقَّشِ وَالْمُهَلْهِلِ وَالشَّرِيْدِ وَالْمُمَزَّقِ وَالْمُتَلَمِّسِ وَالنَّابِغَةِ وَغَيْرِهِمْ؛ وَمِنْ قَدْرِ الشِّعْرِ أَنْ كَانَتِ القَبِيْلَةُ إِذَا نَبَغَ فِيْهَا شَاعِرٌ أَتَتِ القَبَائِلُ فَهَنَّأَتْهَا بِذَلِكَ، وَصَنَعَتِ الأَطْعِمَةَ، وَاجْتَمَعَ النِّسَاءُ يَلْعَبْنَ بِالْمَزَاهِرِ كَمَا يَصْنَعْنَ فِيْ الأَعْرَاسِ؛ وَأَيَّامَ كَانُوا لَا يُهَنِّئُوْنَ إِلَّا بِغُلَامٍ يُوْلَدُ أَوْ شَاعِرٍ يَنْبُغُ أَوْ فَرَسٍ تُنْتِجُ، وَكَانَتِ البَنَاتُ يَنْفُقْنَ بَعْدَ الكَسَادِ إِذَا شَبَّبَ بِهِنَّ الشُّعَرَاءُ.

وَلَمْ يَتْرُكِ العَرَبُ شَيْئَاً مِمَّا وَقَعَتْ عَلَيْهِ أَعْيُنُهُمْ، أَوْ وَقَعَ إِلَى آذَانِهِمْ، أَوْ اعْتَقَدُوْهُ فِيْ أَنْفُسِهِمْ= إِلَّا نَظَمُوْهُ فِيْ سِمْطٍ مِنَ الشِّعْرِ، وَادَّخَرُوْهُ فِيْ سَفْطٍ مِنَ البَيَانِ؛ حَتَّى إِنَّكَ لَتَرَى مَجْمُوْعَ أَشْعَارِهِمْ دِيْوَانَاً فِيْهِ مِنْ عَوَائِدِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وآدَابِهِمْ وَأَيَّامِهِمْ وَمَا يَسْتَحْسِنُوْنَ وَيَسْتَهْجِنُوْنَ حَتَّى مِنْ دَوَابِّهِمْ. وَكَانَ القَائِلُ مِنْهُمْ يَسْتَمِدُّ عَفْوَ هَاجِسِهِ، وَرُبَّمَا لَفَظَ الكَلِمَةَ تَحْسَبُهَا مِنَ الوَحْيِ وَمَا هِيَ مِنَ الوَحْيِ، وَلَمْ يَكُنْ يُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ إِلَّا أَخْلَاقُهُمُ الغَالِبَةُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ؛ فَزُهَيْرٌ أَشْعَرُهُمْ إِذَا رَغِبَ، وَالنَّابِغَةُ إِذَا رَهِبَ، وَالأَعْشَى إِذَا طَرِبَ، وَعَنْتَرَةُ إِذَا كَلِبَ، وَجَرِيْرٌ إِذَا غَضِبَ.. وَهَلُمَّ جَرَّاً.

وَلِكُلِّ زَمَنٍ شِعْرٌ وَشُعَرَاءُ، وَلِكُلِّ شَاعِرٍ مِرْآةٌ مِنْ أَيَّامِهِ؛ فَقَدِ انْفَرَدَ امْرُؤُ القَيْسِ بِمَا عَلِمْتَ، وَاخْتَصَّ زُهَيْرٌ بِالحَوْلِيَّاتِ، وَاشْتَهَرَ النَّابِغَةُ بِالاعْتِذَارَاتِ، وَارْتَفَعَ الكُمَيْتُ بِالهَاشِمِيَّاتِ، وَشَمَخَ الحُطَيْئَةُ بِأَهَاجِيْهِ، وَسَاقَ جَرِيْرُ قَلَائِصَهُ، وَبَرَزَ عَدِيٌّ فِيْ صِفَاتِ الْمَطِيَّةِ، وَطُفَيْلٌ فِيْ الخَيْلِ، وَالشَّمَّاخُ فِيْ الحَمِيْرِ -وَلَقَدْ أُنْشِدَ الوَلِيْدُ بنُ عَبْدِ الْمَلِكِ شَيْئَاً مِنْ شِعْرِهِ فِيْهَا، فَقَالَ: مَا أَوْصَفَهُ لَهَا! إِنِّي لَأَحْسَبُ أَنَّ أَحَدَ أَبَوَيْهِ كَانَ حِمَارَاً-، وَحَسْبُكَ مِنْ ذِي الرُّمَّةِ رَئِيْسِ الْمُشَبِّهِيْنَ الإِسْلَامِيِّيْنَ أَنَّهُ كَانَ يَقُوْلُ: إِذَا قُلْتُ (كَأَنَّ) وَلَمْ أَجِدْ مَخْلَصَاً مِنْهَا فَقَطَعَ اللهُ لِسَانِي. وَلَقَدْ فَتَنَ النَّاسَ ابنُ الْمُعْتَزِّ بِتَشْبِيْهَاتِهِ، وَأَسْكَرَهُمْ أَبُو نُوَاسٍ بِخَمْرِياتِهِ، وَرَقَّتْ قُلُوْبُهُمْ عَلَى زُهْدِيَّاتِ أَبِيْ العَتَاهِيةِ، وَجَرَتْ دُمُوْعُهُمْ لِمَرَاثِيْ أَبِيْ تَمَّامٍ، وَابْتَهَجَتْ أَنْفُسُهُمْ بِمَدَائِحِ البُحْتُرِيِّ، وَرَوْضِيَّاتِ الصَّنَوْبَرِيِّ، وَلَطَائِفِ كَشَاجِمَ.

فَمَنْ رَجَّعَ بَصَرَهُ فِيْ ذَلِكَ، وَسَلَكَ فِيْ الشِّعْرِ بِبَصِيْرَةِ الْمَعَرِّيِّ، وَكَانَتْ لَهُ أَدَاةُ ابنِ الرُّوْمِيِّ، وَفِيْهِ غَزَلُ ابنِ أَبِيْ رَبِيْعَةَ، وَصَبَابَةُ ابنِ الأَحْنَفِ، وَطَبْعُ ابنِ بُرْدٍ، وَلَهُ اقْتِدَارُ مُسْلِمٍ، وَأَجْنِحَةُ دِيْكِ الجِنِّ، وَرِقَّةُ الجَهْمِ، وَفَخْرُ أَبِي فِرَاسٍ، وَحَنِيْنُ ابنِ زَيْدُوْنَ، وَأَنَفَةُ الرَّضِيِّ، وَخَطَرَاتُ ابنِ هَانِئٍ، وَفِيْ نَفْسِهِ مِنْ فُكَاهَةِ أَبِيْ دُلَامَةَ، وَلِعَيْنَيْهِ بَصَرُ ابنِ خَفَاجَةَ بِمَحَاسِنِ الطَّبِيْعَةِ، وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ قَلْبُ أَبِيْ الطَّيِّبِ= فَقَدْ اسْتَحَقَّ أَنْ يَكُوْنَ شَاعِرَ دَهْرِهِ وَصَنَّاجَةَ عَصْرِهِ.

وَلَا يَهُوْلَنَّكَ ذَلِكَ إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَدَّ الشُّعَرَاءِ الَّذِيْنَ انْتَحَلُوا هَذَا الاسْمَ ظُلْمَاً وَأَلْحَقُوْهُ بِأَنْفُسِهِمْ إِلْحَاقَ الوَاوِ بِعَمْرٍو، فَكُلُّهُمْ ﴿**أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾.

وَأَبْرَعُ الشُّعَرَاءِ مَنْ كَانَ خَاطِرُهُ هَدَفَاً لِكُلِّ نَادِرَةٍ، فَرُبَّمَا عَرَضَتْ لِلشَّاعِرِ أَحْوَالٌ مِمَّا لَا يَعْنِي غَيْرَهُ، فَإِذَا عَلِقَ بِهَا فِكْرُهُ تَمَخَّضَتْ عَنْ بَدَائِعَ مِنَ الشِّعْرِ فَجَاءَتْ بِهَا كَالْمُعْجِزَاتِ وَهِيَ

لَيْسَتْ مِنَ الإِعْجَازِ فِيْ شَيْءٍ، وَلَا فَضْلَ لِلشَّاعِرِ فِيْهَا إِلَّا أَنَّهُ تَنَبَّهَ لَهَا؛ وَمَنْ شَدَّ يَدَهُ عَلَى هَذَا جَاءَ بِالنَّادِرِ مِنْ حَيْثُ لَا يَتَيَسَّرُ لِغَيْرِهِ وَلَا يَقْدِرُ هُوَ عَلَيْهِ فِيْ كُلِّ حِيْنٍ.

وَلَيْسَ بِشَاعِرٍ مَنْ إِذَا أَنْشَدَكَ لَمْ تَحْسَبْ أَنَّ سَمْعَهُ مَخْبُوْءٌ فِيْ فُؤَادِكَ، وَأَنَّ عَيْنَكَ تَنْظُرُ فِيْ شِغَافِهِ؛ فَإِذَا تَغَزَّلَ أَضْحَكَكَ إِنْ شَاءَ وَأَبْكَاكَ إِنْ شَاءَ، وَإِذَا تَحَمَّسَ فَزِعْتَ لِمَسَاقِطِ رَأْسِكَ، وَإِذَا وَصَفَ لَكَ شَيْئَاً هَمَمْتَ بِلَمْسِهِ حَتَّى إِذَا جِئْتَهُ لَمْ تَجِدْهُ شَيْئَاً، وَإِذَا عَتَبَ عَلَيْكَ جَعَلَ الذَّنْبَ لَكَ أَلْزَمَ مِنْ ظِلِّكَ، وَإِذَا نَثَلَ كِنَانَتَهُ رَأَيْتَ مَنْ يَرْمِيْهِ صَرِيْعَاً لَا أَثَرَ فِيْهِ لِقَذِيْفَةٍ وَلَا مُدْيَةٍ، وَلَكِنَّهَا كَلِمَةٌ فُتِحَتْ عَلَيْهَا عَيْنُهُ أَوْ وَلَجَتْ إِلَى قَلْبِهِ مِنْ أُذُنِهِ فَاسْتَقَرَّتْ فِيْ نَفْسِهِ وَكَأَنَّمَا اسْتَقَرَّ عَلَى جَمْرٍ.

وَإِذَا مَدَحَ حَسِبْتَ الدُّنْيَا تُجَاوِبُهُ، وَإِذَا رَثَى خِفْتَ عَلَى شِعْرِهِ أَنْ يَجْرِيَ دُمُوْعَاً، وَإِذَا وَعَظَ اسْتَوْقَفَتِ النَّاسَ كَلِمَتُهُ وَزَادَتْهُمْ خُشُوْعَاً، وَإِذَا فَخِرَ اشْتَمَّ مِنْ لِحْيَتِهِ رَائِحَةُ الْمُلْكِ فَحَسِبْتَ أَنَّمَا حَفَّتْ بِهِ الأَمْلَاكُ وَالْمَوَاكِبُ.

وَجِمَاعُ القَوْلِ فِيْ بَرَاعَةِ الشَّاعِرِ: أَنْ يَكُوْنَ كَلَامُهُ مِنْ قَلْبِهِ، فَإِنَّ الكَلِمَةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ القَلْبِ وَقَعَتْ فِيْ القَلْبِ، وَإِذَا خَرَجَتْ مِنَ اللِّسَانِ لَمْ تَتَجَاوَزِ الآذَانَ.

وَلَقَدْ رَأَيْنَا فِيْ النَّاسِ مَنْ تَكَلَّفَ الشِّعْرَ عَلَى غَيْرِ طَبْعٍ فِيْهِ، فَكَانَ كَالأَعْمَى: يَتَنَاوَلُ الأَشْيَاءَ لِيُقِرَّهَا فِيْ مَوَاضِعِهَا وَرُبَّمَا وَضَعَ الشَّيْءَ الوَاحِدَ فِيْ مَوْضِعَيْنِ أَوْ مَوَاضِعَ وَهُوَ لَا يَدْرِيْ.

وَأَبْصَرْنَا فِيْهِمْ كَذَلِكَ مَنْ يَجِيْءُ بِاللَّفْظِ الْمُوْنَقِ وَالوَشْيِ النَّضِرِ، فَإِذَا نَثَرْتَ أَوْرَاقَهُ لَمْ تَجِدْ فِيْهَا إِلَّا ثَمَرَاتٍ فَجَّةً.

وَرَأَيْنَا فِيْ الْمَطْبُوْعِيْنَ مَنْ أَثْقَلَ شِعْرَهُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْمَعَانِيْ، فَكَانَ كَالحَسْنَاءِ: تَزَيَّدَتْ مِنَ الزِّيْنَةِ حَتَّى سَمُجَتْ، فَصَرَفَتْ عَنْهَا العُيُوْنَ بِمَا أَرَادَتْ أَنْ تَلْفِتَهَا بِهِ. عَلَى أَنَّ أَحْسَنَ الشِّعْرِ مَا كَانَتْ زِيْنَتُهُ مِنْهُ، وَكُلُّ ثَوْبٍ لَبِسَتْهُ الغَانِيَةُ فَهُوَ مَعْرَضُهَا.

وَهُوَ عِنْدَي أَرْبَعَةُ أَبْيَاتٍ: بَيْتٌ يُسْتَحْسَنُ، وَبَيْتٌ يَسِيْرُ، وَبَيْتٌ يَنْدُرُ، وَبَيْتٌ يُجَنُّ بِهِ جُنُوْناً؛ وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَكَالشَّجَرَةِ الَّتِيْ نُفِضَ ثَمَرُهَا وَجُنِيَ زَهْرُهَا: لَا يَرْغَبُ فِيْهَا إِلَّا مُحْتَطِبٌ.

أَمَّا مَذَاهِبُهُ الَّتِيْ أَبَانُوْهَا مِنَ الغَزَلِ وَالنَّسِيْبِ وَالْمَدْحِ وَالهِجَاءِ وَالوَصْفِ وَالرِّثَاءِ وَغَيْرِهَا؛ فَهِيَ شُعُوْبٌ مِنْهُ، وَمَا انْتَهَى الْمَرْءُ مِنْ مَذْهَبٍ فِيْهِ إِلَّا إِلَى مَذْهَبٍ، وَلَا خَرَجَ مِنْ طَرِيْقٍ إِلَّا إِلَى طَرِيْقٍ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾. وَمَا دَامَتِ الأَعْمَارُ تَتَقَلَّبُ بِالنَّاسِ فَالشِّعْرُ أَطْوَارٌ: آوِنَةٌ تَخْطُرُ فِيْهِ نَسَمَاتُ الصِّبَا مَا بَيْنَ أَفْنَانِ الوَصْفِ إِلَى أَزْهَارِ الغَزَلِ، وَيَتَسَبْسَبُ فِيْهِ مَاءُ الشَّبَابِ مِنْ نَهْرِ الحَيَاةِ إِلَى مَشْرَعَةِ الأَمَلِ؛ وَطَوْراً تَرَاهُ جَمَّ النَّشَاطِ تَكَادُ تُصْقَلُ بِمَائِهِ السِّيُوْفُ، وَتُفْرَقُ بِحَدِّهِ الصُّفُوْفُ؛ وَحِيْنَاً تَجِدُهُ وَقَدْ أَلْبَسَهُ الْمَشِيْبُ ثَوْبَ الاعْتِبَارِ، وَجَمَّلَهُ بِمِسْحَةٍ مِنَ الوَقَارِ.. وَهُوَ فِيْ كُلِّ ذَلِكَ يَرْوُيْ عَنِ الأَيَّامِ وَتَرْوُيْ عَنْهُ، وَمَا أَكْثَرَ فُنُوْنَ الشِّعْرِ إِذَا رَوَيْتَهَا عَنْ أَفَانِيْنِ الأَيَّامِ.

وَأَمَّا مِيْزَانُهُ؛ فَاعْمَدْ إِلَى مَا تُرِيْدُ نَقْدَهُ فَرُدَّهُ إِلَى النَّثْرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ حَذْفَ شَيْءٍ مِنْهُ لَا يُنْقِصُ مِنْ مَعْنَاهُ، أَوْ كَانَ فِيْ نَثْرِهِ أَكْمَلُ مِنْهُ مَنْظُوْمَاً؛ فَذَلِكَ الهَذَرُ بِعَيْنِهِ، أَوْ نَوْعٌ مِنْهُ. وَلَنْ يَكُوْنَ الشِّعْرُ شِعْرَاً حَتَّى تَجِدَ الكَلِمَةَ مِنْ مَطْلَعِهَا لِمَقْطَعِهَا مُفْرَغَةً فِيْ قَالَبٍ وَاحِدٍ مِنَ الإِجَادَةِ، وَتِلْكَ مُقَلَّدَاتِ الشُّعَرَاءِ.

إِلَيْكَ مَثَلاً قَوْلُ ابنِ الرُّوْمِيِّ يَصِفُ مُنْهَزِماً:

لَا يَعْــرِفُ القِــرْنُ وَجْهَــهُ وَيَــرَى قَفَــاهُ مِــنْ فَرْسَــخٍ فَيَعْرِفُــهُ

فَقَلِّبْ نَظَرَكَ بَيْنَ أَلْفَاظِهِ وَأَجِلْهُ فِيْ نَفْسِكَ، ثُمَّ ارْجَعْ إِلَى قَوْلِ ذَلِكَ الخَارِجِيّ وَقَدْ قَالَ لَهُ الْمَنْصُوْرُ: أَخْبِرْنِيْ أَيُّ أَصْحَابِيْ كَانَ أَشَدَّ إِقْدَامَاً فِيْ مُبَارَزَتِكِ؟ فَقَالَ: مَا أَعْرِفُ وُجُوْهَهُمْ وَلَكِنْ أَعْرِفُ أَقْفَاءَهُمْ، فَقُلْ لَهُمْ يُدْبِرُوا أُعَرِّفْكَ= أَلَسْتَ تَرَى فِيْ ذَلِكَ النَّظْمِ مِنْ كَمَالِ الْمَعْنَى وَحَلَاوَةِ الأَلْفَاظِ مَا لَا تَرَاهُ فِيْ هَذَا النَّثْرِ؟!.

وَلَقَدْ بَقِيَ أَنَّ قَوْماً لَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الفَرْقِ بَيْنَ مَنْثُوْرِ القَوْلِ وَمَنْظُوْمِهِ، وَالَّذِيْ أَرَاهُ أَنَّ النَّظْمَ لَوْ مَدَّ جَنَاحَيْهِ وَحَلَّقَ فِيْ جَوِّ هَذِهِ اللُّغَةِ ثُمَّ ضَمَّهُمَا لَمَا وَقَعَ إِلَّا فِيْ عِشِّ النَّثْرِ وَعَلَى أَعْوَادِهِ، وَلَنْ تَجِدَ لِمَنْثُوْرِ القَوْلِ بَهْجَةً إِلَّا إِذَا صَدَحَ فِيْهِ هَذَا الطَّائِرُ الغَرِدُ؛ بَلْ لَوْ كَانَ النَّثْرُ مَلِكَاً لَكَانَ الشِّعْرُ تَاجَهُ، وَلَوْ اسْتَضَاءَ لَمَا كَانَ غَيْرُهُ سِرَاجَهُ.

وَمَا زَالَ الشُّعَرَاءُ يَأْتُوْنَ بِجُمَلٍ مِنْهُ كَأَنَّهَا قِطَعُ الرَّوْضِ إِذَا تَوَرَّدَ بِهَا خَدُّ الرَّبِيْعِ، وَهَذَا ابنُ العَبَّاسِ وَكُتُبُهُ، وَابنُ الْمُعْتَزِّ وَفُصُوْلُهُ، وَالْمَعَرِّيُّ وَرَسَائِلُهُ. وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ بَشَّارٍ وَقَدْ مَدَحَ الْمَهْدَيَّ فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئَاً، فَقِيْلَ لَهُ: لَمْ تُجِدْ فِيْ مَدْحِهِ، فَقَالَ: وَاللهِ لَقَدْ مَدَحْتُهُ بِشِعْرٍ لَوْ قُلْتُ مِثْلَهُ فِيْ الدَّهْرِ لَمَا حَتَفَ صَرْفَهُ عَلَى حُرٍّ، وَلَكِنِّي أَكْذِبُ فِيْ العَمَلِ فَأُكْذَبُ فِيْ الأَمَلِ.

وَبَشَّارٌ هُوَ ذَلِكَ الغَوَّاصُ عَلَى الْمَعَانِيْ الَّذِيْ يَزْعُمُ ابنُ الرُّوْمِيّ أَنَّهُ أَشْعَرُ مَنْ تَقَدَّمَ وَتَأَخَّرَ، وَهُوَ القَائِلُ فِيْ شِعْرِهِ مُفْتَخِرَاً:

إِذَا مَــا غَضِــبْنَا غَضْــبَةً مُضَــرِيَّةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمَا

إِذِا مَــا أَعَــرْنَا سَــيِّدَاً مِــنْ قَبِيْلَــةٍ ذُرَى مَنْــبَرٍ صَــلَّى عَلَيْنَــا وَسَــلَّمَا

وَالأَمْثِلَةُ عَلَى ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ، وَأَوْسِعُ مِنْ أَنْ تُحَدَّ.

وَلَا تَجِدُ النَّاظِمَ وَقَدْ أَصْبَحَ لَا يُحْسِنُ هَذَا الطِّرَازَ إِلَّا إِذَا كَانَ جَافِيَ الطَّبْعِ، كَدِرَ الحِسِّ، غَيْرَ ذَكِيِّ الفُؤَادِ، لَمْ تَجْتَمِعْ لَهُ آلَةُ الشِّعْرِ؛ وَهُوَ إِذَا كَانَ هُنَاكَ وَجَاءَ مِنْ صَنْعَتِهِ بِشَيْءٍ فَإِنَّمَا هُوَ نَظَّامٌ وَلَيْسَ بِشَاعِرٍ.

أَمَّا الفَرْقُ بَيْنَ الْمُتَرَسِّلِيْنَ وَالشُّعَرَاءِ؛ فَإِنْ كَانَ كَمَا يَقُوْلُ الصَّابِيْ: إِنَّ الشُّعَرَاءَ إِنَّمَا أَغْرَاضُهُمُ الَّتِيْ يَرْتَمُوْنَ إِلَيْهَا وَصْفُ الدِّيَارِ وَالآثَارِ، وَالحَنِيْنُ إِلَى الأَهْوَاءِ وَالأَوْطَارِ، وَالتَّشْبِيْبُ بِالنِّسَاءِ، وَالطَّلَبُ وَالاجْتِدَاءُ، وَالْمَدِيْحُ وَالهِجَاءُ. وَأَمَّا الْمُتَرَسِّلُوْنَ فَإِنَّمَا يَتَرَسَّلُوْنَ فِيْ أَمْرِ سَدَادِ ثَغْرٍ وَاصْطِلَاحِ فَسَادٍ، أَوْ تَحْرِيْضٍ عَلَى جِهَادٍ، أَوْ احْتِجَاجٍ عَلَى فِئَةٍ، أَوْ مُجَادَلَةٍ لِمَسْأَلَةٍ، أَوْ دُعَاءٍ إِلَى أُلْفَةٍ، أَوْ نَهْيٍ عَنْ فُرْقَةٍ، أَوْ تَهْنِئَةٍ بَعَطِيَّةٍ، أَوْ تَعْزِيَةٍ بَرَزِيَّةٍ، أَوْ مَا شَاكَلَ ذَلِكَ= فَذَلِكَ زَمَنٌ قَدْ دَرَجَ فِيْهِ أَهْلُهُ، وَبِسَاطٌ طُوِيَ بِمَا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَحْذَرُ مُؤَاخَاةَ الشَّاعِرِ لِأَنَّهُ يَمْدَحُهُ بِثَمَنٍ وَيَهْجُوْهُ مَجَّانًا؛ وَإِنَّمَا الفَرْقُ بَيْنَ الفَرِيْقَيْنِ: أَنَّ مَسْلَكَ الشَّاعِرِ أَوْعَرُ، وَمَرْكِبَهُ أَصْعَبُ، وَأُسْلُوْبَهُ أَدَقُّ، وَكَلَامَهُ مَعْ ذَلِكَ أَوْقَعُ فِيْ النَّفْسِ، وَعَلَى قَدْرِ إِجَادَتِهِ يَكُوْنُ تَأْثِيْرُهُ؛ فَالْمُجِيْدُ مِنَ الشُّعَرَاءِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ فِيْ صِنَاعَةِ الكَلَامِ، وَإِنَّكَ إِنَّمَا تُزَيِّنُ النَّثْرَ بِالشِّعْرِ وَلَا تُزَيِّنُ الشِّعْرَ بِالنَّثْرِ.

وَفِيْ الحَدِيْثِ الشَّرِيْفِ: إِنَّا قَدْ سَمِعْنَا كَلَامَ الخُطَبَاءِ وَالبُلَغَاءِ وَكَلَامَ ابنِ أَبِي سُلْمَى فَمَا سَمِعْنَا مِثْلَ كَلَامِهِ مِنْ أَحَدٍ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ فِيْ كِتَابِ "الأُمِّ": الشِّعْرُ كَلَامٌ كَالكَلَامِ، فَحَسَنُهُ كَحَسَنِهِ وَقَبِيْحُهُ كَقَبِيْحِهِ، وَفَضْلُهُ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ أَنَّهُ سَائِرٌ فِيْ النَّاسِ يَبْقَى عَلَى الزَّمَانِ فَيُنْظَرُ فِيْهِ.

هَذَا وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً ﴿**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾.

مقدمة الجزء الثاني من ديوان الرافعي

[1904 - 1322](1)

فِيْ سَرِقَةِ الشِّعْرِ وَتَوَارُدِ الخَوَاطِرِ

الشِّعْرُ مَعْنَىً لِمَا تَشْعُرُ بِهِ النَّفْسُ، فَهُوَ مِنْ خَوَاطِرِ القَلْبِ، إِذَا أَفَاضَ عَلَيْهِ الحِسُّ مِنْ نُوْرِهِ انْعَكَسَ عَلَى الخَيَالِ فَانْطَبَعَتْ فِيْهِ مَعَانِيْ الأَشْيَاءِ كَمَا تَنْطَبِعُ الصُّوَرُ فِيْ الْمِرْآةِ، وَهُوَ مِنْ بَعْدُ كَالحِلْمِ يَخْلُقُ فِيْ الْمُخَيِّلَةِ -مِمَّا يَصِلُ إِلَى الأَعْيُنِ وَيَتَأَدَّى إِلَى الآذَانِ- مَا لَا يَكُوْنُ قَدْ وَصَلَ وَلَا تَأَدَّى.

وَكَمَا يَأْخُذُ النَّظَرُ فِيْ مَطْرَحِهِ مَا بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، يَتَنَاوَلُ القَلْبُ فِيْ مَسْرَحِهِ مَا فَوْقَ سُجُفِ الغَيْمِ وَتَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى، وَإِنَّمَا الخَيَالُ السَّاحِرُ بَيْنَ هَذَيْنِ إِنْسَانٌ بَيْنَ مَلَكَيْهِ، وَجَسَدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْ سِحْرِهِ أَنْ يَضَعَ أُذُنَهُ عَلَى العَيْنِ فَتَسْمَعَ، وَعَيْنَهُ عَلَى الأُذُنِ فَتَرَى؛ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ سِمَتُهُ، وَفِيْهِ صِفَتُهُ، فَأَنْتَ تُبْصِرُ النَّاسَ أَحْيَاءً يَضْطَرِبُوْنَ فِيْ حَوَائِجِهِمْ وَهُوَ يَحْشُرُهُمْ إِلَيْكَ فِيْ يَوْمِ الحِسَابِ، ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾، وَبِحَسْبِكَ أَنَّ هَذِهِ الأَكْوَانَ إِنَّمَا هِيَ الحَقَائِقُ وَلِكُلِّ حَقِيْقَةٍ خَيَالٌ.

وَهُوَ مَمْلَكَةُ الشُّعَرَاءِ، فَمَا مِنْ ذِيْ خَيَالٍ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ خَالَطَتْ قَلْبَهُ لَذَّةُ الْمُلْكِ فِيْ سَاعَةٍ، رُبَّمَا كَانَتْ لَهُ فِيْ اليَوْمِ أَوِ الشَّهْرِ أَوِ العَامِ أَوِ العُمْرِ هِيَ عِنْدَهُ الدُّنْيَا وَهُوَ مَلِكُهَا، فَإِذَا

---

(1) ديوان الرافعي (3/2 - 11).

رَنَّ فِيْهَا صَوْتُهُ تَحَرَّكَ الفَلَكُ، فَأَسْمَعَهُ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ فَوْجاً، وَأَرْقَصَ بِهِ فِيْ كُلِّ بَحْرٍ مَوْجاً؛ وَمَا تَزَالُ الأَيَّامُ تَحْفَظُ مِنْ تِلْكَ الأَنْفَاسِ فِيْ صَدْرِهَا حَتَّى تَبْتَنِيَ لَهُ دِيْوَاناً يَعْرِفُهُ بِهِ النَّاسُ، وَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مَلَكاً فِيْ تِلْكَ السَّاعَاتِ الَّتِيْ نَظَمَ فِيْهَا مَا سُمِّيَ شِعْرُهُ دِيْوَاناً.

وَالشِّعْرُ أَسْبَابٌ يَكُوْنُ عَنْهَا، فَإِذَا هِيَ اجْتَمَعَتْ فِيْ وَاحِدٍ فَذَلِكَ، وَلَكِنَّكَ قَلَّ أَنْ تَجِدَ مَنْ يُسَمَّى شَاعِرَاً بِحَقٍّ، كَمَا قَلَّ أَنْ تَرَى مَنْ لَا يُرِيْدُ أَنْ يَكُوْنَ شَاعِرَاً بِالبَاطِلِ؛ فَمَتَى كَانَ الْمَرْءُ عَلَى رِقَّةٍ فِيْ الحِسِّ، وَطَبْعٍ فِيْ النَّفْسِ، وَصَفَاءٍ فِيْ الذِّهْنِ، وَانْتِبَاهٍ فِيْ الخَاطِرِ، وَبُعْدٍ فِيْ النَّظَرِ، وَشِدَّةٍ فِيْ العَارِضَةِ، وَقُوَّةٍ فِيْ البَدِيْهَةِ، وَمَثْرَاةٍ فِيْ الرِّوَايَةِ، وَحِنْكَةٍ فِيْ التَّجَارُبِ، وَحِكْمَةٍ تُحِيْطُ بِذَلِكَ كُلِّهِ= فَقَدِ اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ أَدَاةِ الشِّعْرِ مَا يَكُوْنُ بِهِ شَاعِرَاً. وَلَا تَحْسَبَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الكَلَامِ مُضْغَةً يَلُوْكُهَا الشَّيْخُ الهَمُّ وَالصَّبِيُّ الأَدْرَدُ وَلَيْسَ فِيْ مَاضِغَيْ أَحَدِهِمَا ضِرْسٌ يَقْطَعُ، بَلْ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ شَكِسِ الأَنْيَابِ حَدِيْدِ الْمَخَالِبِ يَطْحَنُهَا طَحْناً.

وَلَقَدْ كَانَ أَبُو عَمْرٍو بنُ العَلَاءِ -وَالزَّمَانُ زَمَانٌ- لَا يَعُدُّ الشِّعْرَ إِلَّا لِلْمُتَقَدِّمِيْنَ، فَحَدَّثَ الأَصْمَعِيُّ قَالَ: جَلَسْتُ إِلَيْهِ عَشْرَ حُجَجٍ مَا سَمِعْتُهُ يَحْتَجُّ بِبَيْتٍ إِسْلَامِيٍّ. وَسُئِلَ عَنِ الْمُوَلَّدِيْنَ فَقَالَ: مَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ فَقَدْ سُبِقُوا إِلَيْهِ، وَمَا كَانَ مِنْ قَبِيْحٍ فَمِنْ عِنْدِهِمْ... لَيْسَ النَّمَطُ وَاحِداً تَرَى قِطْعَةَ دِيْبَاجٍ وَقِطْعَةَ مِسْحٍ وَقِطْعَةَ نِطْعٍ. ذَلِكَ وَالشُّعَرَاءُ يَوْمَئِذٍ مُتَوَافِرُوْنَ، عَلَى أَنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ لَوْ سَمِعَ أَكْثَرَ شِعْرِ اليَوْمِ لَزَادَ: وَقِطْعَةُ نَعْلٍ؛ فَقَدْ أَصْبَحَ الزَّمَنُ وَمَا تَطْلُعُ شَمْسُهُ إِلَّا عَلَى جَدِيْدٍ وَالقَوْمُ لَا يَزَالُوْنَ عَلَى مَا كَانُوا، يَتَمَرَّغُوْنَ فِيْ تُرَابِ الأَوَّلِيْنَ، فَإِذَا عَلِقَتْ يَدُ أَحَدِهِمْ بِحِلْيَةٍ دَسَّهَا فِيْ شِعْرِهِ وَجَعَلَهَا آيَةَ فَخْرِهِ، وَإِنْ لَمْ يُصَادِفْ شَيْئَاً مِنْ ذَلِكَ فَأَيَّةُ مَا شِئْتَ أَنْ تَنْفِضَهَا مِنْ كَلِمَةٍ لَا تَنْتَفُضُ فِيْ يَدَيْكَ إِلَّا تُرَاباً.

وَإِنَّمَا مَثَلُ شِعْرِ اليَوْمِ وَالشَّاعِرِ مَثَلُ السَّفِيْنَةِ: يَطُوْفُ بِهَا المحِيْطَ مَنْ لَا يُحْسِنُ السِّبَاحَةَ فِيْ لُجَّةٍ، فَإِذَا انْقَلَبَ عَنْهَا لَا يَرْجِعُ إِلَيْهَا حَتَّى تَكُوْنَ لجِسْمِهِ تَابُوْتاً؛ وَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ يَحْصِرُوْنَ القَوْلَ فِيْ وُجُوْهٍ وَيَجْمَعُوْنَهُ فِيْ نَوْعٍ مِنْهُ، إِلَّا مَا كَانَ لِبَعْضِهِمْ مِنَ النَّدْرَةِ الوَاحِدَةِ وَالفَلْتَةِ الْمُفْرَدَةِ... وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ السَّمَاءُ الَّتِيْ فَوْقَنَا اليَوْمَ تَحْتَ غَيْرِنَا مِنْ قَبْلُ، وَلَا كَانَتِ البَلَاغَةُ شَيْئَاً يُبَاعُ وَيُشْتَرَى، وَلَكِنَّهُ الضَّلَالُ فِيْ النَّشْأَةِ، وَالقُصُوْرُ فِيْ أَسْبَابِ الصَّنْعَةِ، وَالجَهْلُ بِالْمَقَاصِدِ، وَضَعْفُ اللُّغَةِ إِلَى حَدِّ النَّزْعِ بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفَسُهَا الَّذِيْ يَنْطَلِقُ بِرُوْحِهَا؛ غَيْرَ مَا كَانَ فِيْ الصَّدْرِ الْمُتَقَدِّمِ مِمَّنْ جَعَلَ الشِّعْرَ وَكَدَهُ، وَقَصَرَ عَلَيْهِ كَدَّهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ وَحْدَهُ، وَإِنَّمَا نِفَاقُ السُّوْقِ كَمَا عَرَفْتَ جَلَّابُ.

وَلِهَذَا أَصْبَحَ القَوْمُ فِيْ أَيْدِي جَهَابِذَةِ الكَلَامِ وَنُقَّادِ الشِّعْرِ أَحَقَّ بِقَوْلِ ابنِ بُرْدٍ:

ارْفُقْ بِعَمْرٍو إِذَا حَرَّكْتَ نِسْبَتَهُ ... فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ قَوَارِيْرِ

مَعْ أَنَّهُ فُتِحَ عَلَيْهِمْ اليَوْمَ بَابٌ جَدِيْدٌ مِنَ الأَخْذِ، فَتَرَاهُمْ إِذَا ضَعِفُوا تَرْجَمُوا، وَإِذَا ضَاقَتْ بِهِمْ مَذَاهِبُ العَرَبِيَّةِ اسْتَعْجَمُوا. وَمَا أُنْكِرُ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَنْطَبِعُ عَلَى مَا يَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَكِنَّهُمْ يَخْرُجُوْنَ بِالشِّعْرِ عَنْ مَعْنَاهُ؛ وَآيَةُ ذَلِكَ أَنْ لَا تَعْرِفَ فِيْ مَنْظُوْمِهِمْ رُوْحَ التَّأْثِيْرِ الَّتِيْ هِيَ حَيَاةُ الشِّعْرِ، بَلْ تَجِدُ عَلَيْهِ مِنْ فَسَادِ التَّكَلُّفِ وَمُغَالَبَةِ الطَّبْعِ وَأَثَرِ الاسْتِكْرَاهِ وَفِيْهِ مِنَ الْمَعَانِيْ الْمَدْخُوْلَةِ مَا لَا تَشُكُّ مَعَهُ أَنَّهُ مِنْ مُضَاغَةِ قَائِلِهِ الأَوَّلِ.

وَإِنَّمَا تَنْفُخُ النَّفْسُ تِلْكَ الرُّوْحَ فِيْ الكَلَامِ إِذَا اسْتَوَتْ فِيْهِ الصَّنْعَةُ فَيَتَمَثَّلُ بِهَا سَوِيَّاً.

وَعِنْدِي أَنَّ شَرْطَ الشَّاعِرِ الَّذِيْ تَرْتَفِعُ عَنْهُ مَظَنَّةُ السَّرَقِ هُوَ أَنْ تَكُوْنَ لَهُ قُوَّةُ الشِّعْرِ، وَدَلِيْلُهَا الإِبْدَاعُ وَالْمُضِيُّ فِيْ كُلِّ مَعْنَى، وَالانْتِبَاهُ إِلَى أَدَقِّ الْمُنَاسَبَاتِ؛ فَإِنَّ الكَلَامَ كَالشَّجَرَةِ:

مِنْهَا الجِذْعُ، وَمِنْهَا الغُصُوْنُ وَالأَوْرَاقُ، وَمَا فِيْهَا مِنْ دَقِيْقِ الخُيُوْطِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ فِيْ الظُّهُوْرِ، وَإِنَّمَا بَرَاعَةُ الشَّاعِرِ فِيْ الالْتِفَاتِ إِلَى تِلْكَ الدَّقَائِقِ؛ فَإِنَّ مِنَ الكَلَامِ مَا يَتَفَطَّرُ لِلْمَعَانِيْ كَمَا يَتَفَطَّرُ الشَّجَرُ لِلتَّوْرِيْقِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يُسَمُّوْنَ أَجْمَلَ البَيَانِ: وَحْياً.

وَالشُّعَرَاءُ كَالْمَصَابِيْحِ: مَا عَلَى أَحَدِهَا أَنْ يَتَأَلَّقَ بِنُوْرِ غَيْرِهِ مَا دَامَ فِيْ كُلِّ مِصْبَاحٍ زَيْتُهُ، غَيْرَ أَنَّ أَكْثَرَ مَصَابِيْحِ اليَوْمِ كَهْرُبَائِيَّةٌ يَسْتَوِيْ الجَمْعُ مِنْهَا فِيْ الاسْتِمْدَادِ مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ... وَقَدْ كَثُرَتْ آلَاتُ البُخَارِ وَكَثُرَتْ بِهَا الْمُعْجِزَاتُ، حَتَّى إِنَّ مِنْ خَوَاطِرِ هَؤُلَاءِ الشُّعَرَاءِ مَا لَا يَتَحَرَّكُ إِلَّا (بِنَفَسٍ).

وَمَرْجِعُ التَّفَاوُتِ بَيْنَ أَصْنَافِ القَائِلِيْنَ إِنَّمَا يَكُوْنَ مِنْ مِثْلِ الْمَنْشَأِ يَطْبَعُ فِيْ الأَنْفُسِ شِيَماً مُخْتَلِفَاتٍ تَغْلِبُ عَلَى بَعْضِهَا دُوْنَ بَعْضٍ، وَمِنْ مِثْلِ مَا يَكُوْنُ فِيْ عَصْرٍ دُوْنَ عَصْرٍ، وَمَا يَقَعُ لِشَاعِرٍ دُوْنَ سِوَاهُ، وَمَا يَتَّفِقُ لِلْوَاحِدِ وَلَا يَتَّفِقُ لِلْآخَرِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا شَرْطُ جَمِيْعِهِ وُفُوْرُ القُوَّةِ فِيْ الشَّاعِرِ؛ فَلَا يُسْتَغْرَبُ مِنْ رَجُلٍ كَعَنْتَرَةَ وَهُوَ ذَلِكَ الَّذِيْ يَتَمَثَّلُ الْمَوْتُ فِيْ هَوْلِ صُوْرَتِهِ قَوْلُهُ:

إِنِّيْ لَأَعْجَبُ كَيْفَ يَنْظُرُ صُوْرَتِي ... يَوْمَ القِتَالِ مُبَارِزٌ وَيَعِيْشُ

وَلَا مِنْ مِثْلِ عَاشِقٍ كَذَلِكَ، الَّذِيْ نَذَرُوا دَمَهُ مِنْ أَجْلِ حُبِّهِ بُثَيْنَةَ، قَوْلُهُ، وَهُوَ أَمِيْرُ شِعْرِهِ:

خَلِيْلَيَّ فِيْمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا ... قَتِيْلاً بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي

وَإِنَّمَا تَسْمِيَةُ العَاشِقِ هَذَا البُكَاءُ.

وَلَا مِنْ خَلِيْعٍ كَالنُّوَاسِيِّ قَوْلُهُ يَصِفُ كُؤُوْسَاً رَأَى فِيْهَا تَصَاوِيْرَ، وَهُوَ الَّذِيْ جُنَّ بِهِ الجَاحِظُ:

فَلِلــــرَّاحِ مَـــا زَرَّتْ عَلَيْـــهِ جُيُوْبُهَـــا وَلِلْمَـــاءِ مَـــا دَارَتْ عَلَيْـــهِ القَلَانِـــسُ

وَكَذَلِكَ لَا يُنْكَرُ عَلَى مِثْلِ أَبِي فِرَاسٍ قَوْلُهُ فِيْ الفَخْرِ:

وَنَحْـــــنُ أُنَاسٌ لَا تَوَسُّــــطَ بَيْنَنَـــــا لَنَـــا الصَّـــدْرُ دُوْنَ العَـــالَمِيْنَ أَوِ القَـــبْرُ

وَهُوَ ذَلِكَ الَّذِيْ كَانَ يُزَاحِمُ فِيْ طَلَبِ الصَّدْرِ وَيَعْلَمُ أَنَّ وَرَاءَ الزَّلَّةِ فِيْ سَبِيْلِهِ حُفْرَةً فِيْ القَبْرِ.

وَلَا عَلَى مَنْ تَرَعْرَعَ فِيْ حُجْرِ الخِلَافَةِ وَنَشَأَ فِيْ التَّرَفِ كَابنِ الْمُعْتَزِّ قَوْلُهُ فِيْ الهِلَالِ:

فَـــانْظُرْ إِلَيْـــهِ كَـــزَوْرَقٍ مِـــنْ فِضَّـــةٍ قَـــدْ أَثْقَلَتْـــهُ حُمُوْلَـــةٌ مِـــنْ عَنْـــبَرِ

وَقَدْ قِيْلَ أَنَّ هَذَا البَيْتَ أُنْشِدَ لِابنِ الرُّوْمِيّ فِيْ ضِمْنِ أَبْيَاتٍ وَسُئِلَ: لِمَ لَا تَأْتِي بِمِثْلِ هَذِهِ التَّشْبِيْهَاتُ وَأَنْتَ أَشْعَرُ مِنْهُ؟ فَبَكَى وَقَالَ: هَذَا ابنُ الخُلَفَاءِ وَهُوَ إِنَّمَا يَصِفُ مَاعُوْنَ بَيْتِهِ، وَمَا حِيْلَتِي وَأَنَا رَجُلٌ أَتَكَسَّبُ بِالشِّعْرِ وَأَتَبَلَّغُ بِخُبْزِ الشَّعِيْرِ.

وَمَا بِالصَّعْبِ عَلَى مِثْلِ الْمَعَرِّيِّ، وَهُوَ الزَّاهِدُ فِيْ الحَيَاةِ الَّذِيْ كَانَتْ أَيَّامُهُ كَأَنَّهَا العَقَارِبُ تَتَعَاقَبُ جِسْمَهُ، أَنْ يَجِيءَ بِمِثْلِ قَوْلِهِ:

تَعَـــبٌ كُلُّهَـــا الحَيَـــاةُ فَمَـــا أَعْـــ جَـــبُ إِلَّا مِـــنْ رَاغِـــبٍ فِيْ ازْدِيَادِ

وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ كُلَّ مَنْ قَالَ مِنَ الشُّعَرَاءِ فِيْ جِنْسٍ مَا هُوَ بِسَبِيْلِهِ، فَإِنَّ هَاجِسَهُ لَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ وَإِنْ تَوَارَدَ مَعْ غَيْرِهِ فِيْهِ.

عَلَى أَنَّ لِلتَّوَارُدِ أَسْبَاباً غَيْرَ مَا تَقَدَّمَ، مِنْهَا مَا يَكُوْنُ وَحْيَ العَيْنِ إِذَا نَزَعَ الشَّاعِرُ مَنْزِعَاً فِيْ صَنْعَتِهِ، كَقَوْلِ عُمَارَةَ اليَمَنِيّ فِيْ مَصْلُوْبٍ:

وَرَأَتْ يَـــدَاهُ عَظِـــيْمَ مَـــا جَنَتَـــا فَفَـــرَرْنَ ذِي شَـــرْقَاً وَذِي غَـــرْبَا
وَأَمَـــالَ نَحْـــوَ الصَّـــدْرِ فَمَـــاً لِيَلُـــوْمَ فِيْ أَفْعَالِـــهِ القَلْبَـــا

فَإِنَّ مَنْ يَنْزِعُ إِلَى التَّعْلِيْلِ إِذَا شَهِدَ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ لَا يَجِيءُ بِغَيْرِ هَذَا الْمَعْنَى.

وَمِنْهَا مَا يَكُوْنُ حَادِثَةً تَتَّفِقُ أَوْ حَالَةً تَنْزِلُ بِالْمَرْءِ، كَقَوْلِ جَلِيْلَةَ أُخْتِ جَسَّاسٍ فِيْ الاسْتِقَادَةِ مِنْ أَخِيْهَا حِيْنَ قُتِلَ زَوْجُهَا:

لَـــوْ بِعَـــيْنٍ فُقِئَـــتْ عَـــيْنٌ سِـــوَى أُخْتِهَـــا فَانْفَقَـــأَتْ لَمْ أَحْفِـــلِ

وَكَقَوْلِ ابنِ حَسَّانَ فِيْمَا كَتَبَ بِهِ إِلَى النُّعْمَانِ يَسْتَنْجِدُهُ وَكَانَ لَهُ ظَهِيْراً:

إِنَّمَـــا الـــرُّمْحُ فَـــاعْلَمَنَّ قَنَـــاةٌ أَوْ كَـــبَعْضِ العِيْـــدَانِ لَـــوْلَا السِّـــنَانُ

وَمِنْهَا الأُسْلُوْبُ؛ فَإِنَّ مِنَ الشُّعَرَاءِ مَنْ يَبْنِيْ القَافِيَةَ بِالبَيْتِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْنِيْ البَيْتَ بِالقَافِيْةِ، وَالتَّوَارُدُ كَثِيْرٌ بَيْنَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ، كَقَوْلِ النَّابِغَةِ -وَكَانَ الأَصْمَعِيُّ يَتَعَجَّبُ مِنْ جُوْدَتِهِ-:

وَعَيَّرَتْـــنِي بَنُـــو ذُبْيَـــانَ خَشْـــيَتَهُ وَهَـــلْ عَلَـــيَّ بِأَنْ أَخْشَـــاكَ مِـــنْ عَـــارِ

فَلَمَّا مَرَّتْ هَذِهِ القَافِيَةُ بِأَبِي تَمَّامٍ وَكَانَ فِيْ مَعْنَاهَا، قَالَ وَأَبْدَعَ كَمَا تَرَى:

خَضَـعُوا لِصَـوْلَتِكَ الَّـتِيْ هِـيَ عِنْـدَهُمْ كَـــالْمَوْتِ يَأْتِي لَـــيْسَ فِيْـــهِ عَـــارُ

وَمِنْهَا دِلَالَةُ الكَلَامِ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ إِذَا وَفَّاهُ القَائِلُ قِسْطَهُ مِنَ الصِّنَعَةِ، وَقَدْ سَمِعَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَوْلَ ابنِ أَبِي رَبِيْعَةَ:

تَشُــــــــطُّ غَــــــــدَاً دَارُ جِيْرَانِنَــــــــا

فَقَالَ:

وَلِلـــــــدَّارُ بَعْــــــدَ غَــــــدٍ أَبْعَــــــدُ

وَكَذَلِكَ قَالَ عُمَرُ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُوْنَ إِلَّا هَكَذَا.

وَمِثْلُهُ يُرْوَى عَنِ الفَرَزْدَقِ حِيْنَ سَمِعَ قَوْلَ عَدِيٍّ:

تُزْجِــــــي أَغَــــــنَّ كَــــــأَنَّ إِبْــــــرَةَ رَوْقِــــــهِ

فَأَكْمَلَهُ بِقَوْلِهِ:

قَلَــــــمٌ أَصَــــــابَ مِــــــنَ الــــــدَوَاةِ مِــــــدَادَهَا

وَكَانَ يَعْرِفُ قَافِيَتَهَا وَكَذَلِكَ كَانَ البَيْتُ.

وَمِنْهَا اخْتِلَاسُ الْمَثَلِ مِنْ جُمْلَةٍ بِعَيْنِهَا وَاشْتِرَاكُ الْمَعَانِيْ، كَأَنْ تَكُوْنَ مُسْتَفِيْضَةً فِيْ الْمُنَاقَلَاتِ أَوْ وَاقِعَةً لَوْ شَاءَ كُلُّ امْرِئٍ لَوَجَدَ إِلَيْهَا مَسَاغَاً؛ وَكَذَلِكَ التَّمْهِيْدُ بِلَفْظَةٍ تُؤَدِّيْ إِلَى مَعْنىً لَا يَكُوْنُ مِنْهَا غَيْرُهُ إِذَا عَرَضَتْ لِلْحَاذِقِ بِصِنَاعَةِ الكَلَامِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا مَرْجِعُهُ فِيْ الغَالِبِ إِلَى مَا تَقَدَّمَ.

وَمِثْلُهُ لَا يَكُوْنُ سَرِقَةً يُعَابُ بِهَا قَائِلُهُ مَا دَامَ عَلَى شَرِيْطَةِ الشَّاعِرِ، فَإِنَّ التَّفَاضُلَ إِنَّمَا يَكُوْنُ فِيْ ابْتِكَارِ الأَشْيَاءِ عَلَى طَرِيْقَةِ الشِّعْرِ لَا عَلَى طَرِيْقَةِ النَّظْمِ؛ وَقَدْ قَالَ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ:

لَوْلَا أَنَّ الكَلَامَ يُعَادُ لَنَفَدَ. وَسُئِلَ ابنُ العَلَاءِ: أَرَأَيْتَ الشَّاعِرَيْنِ يَتَّفِقَانِ فِيْ الْمَعْنَى وَيَتَوَارَدَانِ فِيْ اللَّفْظِ لَمْ يَلْقَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَلَا سَمِعَ شِعْرَهُ؟ قَالَ: تِلْكَ عُقُوْلُ رِجَالٍ تَوَافَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهَا. وَقِيْلَ لِأَبِي الطَّيِّبِ مِثْلُ ذَلِكَ فَقَالَ: الشِّعْرُ مَحَجَّةٌ فَرُبَّمَا وَقَعَ الحَافِرُ عَلَى مَوْضِعِ الحَافِرِ.

أَمَّا السَّرِقَةُ؛ فَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ البَصَرِ بِالشِّعْرِ عَلَى أَنَّ أَبَا عُذْرَةِ الكَلَامِ مَنْ سَبَكَ لَفْظَهُ عَلَى مَعْنَاهُ، وَهُمْ يُرِيْدُوْنَ بِذَلِكَ أَنْ يَكُوْنَ مَا بَيْنَ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ أَنْفَاساً تَتَرَدَّدُ شِعْرَاً. وَقَالُوا: إِنَّه لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْنَافِ القَائِلِيْنَ غِنىً عَنْ تَنَاوُلِ الْمَعَانِيْ مِمَّنْ تَقَدَّمَهُمْ وَالصَّبِّ عَلَى قَوَالِبِ مَنْ سَبَقَهُمْ، وَلَكِنْ عَلَيْهِمْ أَنْ يُبْرِزُوا مَا أَخَذُوْهُ فِيْ مَعَارِضَ مِنْ تَأْلِيْفِهِمْ، وَيُؤَدُّوْهُ فِيْ غَيْرِ حِلْيَتِهِ الأَوْلَىْ، وَيَزِيْدُوا فِيْ حُسْنِ تَأْلِيْفِهِ، وَجُوْدَةِ تَرْكِيْبِهِ، وَكَمَالِ حِلْيَتِهِ وَمَعْرَضِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَهُمْ أَوْلَى بِهَا مِمَّنْ سَبَقَ إِلَيْهَا. وَهُوَ كَلَامٌ لَا يُمْتَرَى فِيْهِ، وَلَكِنْ شَرْطُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ لَكَ مِنْ قَبْلُ، وَاعْتَبِرْهُ بِمِثْلِ قَوْلِ سَعِيْدِ بنِ حُمَيْدٍ:

يَا لَيْـــلُ لَـــوْ تَلْقَـــى الَّـــذِيْ   أَلْقَـــــى بِهَـــــا أَوْ أَجِـــــدْ
قَصَّـــــرَ مِـــــنْ طُوْلِـــــكَ أَوْ   أَضْـــــعَفَ مِنْـــــكَ الجَلَـــــدْ

فَقَدْ أَخَذَهُ الْمُتَنَبِّيُّ وَهَذَّبَهُ فِيْ قَوْلِهِ:

أَلَمْ يَـرَ هَـذَا اللَّيْـلُ عَيْنَيْـكِ رُؤْيَـتِي   فَتَظْهَـــرَ فِيْـــهِ رِقَّـــةٌ وَنُحُـــوْلُ

وَأَكْثَرُ مَا يُبْدِعُ أَبُو الطَّيِّبِ فِيْ مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالتَّهْذِيْبِ وَالتَّمْهِيْدِ لِمَعْنىً يَأْخُذُهُ بِمَا يُدْخِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ، كَقَوْلِهِ:

كَـرِيْمٌ نَفَضْـتُ النَّـاسَ لَمَّـا بَلَغْتُـهُ   كَـأَنَّهُمْ مَـا جَـفَّ مِـنْ زَادِ قَـادِمِ

وَكَــــادَ سُـــرُوْرِي لَا يَفِــــيْ بِنَــــدَامَتِي   عَلَــــى تَرْكِــــهِ فِيْ عُمْــــرِيَ الْمُتَقَــــادِمِ

فَإِنَّهُ مِنْ قَوْلِ الوَابِلِيّ:

وَتَرَكْتُــــــهُ يَبْكِـــــيْ بَقِيَّـــــةَ عُمْـــــرِهِ   أَسَـــــفَاً لِمَاضِـــــيْ عُمْـــــرِهِ الْمُتَقَـــــدِّمِ

وَأَعْجَبُ شَيْءٍ فِيْ أَمْرِ السَّرِقَةِ: أَنَّه قَدْ وُجِدَ مِنْ قَبْلُ مَنْ كَانَ يَقُوْلُ لِصَاحِبِ الكَلِمَةِ الرَّائِعَةِ: إِيَّاكَ وَإِيَّاهَا لَا تَعُوْدَنَّ فِيْهَا فَإِنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْكَ. وَمَا كَانَ يُرْوَى لِغَيْرِ أَبِي النُّوَاسِ مَعْنىً بَدِيْعٌ يِسْمَعُهُ فِيْ الخَمْرِ وَهُوَ حَيٌّ وَإِنَّمَا هِيَ شَهَادَتُهُ عَلَى نَفْسِهِ.

وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ مِنْ قَدِيْمٍ يَنْظُرُوْنَ فِيْ وُجُوْهِ الْمَعَانِي مِنْ بَنَاتِ غَيْرِهِمْ، فَيَجِدُ الآخَرَ مِمَّا تَرَكَهُ الأَوَّلُ مَا لَوْ عَلِمَ أَنَّهُ تَرَكَهُ لَأَوْصَى بِدَفْنِهِ مَعَهُ... حَتَّى قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: إِنَّ ابنَ الرُّوْمِيِّ كَانَ ضَنِيْنَاً بِالْمَعَانِيْ حَرِيْصَاً عَلَيْهَا، يَأْخُذُ الْمَعْنَى أَوْ يُوَلِّدُهُ فَلَا يَزَالُ يُقَلِّبُهُ بَطْنَاً لِظَهْرٍ، وَيَصْرِفُهُ فِيْ كُلِّ وَجْهٍ وَإِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ، حَتَّى يُمِيْتَهُ وَيَعْلَمَ أَنْ لَا مَطْمَعَ فِيْهِ. ثُمَّ تَجِدُ مَنْ بَعْدَهُ قَدْ أَخَذَ الْمَعْنَى بِعَيْنِهِ فَوَلَّدَ فِيْهِ زِيَادَةً، وَوَجَدَ لَهُ وِجْهَةً حَسَنَةً، لَا يَشُكُّ البَصِيْرُ بِالصِّنَاعَةِ أَنَّ ابنَ الرُّوْمِيّ مَعَ شَرَهِهِ لَمْ يَتْرُكْهَا عَنْ قُدْرَةٍ.

وَمِنَ الْمَعَانِيْ مَا يُنَبِّهُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ مِمَّا يَكُوْنُ وَرَاءَ لَفْظَةٍ أَوْ تَحْتَ نَادِرَةٍ. حَتَّى لَقَدْ تَجِدُ فِيْ بُنَيَّاتِ الطَّرِيْقِ مَا تَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الْمَعْنَى الفَحْلَ وَالخَاطِرَ الرَائِعَ، وَلِلشَّاعِرِ مِنْ ذَلِكَ فَضْلٌ لَا يُغْمَطُ فِيْهِ حَقُّهُ؛ وَكَثِيْرَاً مَا كَانَ الطَّائِيُّ يَنْحُوْ هَذَا القَصْدَ كَمَا قَالَ عَنْهُ ابنُ الرُّوْمِيّ: إِنَّهُ

يَطْلُبُ الْمَعْنَى وَلَا يُبَالِي بِاللَّفْظِ حَتَّى لَوْ تَمَّ لَهُ الْمَعْنَى بِلَفْظَةٍ نَبَطِيَّةٍ لَأَتَى بِهَا[1].

وَمِنْ تِلْكَ الْمَذَاهِبِ طَرِيْقَةٌ كَانَ يَذْهَبُ إِلَيْهَا حُكَمَاءُ الشِّعْرِ، كَأَبِي العَتَاهِيَّةِ وَابنِ عَبْدِ القُدُّوسِ وَالْمُتَنَبِّي وَالْمَعَرِّيّ وَأَفْرَادِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ، وَهِيَ إِيْدَاعُ الدُّرِّ فِيْ الصَّدَفِ أَوْ خَلْقُهُ فِيْهِ؛ فَكَانَ الوَاحِدُ مِنْهُمْ يَقَعُ عَلَى قَوْلِ الحَكِيْمِ فَيَقْتَطِفُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحُوْزُهُ بِمَا يَسْتَفْرِغُ فِيْهِ مِنْ جَهْدِهْ، كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّي:

إِنَّا لَفِــي زَمَــنٍ تَــرْكُ القَبِــيْحِ بِــهِ ... مِــنْ أَكْثَــرِ النَّــاسِ إِحْسَــانٌ وَإِجْمَــالُ

قَالُوا: أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الحَكِيْمِ: مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى فِعْلِ الفَضَائِلِ فَلْتَكُنْ فَضَائِلُهُ تَرْكَ الرَّذَائِلِ.

وَقَوْلِهِ:

وَإِذَا كَانَــتِ النُّفُــوْسُ كِبَــاراً ... تَعِبَــتْ فِيْ مُرَادِهَــا الأَجْسَــامُ

مِنْ قَوْلِ الآخَرِ: إِذَا كَانَتِ الشَّهْوَةُ فَوْقَ القُدْرَةِ كَانَ هَلَاكُ الجِسْمِ قَبْلَ بُلُوْغِ الشَّهْوَةِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ:

وَإِذَا لَمْ يَكُــنْ مِــنَ الْمَــوْتِ بُــدٌّ ... فَمِــنَ العَجْــزِ أَنْ تَكُــوْنَ جَبَــانَا

ذَكَرُوا أَنَّهُ لِبَعْضِ الحُكَمَاءِ فِيْ قَوْلِهِ: خَوْفُ وُقُوْعِ الْمَكْرُوْهِ قَبْلَ تَنَاهِي الْمُدَّةِ خَوَرٌ فِيْ الطَّبِيْعَةِ وَذِلَّةٌ. وَمَا أُرَاهُ إِلَّا مِنْ قَوْلِ جَرِيْرٍ:

---

(1) وَجَدُوا هَذِهِ الكَلِمَةَ فِيْ تَسْطِيْرَاتِ ابنِ الرُّوْمِيّ فِيْ بَعْضِ أَعْذَارِهِ عَنْ أَبِي تَمَّامٍ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْمُرَادَ مَعْنَى الصَّنْعَةِ البَدِيْعِيَّةِ لَا مَعْنَى الكَلَامِ.

قُـــلْ لِلْجَبَـــانِ إِذَا تَأَخَّـــرَ سَـــرْجُهُ هَـلْ أَنْـتَ مِـنْ شَـرَكِ الْمَنِيَّــةِ نَاجِـي

غَيْرَ أَنَّ أَبَا الطَّيِّبِ رَحِمَهُ اللهُ كَانَ يَدِبُّ إِلَى عَرَائِسِ الْمَعَانِي فِيْ غَيْرِ ظَلَامٍ، وَيَسْتَيْقِظُ لَهَا وَالقَوْمُ غَيْرُ نِيَامٍ، وَلِذَلِكَ وَجَدَهَا مَعَهُ كَمَا فِيْ قَوْلِهِ: قَلَقُ الْمَلِيْحَةِ وَهِيَ مِسْكٌ، هَتْكِهَا.. وَكَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ هَيْبَةِ الكَلَامِ أَحْيَاناً مَا يُسِيءُ مَعَهُ الاتِّبَاعَ أَوْ يَبْلُغَ بِهِ إِلَى إِفْسَادِ الْمَعْنَى؛ وَكَذَلِكَ كَانَ البُحْتُرِيُّ فِيْ بَعْضِ سَرَقِهِ مِنْ أَبِي تَمَّامٍ، وَكَثِيْرٌ غَيْرُهُمَا، مِمَّنْ أَذْهَلَتْهُ الْمُعَارَضَةُ فَلَمْ يَتَتَبَّعْ عَلَى نَفْسِهِ.

وَجُمْلَةُ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ البَاحِثُوْنَ وَوَقَفَ عَلَيْهِ الحَافِظُوْنَ، مِمَّا هُوَ فِيْ مَعْنَى السَّرِقَةِ أَنْوَاعٌ، مِنْهَا: الاصْطِرَافُ، وَهُوَ أَنْ يُعْجَبَ الشَّاعِرُ بِبَيْتٍ لِغَيْرِهِ فَيَصْرِفَهُ إِلَى نَفْسِهِ؛ وَيُسَمَّى: اجْتِلَاباً وَاسْتِلْحَاقاً إِذَا صَرَفَهُ عَلَى جِهَةِ الْمَثَلِ، كَقَوْلِ النَّابِغَةِ:

وَصَـهْبَاءَ لَا تُخْفِـي القَـذَى فَهُـوَ دُوْنَهَـا تَصْـــفِقُ فِيْ رَاوُوْقِهَـــا حِـــيْنَ تَقْطُـــبُ

تَمَزَّزْتُهَـــا وَالـــدِّيْكُ يَـــدْعُوْ صَـــبَاحَهُ إِذَا مَـــا بَنُـــو نَعْـــشٍ دَنَـــوا فَتَصَـــوَّبُوا

فَقَدْ اسْتَلْحَقَ الفَرَزْدَقُ البَيْتَ الأَخِيْرَ فِيْ قَوْلِهِ:

وِأَجَّانَـــــةٍ رَيَّا السُّـــــرُوْرِ كَأَنَّهَـــــا إِذَا غُمِسَـــتْ فِيْهَـــا الزُّجَاجَـــةُ كَوْكَـــبُ

تَمَزَّزْتُهَا... البَيْتَ.

فَإِنْ ادَّعَى القَائِلُ شِعْرَ غَيْرِهِ جُمْلَةً فَهُوَ انْتِحَالٌ[1]، فَإِنْ كَانَ الشِّعْرُ لِشَاعِرٍ حَيٍّ غَلَبَ عَلَيْهِ فَتِلْكَ الإِغَارَةُ وَالغَصْبُ، فَإِنْ أَخَذَهُ (هِبَةً) فَتِلْكَ الْمُرَادَفَةُ وَالاسْتِرْفَادُ –وَقَدْ اسْتَرْفَدَ نَابِغَةُ

---

(1) ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يُقَالُ مُنْتَحِلٌ إِلَّا لِمَنِ ادَّعَى شِعْرَاً لِغَيْرِهِ وَهُوَ يَقُوْلُ الشِّعْرَ، فَأَمَّا إِنْ كَانَ لَا يَقُوْلَ فَهُوَ مُدَّعٍ.

بَنِي ذُبْيَانَ زُهَيْرَاً فَأَمَرَ ابْنَهُ كَعْبَاً فَرَفَدَهُ-، فَإِنْ كَانَتِ السَّرِقَةُ فِيْمَا دُوْنَ البَيْتِ فَهُوَ اهْتِدَاءٌ، كَقَوْلِ النَّجَاشِيّ:

وَكُنْتُ كَذِيْ رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيْحَةٍ ... وَرِجْلٍ رَمَتْ فِيْهَا يَدُ الحَدَثَانِ

فَأَخَذَ كُثَيِّرٌ القِسْمَ الأَوَّلَ وَاهْتَدَمَ بَاقِيَ البَيْتِ فَقَالَ:

وَكُنْتُ كَذِيْ رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيْحَةٍ ... وَرِجْلٍ رَمَى فِيْهَا الزَّمَانُ فَشُلَّتِ

فَإِنْ تَسَاوَى الْمَعْنَيَانِ دُوْنَ اللَّفْظِ وَخَفِيَ الأَخْذُ فَذَلِكَ هُوَ النَّظَرُ وَالْمُلَاحَظَةُ، وَكَذَلِكَ إِنْ تَضَادَا وَدَلَّ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ، فَإِنْ حَوَّلَ الْمَعْنَى إِلَى غَيْرِهِ فَذَلِكَ الاخْتِلَاسُ، فَإِنْ أَخَذَ بُنْيَةَ الكَلَامِ فَقْطُ فَتِلْكَ الْمُوَارَبَةُ، فَإِنْ جَعَلَ مَكَانَ كُلِّ لَفْظَةٍ ضِدَّهَا فَذَلِكَ العَكْسُ.

قَالُوا: وَإِنْ "صَحَّ" أَنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَسْمَعْ بِقَوْلِ الآخَرِ وَكَانَا فِيْ عَصْرٍ وَاحِدٍ فَتِلْكَ (الْمُوَارَدَةُ)[1]، فَإِنْ أَلَّفَ البَيْتَ مِنْ أَبْيَاتٍ قَدْ رُكِّبَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَذَلِكَ الالْتِقَاطُ وَالتَّلْفِيْقُ؛ وَأَمْثَالُ هَذَا النَّوْعِ كَثِيْرَةٌ اليَوْمَ بَيْنَ أَيْدِيْنَا لَا يَنْفَكُّ يَلْعَنُ بَعْضُهَا بَعْضَاً، وَقَدْ ضَرَبُوا لَهُ الْمَثَلَ فِيْمَا سَبَقَ بِقَوْلِ يَزِيْدَ بنِ الطَّثْرِيَّةِ:

إِذَا مَا رَآنِيْ مُقْبِلَاً غَضَّ طَرْفَهُ ... كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ دُوْنِي يُقَابِلُهْ

فَأَوَّلُهُ مِنْ قَوْلِ جَمِيْلٍ:

---

(1) خَصُّوْهَا -كَمَا تَرَى- بِوُجُوْدِ الشَّاعِرَيْنِ فِيْ عَصْرٍ وَاحِدٍ، لِمَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِمْ فِيْ الحِفْظِ وَالرِّوَايَةِ، وَهُوَ مَشْهُوْرٌ بِحَيْثُ لَمْ يَكُنْ يَخْفَى عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ شِعْرِ الفُحُوْلِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَعْنَىً لِمُتَأَخِّرٍ يُشْبِهُ مَعْنَىً لِمُتَقَدِّمٍ حَكَمُوا بِأَنَّهَا السَّرِقَةُ؛ وَذَاكَ لَا يَنْطَبِقُ عَلَى كُلِّ الأَحْوَالِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فِيْ التَّوَارُدِ.

إِذَا مَـــا رَأَوْنِي طَالِعَـــاً مِـــنْ ثَنِيَّـــةٍ يَقُوْلُـــوْنَ مَـــنْ هَـــذَا وَقَـــدْ عَرَفُـــوْنِي

وَوَسَطُهُ مِنْ قَوْلِ جَرِيْرٍ:

فَغُـــضِّ الطَّـــرْفَ إِنَّـــكَ مِـــنْ نُمَـــيْرٍ فَـــلَا كَعْبَـــاً بَلَغْـــتَ وَلَا كِـــلَابَا

وَعَجْزُهُ مِنْ قَوْلِ عَنْتَرَةَ بنِ الأَخْرَسِ:

إِذَا أَبْصَـــــرْتَنِي أَعْرَضْـــــتَ عَـــــنِّي كَـــأَنَّ الشَّـــمْسَ مِـــنْ قِبَلِـــي تَـــدُوْرُ

وَمِنْ تِلْكَ الأَنْوَاعِ ضَرْبٌ يُسَمُّونَهُ: كَشْفَ الْمَعْنَى، كَقَوْلِ امْرِئِ القَيْسِ:

نَمُـــشُّ بِأَعْـــرَافِ الجِيَـــادِ أَكُفَّنَـــا إِذَا نَحْـــنُ قُمْنَـــا عَـــنْ شِـــوَاءٍ مُهَضَّـــبِ

كَشَفَهُ عَبَدَةُ بنُ الطَّبِيْبِ وَأَبْرَزَهُ فِيْ قَوْلِهِ:

ثُمَّـــتَ قُمْنَـــا إِلَى جُـــرْدٍ مُسَـــوَّمَةٍ أَعْـــــرَافُهُنَّ لِأَيْـــــدِيْنَا مَنَادِيْـــــلُ

وَذَكَرُوا أَنَّ مِنَ السَّرِقَةِ مَا يَكُوْنُ مَجْدُوْدَاً فِيْ الشِّعْرِ كَقَوْلِ عَنْتَرَةَ:

وَكَمَـــــا عَلَمْـــــتِ شَمَـــــائِلِي وَتَكَرُّمِـــــي

رُزِقَ جَدَّاً وَاشْتِهَارَاً عَلَى قَوْلِ امْرِئِ القَيْسِ:

وَشَمَـــائِلِي مَـــا قَـــدْ عَلَمْـــتِ وَمَـــا نَبَحَـــتْ كِلَابُـــكِ طَارِقَـــاً مِثْلِـــي

وَالتَّنْقِيْبُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فِيْ الكَثِيْرِ مِنْ شِعْرِ اليَوْمِ كَحَرَارَةِ الشَّمْسِ فِيْ الوَحْلِ: لَا تُنْضِجُهُ آجُرَّاً يُبْنَى بِهِ حَتَّى تَكُوْنَ قَدْ بَرَدَتِ الشَّمْسُ وَاسْتَحَالَتْ فَحْمَةً سَوْدَاءَ، وَطُوِيَتْ الأَرْضُ بِمَنْ عَلَيْهَا. فَلَوْ نَطَقَتِ الْمَدَافِعُ بِسَرِقَاتِ هَؤُلَاءِ الشُّعَرَاءِ مَا سَمِعَ أَحَدٌ، وَمَنْ فُتِقَ مَسْمَعُهُ فَهَيْهَاتَ أَنْ يَعِيَ، وَإِنْ وَعَى فَمَبْلَغُ مَا يَكُوْنُ مِنْهُ أَنْ لَا يَزِيْدَ عَلَى الأَسَفِ.

وَلَوْ أَنَّ الحَسْرَةَ تُؤَثِّرُ شَيْئَاً لَانْقَلَبَ الجَوُّ نَارَاً، وَلَكِنَّا نُنْصِفُ القَوْمَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَهَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْهِمْ بِالحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ.

مقدمة الجزء الثالث من ديوان الرافعي

[1906 - 1324][1]

نَوْعٌ مِنْ نَقْدِ الشِّعْرِ

الشِّعْرُ تَصْوِيْرُ عَالَمٍ حَيٍّ مِنَ الْمَعَانِيْ وَالأَلْفَاظِ، فَالْمُجِيْدُ مَنْ جَعَلَهُ مُخْتَصَرَاً مِنْ صُوْرَةِ العَالَمِ كُلِّهِ، وَلَا بُدَّ فِيْهِ مِنْ شُعَاعٍ مِنَ الرُّوْحِ إِذَا تَجَرَّدَتْ لَهُ النَّفْسُ امْتَزَجَتْ لَطَافَتُهَا بِلَطَافَتِهِ، وَرُبَّمَا أُخِذَ المرْءُ بِلَذَّةِ التَّصَوُّرِ فَظَنَّهَا فِيْ مَكَانِ نَفْسِهِ وَحَسِبَ نَفْسَهُ فِيْ مَكَانِهِ.

وَنَحْنُ نَاظِرُوْنَ إِلَى نَقْدِ الشِّعْرِ مِنْ هَذِهِ الجِهَةِ الَّتِيْ يَتَمَثَّلُ فِيْهَا حَيَّاً مِنَ الأَحْيَاءِ، تَتَنَازَعُ أَنْوَاعُهُ البَقَاءَ؛ فَقَدْ أَفَاضَ الْمُتَقَدِّمُوْنَ فِيْ الأَسْبَابِ الَّتِيْ يَحْسُنُ بِهَا مَا يَحْسُنُ مِنْ ظَاهِرِهِ وَيَقْبُحُ مِنْهُ مَا يَقْبُحُ، وَجَرَّدُوا الكُتُبَ فِيْ طَبَقَاتِ الأَلْفَاظِ وَمَخَارِجِ الأَشْعَارِ وَسَقَطَاتِ الكَلَامِ، وَأَلْطَفُوا النَّظَرَ فِيْ وُجُوْهِ الْمَعَانِي وَمَوَاضِعِهَا، وَأَصَابُوا مِنْهَا صِفَةَ التَّمَكُّنِ فِيْ مَبَادِئِهَا وَمَقَاطِعِهَا، وَإِنَّكَ لَتَجِدُ فِيْمَا وَضَعُوْهُ مِنْ عُلُوْمِ البَلَاغَةِ البَحْرَ الزَّاخَرَ بِهَذِهِ الأَمْوَاجِ، وَالفَلَكَ الدَّائِرَ بِتِلْكَ الأَبْرَاجِ.

غَيْرَ أَنَّ الفَرْقَ بَيْنَ بَاطِنِ الشِّعْرِ وَظَاهِرِهِ كَالفَرْقِ الَّذِيْ يَذْكُرُهُ أَصْحَابُ "الكَلَامِ" بَيْنَ الْمُعْجِزَةِ وَالحِيْلَةِ. وَانْظُرْ مَا حَدَّثَ بِهِ أَبُو ذَكْوَانَ قَالَ:

---

(1) ديوان الرافعي (3/3 - 12).

أُدْخِلْتُ إِلَى إِبْرَاهِيْمَ بنِ العَبَّاسِ وَهُوَ بِالأَهْوَازِ لِخِدْمَتِهِ، فَقَالَ: مَا تَقُوْلُ فِيْ شِعْرِ النَّابِغَةِ:

أَلَمْ تَــــرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَـــاكَ سُــــوْرَةً   تَــرَى كُــلَّ مَلِــكٍ دُوْنَهَــا يَتَذَبْــذَبُ

بِأَنَّــكَ شَمْــسٌ وَالْمُلُــوْكُ كَوَاكِــبُ   إِذَا طَلَعْــتَ لَمْ يَبْــدُ مِــنْهُنَّ كَوْكَــبُ؟

فَقُلْتُ: مَا عِنْدِي فِيْهِ إِلَّا الظَّاهِرُ الْمَشْهُوْرُ؛ يَقُوْلُ: فَضْلُكَ عَلَى الْمُلُوْكِ كَفَضْلِ الشَّمْسِ عَلَى الكَوَاكِبِ.

فَقَالَ: نَفْهَمُ مَعْنَاهُ قَبْلَ هَذَا... إِنَّمَا يَعْتَذِرُ إِلَى النُّعْمَانِ مِنْ مَدْحِهِ آلَ جَفْنَةَ الغَسَّانِيِّيْنَ وَتَرْكِهِ لَهُ، يُرِيْدُ أَنَّ لَهُ فِيْ مَدْحِهِمْ عُذْراً. أَلَا تَرَى قَوْلَهُ:

وَلَكِنَّــنِي كُنْــتُ امْــرِأً لِي جَانِــبٌ   مِــنَ الأَرْضِ فِيْــهِ مُسْــتَرَادٌ وَمَــذْهَبُ

مُلُــوْكٌ وَإِخْــوَانٌ إِذَا مَــا أَتَيْــتُهُمْ   أُحَكَّــمُ فِيْ أَمْــوَالِهِمْ وَأُقَــرَّبُ

كَحُكْمِــكَ فِيْ قَــوْمٍ أَرَاكَ اصْــطَفَيْتَهُمْ   فَلَــمْ تَــرَهُمْ فِيْ شُــكْرِهِمْ لَــكَ أَذْنَبُــوا

يَقُوْلُ: لَا تَلُمْنِي عَلَى شُكْرِيْ وَقَدْ أَحْسَنُوا إِلَيَّ إِذْ لَجَأْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانُوا أَعْدَاءَكَ، كَمَا أَحْسَنْتَ إِلَى قَوْمٍ شَكَرُوْكَ عِنْدَ أَعْدَائِكَ، فَقَدْ أَحْسَنُوا وَلَمْ يُذْنِبُوا. ثُمَّ قَالَ: اِعْمَلْ عَلَى أَنِّي أَذْنَبْتُ، فَمِنْ أَيْنَ تَجِدُ مَنْ لَا يُذْنِبُ؟

وَلَسْــتُ بِمُسْــتَبْقٍ أَخَــاً لَا تَلُمُّــهُ   عَلَــى شَــعَثٍ أَيُّ الرِّجَــالِ الْمُهَــذَّبُ

فَــإِنْ أَكُ مَظْلُوْمَــاً فَعَبْــدٌ ظَلَمْتَــهُ   وَإِنْ تَــكُ ذَا عُتْــبَى فَمِثْلُــكَ يَعْتُــبُ

يَقُوْلُ: مِثْلُكَ يَعْفُو وَيُحْسِنُ وَإِنْ كَانَ عَاتِبَاً، وَفِيْ كَرَمِكَ مَا يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَلَكَ العُتْبَى وَالرُّجُوْعُ إِلَى مَا يَجِبُ. ثُمَّ فَضَّلَهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُوْرَةً.. البَيْتَيْنِ.

يَقُوْلُ: مَا صَلُحْتَ أَنْتَ لِي، فَإِنِّي لَا أُرِيْدُ غَيْرَكَ مِنَ الْمُلُوْكِ كَمَا أَنَّ مَنْ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى النُّجُوْمِ. اهـ

فَمِثْلُ هَذَا الشَّرْحِ إِنَّمَا هُوَ تَشْرِيْحُ النَّفْسِ لِأَجْزَاءِ الكَلَامِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ القَوْلُ إِنَّمَا هُوَ غَازُ العُقُوْلِ الَّذِيْ يُضِيءُ فِيْ أَسِنَّةِ الأَقْلَامِ.

يَرْتَقِي الْمُبْتَدِئُ فِيْ الشِّعْرِ مِنْ مُطْلَقِ النَّظْمِ، الَّذِيْ هُوَ النَّمَطُ الْمُصْطَلَحُ عَلَيْهِ فِيْ إِقَامَةِ الوَزْنِ، إِلَى الفِكْرِ فِيْمَا يَجِيءُ بِهِ، فَإِذَا صَارَتْ لَهُ هَذِهِ الْمُنْزِلَةِ أَدَّتْهُ إِلَى الخَيَالِ، فَإِذَا ارْتَفَعَ شَيْئَاً بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ فِيْ جَوِّ الرُّوْحِ، الَّذِيْ يُسَمُّوْنَهُ التَّصَوُّرَ، وَهُنَاكَ حَدُّ الطَّبِيْعَةِ القَائِمُ، وَحِجَابُ الغَيْبِ القَاتِمُ؛ فَيَكُوْنُ فِيْ مَنْزِلَةِ الوَحْيِ وَالإِلْهَامِ، وَيَمُرُّ هُنَاكَ خَاطِرُهُ عَلَى النُّفُوْسِ كَمَا يَتَنَقَّلُ عَلَى الأَرْضِ ظِلُّ الغَمَامِ.

وَتِلْكَ هِيَ أَطْوَارُ الشِّعْرِ مِنْ طُفُوْلَتِهِ الَّتِيْ يَعْبَثُ فِيْهَا بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَا يَفْقَهُ شَيْئَاً، إِلَى شَبِيْبَتِهِ التي يَتَمَاسَكُ فِيْهَا وَقَاراً وَيَنْدَفِعُ، إِلَى شِدَّتِهِ الَّتِيْ تَعْتَصِمُ بِهَا الحِكْمَةُ وَتَمْتَنِعُ، إِلَى مَشِيْبِهِ الَّذِيْ هُوَ نُوْرُ الجَمَالِ، وَالحَظِّ الْمَقْسُوْمِ لَهُ مِنَ الكَمَالِ.

وَالشَّاعِرُ فِيْ الطَّوْرِ الأَوَّلِ كَالصَّبِيِّ فِيْ يَدِهِ القَوْسُ: يُغْرِقُ فِيْ نَزْعِهَا مَا يُغْرِقُ ثُمَّ لَا يَكُوْنُ إِلَّا أَنْ يَسْمَعَ لَهَا إِرْنَاناً ضَعِيْفَاً فَلَا هُوَ غَلَبَ وَهْمَهُ، وَلَا رَمَى سَهْمَهُ، فَإِذَا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ وَانْتَقَلَ إِلَى الطَّوْرِ الثَّانِي كَانَ فِيْ مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الخَطَأِ وَالصَّوَابِ، فَإِذَا بَلَغَ إِلَى الثَّالِثِ أَحْكَمَ التَّسْدِيْدَ، وَاسْتَوَى عِنْدَهُ فِيْ الإِصَابَةِ مَا كَانَ مِنْ قَرِيْبٍ وَمَا كَانَ مِنْ بَعِيْدٍ، وَمَتَى صَارَ إِلَى الطَّوْرِ الرَّابِعِ -وَهُوَ مُنْتَهَى كَمَالِهِ- حَسِبَ تَوَزُّعَ الطَّيْرِ فِيْ الجَوِّ لِمَخَافَتِهِ، وَتَفَرُّقَ الوَحْشِ فِيْ البَرِّ لِمَهَابَتِهِ، وَصَارَتْ نَظْرَتُهُ هِيَ السَّهْمُ لِأَنَّهُ فِيْ أَثَرِهَا، وَلَفْظَتُهُ عَنِ القَنِيْصَةِ هِيَ القَضَاءُ لِأَنَّهُ

فِيْ خَبَرِهَا.

وَمَا يَكُنْ مِنْ عَيْبٍ فِيْ الشَّاعِرِ، فَلَنْ تَجِدَ فِيْهِ كَتَسَلُّطِ فِكْرِهِ عَلَيْهِ وَعَبَثِهِ بِقَوَافِيْهِ؛ فَتَرَاهُ يَنْظُمُ الكَلِمَةَ أَبْيَاتاً لَا مَعْرِفَةَ بَيْنَ أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا، ثُمَّ يَجِيْءُ بَعْدَ جَفَافِ الرِّيْقِ وَتَخَلْخُلِ اللِّسَانِ وَانْقِطَاعِ النَّفَسِ فَيُمْضِي فِيْهَا اخْتِيَارَهُ وَيَأْخُذُ فِيْ التَّوْفِيْقِ بَيْنَهَا وَهِيَ مُتَنَافِرَةٌ، وَيَعْمَلُ عَلَى التَّعْرِيْفِ وَهِيَ لَا تَزَالُ مُتَنَاكِرَةً؛ فَمِثْلُ الكَثِيْرِ مِنْ هَذَا الشِّعْرِ مِثْلُ الكَلِمَةِ الْمُفْرَدَةِ: إِذَا نُطِقَتْ بِجُمْلَتِهَا أَدَّتْ إِلَيْكَ مَعْنَاهَا عَلَى أَتَمِّ مَا يَكُوْنُ، فَإِذَا فَكَّكْتَ أَحْرُفَهَا وَلَفَظْتَهَا حَرْفاً حَرْفاً انْقَلَبَتْ إِلَى قَوْلٍ هُرَاءٍ، وَلَمْ تَزِدْ عَلَى أَنْ تَكُوْنَ أَصْوَاتاً ذَاهِبَةً فِيْ الهَوَاءِ.

وَأُوْلَئِكَ هُمُ الَّذِيْنَ قَالَ فِيْ شِعْرِهِمْ ابنُ مَيَّادَةَ إِنَّهُ: "كُلْفَةٌ وَتَمَلُّحٌ"[1].

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِكْرُ الشَّاعِرِ عِنْدَ إِرَادَتِهِ، وَلَمْ تَكُنْ إِرَادَتُهُ عِنْدَ اتِّجَاهِ عَوَاطِفِهِ= أُخِذَتْ عَلَيْهِ مَنَافِذُ القَوْلِ فَاخْتَلَّ، وَاضْطَرَبَتْ جِهَاتُ رَأْيِهِ فَانْحَلَّ، وَصَارَ مِنْ نُضُوْبِ الْمَادَّةِ فِيْ آخِرَةِ أَمْرِهِ كَمَنْ يَكْتُبُ بِقَلَمٍ لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا مِسْحَةٌ مِنْ رَدَغِ الْمِدَادِ: فَكُلَّمَا كَدَّهُ جَمَدَ، وَكُلَّمَا هَزَّهُ رَكَدَ، فَإِذَا كَتَبَ مَعْ ذَلِكَ جَاءَ الحَرْفُ مُفَرَّقَ الجِهَاتِ لَئِيْماً فِيْ الحُرُوْفِ، فَلَا هُوَ كِتَابَةٌ وَلَا هُوَ مَحْوٌ.

وَلَمْ أَرَ فِيْمَا هُوَ بِسَبَبٍ مِنْ هَذَا النَّوْعِ كَاضْطِرَابِ أَبِي كَبِيْرٍ الهُذَلِيِّ فِيْ مَطْلَعِهِ الَّذِيْ لَمْ يَكُنْ فِيْ الشِّعْرِ أَصْبَرُ مِنْهُ عَلَى سُوْءِ عَبَثِ صَاحِبِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

---

(1) ذَلِكَ قَوْلُهُ:

فَجَّرْنَا يَنَابِيْعَ الكَلَامِ وَبَحْرَهُ = فَأَصْبَحَ فِيْهِ ذُوْ الرِّوَايَةِ يَسْبَحُ

وَمَا الشِّعْرُ إِلَّا شِعْرُ قَيْسٍ وَخَنْدَفٍ = وَشِعْرُ سِوَاهُمْ كُلْفَةٌ وَتَمَلُّحُ

أَزُهَـيْرٌ هَـلْ عَـنْ شَـيْبَةٍ مِـنْ مَعْـدَلِ   أَمْ لَا سَــــبِيْلَ إِلَى الشَّــــبَابِ الأَوَّلِ

ثُمَّ اضْطَرَبَ فِيْهِ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ: أَزُهَيْرٌ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرَفِ.

ثُمَّ عَادَ فَقَالَ: أَزُهَيْرٌ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَعْكَمٍ، أَيْ: مَحْبَسٍ.

وَرَوَى الأَصْمَعِيُّ فِيْ الرَّابِعَةِ أَنَّهُ قَالَ: مِنْ مُقْصِرِ...

وَرُوِيَتْ لَهُ خَامِسَةٌ: مِنْ مَعْكَرِ... وَهِيَ بِلَّةُ هَذَا الطِّيْنِ.

وَلَا أَظُنُّ أَنَّ شَاعِرَاً يَتَخَلَّصُ إِلَى مِثْلِ هَذَا، وَلَكِنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ نَوْعٌ مِنْ ضَغْطِ الفِكْرِ عَلَى الإِرَادَةِ، وَهُوَ قَرِيْبٌ كَمَا تَرَى مِنْ ضَغْطِ الحُمَّى عَلَى الفِكْرِ؛ فَكِلَاهُمَا هُذْيَانٌ، وَإِنْ كَانَ مِنْهُ مَعْقُوْلٌ وَغَيْرُ مَعْقُوْلٍ.

وَلَقَدْ يَحَارُ الْمَرْءُ إِذَا نَظَرَ فِيْ شِعْرِ العَرَبِ وَرَأَى الكَثِيْرَ مِنْهُ لَا يَتَعَدَّى الوَزْنَ وَالتَّقْفِيْةَ، وَلَكِنَّ أَكْبَرَ حَظِّ القَوْمِ مِنْ شِعْرِهِمْ أَنْ يَنْقُلُوا الكَلَامَ إِلَى نَمَطٍ يَتَّفِقُ مَعَ النَّغَمِ، كَمَا تَرَى فِيْ غِنَاءِ هَذِهِ الأَيَّامِ؛ فَهُوَ لَا يَزِيْدُ عَنْ سَائِرِ الكَلَامِ إِلَّا النَّمَطَ وَالإِيْقَاعَ، بِحَيْثُ أَنَّكَ لَوْ سَمِعْتَهُ وَقَدْ جُرِّدَ مِنْ أَلْحَانِهِ لَخَرَجَتْ مِنْهُ عَلَى حِسَابِ مَا دَخَلْتَ فِيْهِ: لَا طَرَبٌ وَلَا عَجَبٌ.

وَالغِنَاءُ عَلَى أَيِّ وُجُوْهِهِ يَنْقُلُ النَّفْسَ مِنْ تَنْقِيْبِهَا بَيْنَ الأَلْفَاظِ عَمَّا هُوَ حَسَنٌ وَغَيْرُ حَسَنٍ إِلَى تَحَرُّكِهَا عَلَى الأَلْفَاظِ نَفْسِهَا، وَإِنَّمَا النَّظْمُ العَرَبِيُّ أَوْزَانٌ مُوْسِيْقِيَّةٌ؛ فَكُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَ العَرَبِ مِنَ الشُّعَرَاءِ لَا يَنْظُرُ إِلَّا فِيْ أَعْطَافِ اللَّفْظِ، وَتَلَاحُمِ الكَلِمَاتِ، وَانْتِظَامِ تِلْكَ الْمَعَانِيْ القَدِيْمَةِ= فَهُوَ مِنَ الجَاهِلِيَّةِ الثَّانِيْةِ، وَإِنْ كَانَ الأَوَّلُوْنَ قَدْ سُمُّوا جَاهِلِيَّةً لِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ فَهَؤُلَاءِ لِعِبَادَةِ الأَوْزَانِ.

وَيَكَادُ شِعْرُ العَرَبِ يَنْحَصِرُ فِيْ غَرَضَيْنِ: الشَّاهِدُ وَالْمَثَلُ، فَقَدْ كَانُوا لَا يَطْلُبُوْنَ مِنَ الشِّعْرِ غَيْرَهُمَا كَمَا لَا يَطْلُبُوْنَ مِنَ الخَبَرِ إِلَّا الأَيَّامَ وَالْمَقَامَاتِ، وَكَانَ أَبْدَعُ مَا يَرُوْجُ عَنْهُمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَاقَ الخَبَرِ وَمَضْرَبَ الْمَثَلِ وَمَقْطَعَ الحِكْمَةِ، وَالحَكِيْمُ فِيْهِمْ يَوْمَئِذٍ نَبِيٌّ.

اِعْتَبِرْ ذَلِكَ بِمَا تَجِدُهُ فِيْ أَخْبَارِ الرُّوَاةِ إِذَا أَرْسَلُوا عَنْهُمْ بَيْتاً مِمَّا نَحْنُ بِصَدَدٍ مِنْهُ، وَهُوَ شَيْءٌ مُسْتَفِيْضٌ فِيْ كَلَامِهِمْ؛ فَقَدْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالأَصْمَعِيُّ يُنْشِدَانِ بَيْتَيْ الطِّرِمَّاحِ، وَخَيْرُهُمَا قَوْلُهُ فِيْمَنْ يَضْرِبُ فِيْ الأَرْضِ:

يَبْــدُوْ وَتُضْــمِرُهُ الــبِلَادُ كَأَنَّــهُ ... سَــيْفٌ عَلَــى شَــرَفٍ يُسَّــلُ وَيُغْمَــدُ

وَيَقُوْلَانِ: هَذَا أَشْعَرُ النَّاسِ فِيْ هَذَيْنِ[1].

وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو بنُ العَلَاءِ يَقُوْلُ: لَوْ ضُرِبَ زُهَيْرٌ أَسْفَلَ قَدَمَيْهِ مِائَتَيْنِ عَلَى أَنْ يَقُوْلَ مِثْلَ قَوْلِ النَّابِغَةِ:

فَإِنَّــكَ كَاللَّيْــلِ الَّــذِيْ هُــوَ مُــدْرِكِي ... وَإِنْ خِلْــتُ أَنَّ الْمُنْتَــأَى عَنْــكَ وَاسِــعُ[2]

مَا قَالَهُ... وَزُهَيْرٌ أَشْعَرُ الجَاهِلِيَّةِ فِيْ كَثِيْرٍ مِنْ شِعْرِهْ.

---

(1) البَيْتُ الأَوَّلُ قَوْلُهُ وَهُوَ كَمَا تَرَى..

مُجْتَابُ حُلَّةِ بَرْجَدٍ لِسَرَاتِهِ = قِدَدَاً وَأَخْلَفَ مَا سِوَاهُ البَرْجَدُ

(2) اِنْتَقَدَ الأَصْمَعِيُّ هَذَا البَيْتَ فَقَالَ: أَمَّا تَشْبِيْهُهُ الإِدْرَاكَ بِاللَّيْلِ فَقَدْ تَسَاوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِيْمَا يُدْرِكَانِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ سَبِيْلُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمَا لَا قَسِيْمَ لَهُ حَتَّى يَأْتِيَ بِمَعْنىً مُنْفَرِدٍ. اهـ

وَلَيْسَ كَمَا فَهِمَ؛ فَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَإِنْ تَسَاوَيَا فِيْمَا يُدْرِكَانِهِ إِلَّا أَنَّ اللَّيْلَ مُضِلٌّ يَأْخُذُ بِالْمَذَاهِبِ، وَيَحْبِسُ الذَّاهِبَ، وَيَقْبِضُ البَصَرَ، غَيْرَ مَا فِيْهِ مِنَ الرَّوْعِ وَالهَوْلِ وَتَعْفِيَةِ الأَثَرِ؛ وَهُوَ مَا أَرَادَهُ النَّابِغَةُ، فَإِنَّ هَذَا البَيْتَ مِنْ بَعْضِ قَصَائِدِهِ الَّتِيْ يَعْتَذِرُ فِيْهَا إِلَى النُّعْمَانِ.

وَعَنِ الأَصْمَعِيّ أَنَّ أَبْرَعَ بَيْتٍ قَالَتْهُ العَرَبُ قَوْلُ أَبِي ذُؤَيْبٍ:

وَالـــــنَّفْسُ رَاغِبَـــــةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَـــــا وَإِذَا تُـــــرَدُّ إِلَى قَلِيْـــــلٍ تَقْنَـــــعُ

وَمِنْ هَهُنَا تَجِدُ مَثَارَ الخِلَافِ فِيْ قَوْلِهِمْ: هَذَا أَشْعَرُ النَّاسِ فِيْ كَذَا وَذَلِكَ أَشْعَرُ الشُّعَرَاءِ.. وَغَيْرُهُمَا أَشْعَرُ الإِنْسِ وَالجِنِّ، وَهَلُمَّ جَرَّاً.

وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَفِيْ شِعْرِهِمْ مِنَ الطُّرَفِ الْمَسْتَنْكَرَةِ مَا يَغْلُظُ عَلَى الطَّبْعِ وَيَثْقُلُ عَلَى الذَّوْقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُشَبِّهُ وَجْهَ الحَسْنَاءِ بِبَيْضَةِ النَّعَامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُشَبِّهُ جِسْمَهُ النَّاحِلَ بِأَشْلَاءِ اللِّجَامِ... إِلَى غَيْرِ هَذَا مِمَّا تُهَجِّنَهُ الحَضَارَةُ، وَلَهُمْ مَعْ ذَلِكَ وَجْهُ عُذْرٍ فِيْهِ وَمُنْفَسَحٌ لِلَّوْمِ عَنْهُ.

وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهُ مَأْخَذَاً عَلَى قَوْمٍ جَاؤُوا بَعْدَهُمْ، فَجَعَلُوا الشِّعْرَ صُوَرَاً مِنْ تِلْكَ الْمَعَانِي تَتَخَطَّرُ فِيْ حِليً مِنَ الأَلْفَاظِ، عَلَى أَكْثَرِهَا صَدَأُ الرَّكَاكَةِ وَغُبَارِ القِدَمِ.. فَتَرَاجَعُ الشِّعْرُ بَيْنَهُمْ وَتَعَطَّلَتْ قَرَائِحُهُمْ، حَتَّى أَصْبَحُوا فِيْ اتِّصَالِهِمْ بِمَتْنِ أُوْلَئِكَ الشُّعَرَاءِ كَمَا شَبَّهَ أَبُو هَفَّانَ شِعْرَ آلِ أَبِي حَفْصَةَ الَّذِيْنَ كَانَ آخِرُ شُعَرَائِهِمْ مُتَوَّجَاً -وَكَانَ رَجُلَاً سَاقِطَاً- وَذَلِكَ فِيْ قَوْلِهِ: شِعْرُ آلِ أَبِي حَفْصَةَ بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ الحَارِّ؛ ابْتِدَاؤُهُ فِيْ نِهَايَةِ الحَرَارَةِ، ثُمَّ تَلِيْنُ حَرَارَتُهُ، ثُمَّ يَفْتُرُ، ثُمَّ يَبْرُدُ، وَكَذا كَانَتْ أَشْعَارُهُمْ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ الْمَاءَ لَمَّا انْتَهَى إِلَى مُتَوَّجٍ جَمَدَ...

وَمَا زَالَ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالُهُمْ يَأْخُذُوْنَ الشِّعْرَ عَلَى الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَيَدُسُّوْنَهُ فِيْ أَسْمَاعِ النَّاسِ وَصْفَاً وَغَزَلَاً وَمَدِيْحَاً وَهِجَاءً، وَلَا أَرَى لَهُمْ فِيْ ذَلِكَ مِنْ مَثَلٍ إِلَّا مَا قِيْلَ عَنْ مَرْوَانَ الأَصْغَرِ بنِ أَبِي الجَنُوْبِ مِنْ أَنَّهُ دَخَلَ مَرْةً عَلَى أَشْنَاسَ وَقَدْ مَدَحَهُ بِقَصِيْدَةٍ، فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا، فَجَعَلَ أَشْنَاسُ يُحَرِّكُ رَأْسَهُ وَيُوْمِئُ بِيَدَيْهِ وَيُظْهِرُ طَرَبَاً وَسُرُوْرَاً، وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَهُ

كَاتِبُهُ: رَأَيْتُ الأَمِيْرَ قَدْ طَرِبَ وَحَرَّكَ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ لِمَا كَانَ يَسْمَعُهُ، فَقَدْ فَهِمَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَيَّ شَيْءٍ كَانَ يَقُوْلُ؟ قَالَ: مَا زَالَ يَقْرَأُ عَلَيَّ "رُقْيَةَ الخُبْزِ" حَتَّى حَصَّلَ مَا أَرَادَ وَانْصَرَفَ[1]...

وَأَعْجَبُ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ فِيْ تَارِيْخِ الشِّعْرِ: أَنَّهُ كَانَ عَصْرٌ يُسَمُّوْنَ فِيْهِ الْمُوَلَّدَ بِ(الرَّقِيْقِ)، ثُمَّ صَارَ هَذَا الاِسْمُ عَلَمَاً بِالغَلَبَةِ وَأُطْلِقَ عَلَى الغَزَلِ السَّبْطِ وَالرِّثَاءِ السَّائِلِ، ثُمَّ عَدُّوا مِنْهُ أَنْوَاعَاً عَرَّفُوْهَا بِ(الأَلْفَاظِ الْمُلُوْكِيَّةِ) وَأَجْرَوْهَا فِيْ بَعْضِ التَّشْبِيْهَاتِ وَالأَوْصَافِ وَمَا إِلَيْهَا؛ كَأَنَّ الشِّعْرِ كَانَ مَقْضِيَّاً عَلَيْهِ أَنْ يَبْقَى فِيْ الْمَوْتَى حَتَّى يَمُوْتَ الأَمْوَاتُ، وَأَنْ يَكُوْنَ أَهْلُهُ نُصُبَاً عَلَى جَانِبَيْ تِلْكَ البَطْحَاءِ الَّتِيْ كَانَ فِيْهَا شُعَرَاءُ الجَاهِلِيَّةِ! وَحَسْبُكَ أَنَّ أَعْدَاءَ ابنِ الْمُعْتَزِّ لَمْ يُزْرُوا عَلَى غَيْرِ نَحْتِهِ وَسَبْكِهِ وَلَمْ يُحَاوِلُوا إِسْقَاطَهُ إِلَّا مِنْ بَيْنِهَا، وَهُوَ بِالإِجْمَاعِ فِيْ السَّطْحِ مِنْ طَبَقَاتِ الشُّعَرَاءِ.

وَمُنْتَهَى الحُمْقِ أَنْ يَتَّخِذَ مُوَلَّدٌ ذَلِكَ النَّمَطَ الجَاهِلِيَّ، فَإِنَّ السِّرَّ فِيْ بَقَاءِ شِعْرِ الجَاهِلِيَّةِ وَالْمُخَضْرَمِيْنَ بَعْدَ أَهْلِهِ حَاجَةُ الرُّوَاةِ وَالعُلَمَاءِ إِلَى الشَّاهِدِ مِنْهُ، فَلَمَّا أَسْقَطُوا الاسْتِشْهَادَ بِكَلَامِ الْمُوَلَّدِيْنَ؛ لِمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الغَلَطِ وَلِضَعْفِ الثِّقَةِ بِلُغَتِهِمْ، سَقَطَتْ هَذِهِ الطَّبَقَةُ بِعِلَّةٍ طَبِيْعِيَّةٍ وَهِيَ سُنَّةُ (بَقَاءِ الأَنْسَبِ).

وَالعَرَبُ إِنَّمَا ابْتَدَأَتِ الشِّعْرَ بِمَا كَانَ عِنْدَهَا مِنْ جَزَالَةِ اللَّفْظِ، وَإِتْقَانِ بُنْيَةِ القَرِيْضِ، وَإِحْكَامِ عَقْدِ القَافِيَةِ وَنَحْوِهَا مِمَّا هُوَ طَبِيْعَةٌ فِيْهِمْ، فَكَانَ عَلَى مَنْ يَخْلِفُهُمْ أَنْ يَأْخُذَ فِيْ زُخْرُفِ

(1) قَالُوا: أَوَّلُ مَنْ تَكَسَّبَ بِالشِّعْرِ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ حِيْنَ قَبِلَ الصِّلَةَ عَلَى شِعْرِهِ وَخَضَعَ لِلنُّعْمَانِ (فَسَقَطَتْ مَنْزِلَتُهُ) وَأَثْرَى. وَإِنَّمَا كَانَتِ العَرَبُ قَبْلَهُ تَقُوْلُ الشِّعْرَ فُكَاهَةً أَوْ مُكَافَأَةً عَلَى يَدٍ.

البِنَاءِ وَزِيْنَتِهِ بَعْدَ أَنْ يَكُوْنَ قَدْ تَمَّ مِنْهُ مَا لَمْ يَتُمَّ، وَهُوَ الَّذِيْ فَعَلَهُ أَبُو تَمَّامٍ وَالْمُتَنَبِّيُّ وَمَنْ فِيْ طَبَقَتِهِمَا مِنْ أَهْلِ القُوَّةِ وَالكِفَايَةِ، ثُمَّ كَانَ عَلَى مَنْ يَجِيْءُ بَعْدُ هَؤُلَاءِ أَنْ يَزِيْدُوا فِيْهِ مَنْ تُحَفِ عُصُوْرِهِمْ وَمَدَنِيَّتِهَا طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ، حَتَّى يَكُوْنَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ دِيْوَاناً لِلتَّارِيْخِ تُرَتَّبُ فِيْهِ العُصُوْرُ، وَتَقِفُ عَلَى أَبْوَابِهِ الدُّهُوْرُ؛ وَلَكِنَّا نَجِدُ إِلَى عَهْدِنَا طَوَائِفَ تَنْقُضُ ذَلِكَ البِنَاءَ وَتُقِيْمُ عَلَى أَسَاسِهِ، فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَقَعَ الاثْنَانِ مَعاً.

وَالشِّعْرُ أَقْسَامٌ كَانَتْ مَحْدُوْدَةً عَلَى مَا نَوَّعَهَا أَبُو تَمَّامٍ فِيْ حَمَاسَتِهِ، ثُمَّ جَاءَ مَنْ تَفَنَّنَ فِيْهَا وَذَهَبَ بِهَا كُلَّ مَذْهَبٍ كَابْنِ أَبِي الإِصْبَعِ وَغَيْرِهِ؛ وَقَرَأْتُ أَنَّ البَدِيْعَ الإِسْطِرْلَابِيَّ رَتَّبَ دِيْوَانَ ابْنِ حَجَّاجٍ[1] عَلَى مَائَةٍ وَأَرْبَعِيْنَ بَاباً وَوَاحِدٍ ثُمَّ قَفَّى كُلَّ بَابٍ وَجَعَلَهُ فِيْ فَنٍّ مِنْ فُنُوْنِ شِعْرِ الرَّجُلِ.

وَلَكِنَّ الَّذِيْ قُطِعَ بِالشِّعْرِ العَرَبِيِّ دُوْنَهُ إِنَّمَا هُوَ النَّوْعُ الَّذِيْ يُسَمِّيْهِ الإِفْرَنَجُ بِالشِّعْرِ القَصَصِيِّ، وَمِنْهُ الْمَلَاحِمُ الكُبْرَى عِنْدَهُمْ كَالإِلْيَاذَةِ وَغَيْرِهَا، وَالبَسِيْطُ مِنْهُ نَادِرٌ فِيْ العَرَبِيَّةِ، بَلْ هُوَ فِيْ بَسْطَتِهَا كَالظِّلِّ شَيْءٌ كَلَا شَيْءٍ... حَتَّى إِنَّ أَبَا هِلَالٍ العَسْكَرِيَّ لَمَّا أَوْرَدَ فِيْ كِتَابِهِ الَّذِيْ سَمَّاهُ "دِيْوَانُ الْمَعَانِي"[2] أَبْيَاتَ وَضَّاحِ اليَمَنِ الْمَشْهُوْرَةَ الَّتِيْ أَوَّلُهَا:

---

(1) ابنُ حَجَّاجٍ هَذَا رَجُلٍ مِنْ شُعَرَاءِ العِرَاقِ كَانَ فِيْ القَرْنِ الرَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ كَثِيْرَ السُّخْفِ فِيْ شِعْرِهِ؛ يَمْزُجُهُ بِلُغَاتِ الخُلْدِيِيْنَ وَالْمُكَدِّيْنَ وَأَمْثَالِهِمْ، وَهُوَ النَّمَطُ الَّذِيْ انْفَرَدَ بِهِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ كَمَا قَالَ الثَّعَالِبِيُّ صَاحِبُ اليَتِيْمَةِ: مُلَحُ ابنِ حَجَّاجٍ لَا تَنْتَهِي حَتَّى يُنْتَهَى عَنْهَا. وَاسْمُ هَذَا الْمَجْمُوْعِ الَّذِيْ رَتَّبَهُ الإِسْطِرْلَابِيُّ: دُرَّةُ التَّاجِ مِنْ شِعْرِ ابنِ حَجَّاجٍ.

(2) اِخْتَارَ العَسْكَرِيُّ هَذَا الدِّيْوَانَ مِنْ شِعْرِ الشُّعَرَاءِ إِلَى أَيَّامِهِ، وَجَعَلَهُ فِيْ اثْنَيْ عَشَرَ بَاباً.

قَالَــــــــتْ أَلَا لَا تَلِجَــــــــنْ دَارَنَا   إِنَّ أَبَانَا رَجُــــــــــــلٌ غَــــــــــــائِرُ

وَهُوَ يَذْكُرُ فِيْهَا مُحَاجَّةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبَتِهِ فِيْ مُدَافَعَةِ الوَصْلِ وَحُكْمِ الدَّلَالِ، مُتَوَخِّياً إِنَارَةَ البُرْهَانِ، وَجَلَاءَ الْمَعْنَى عَلَى وَجْهِ البَيَانِ= عَقَّبَهَا هُنَاكَ بِقَوْلِ الْمُؤَمِّلِ:

وَطَارِقَــــــاتٍ طَــــــرَقْنَنِي رَسْــــــلاً   وَاللَّيْــــــلُ كَالطَّيْلَسَــــــانِ مُعْتَكِــــــرُ

وَهِيَ مُدَافَعَةٌ كَالأُوْلَى. ثُمَّ قَالَ العَسْكَرِيُّ: وَهَذَا أَصْعَبُ مَا يُرَامُ مِنَ الشِّعْرِ، وَلَا يَكَادُ يُوْجَدُ فِيْ هَذَا الْمَعْنَى أَحْسَنُ مَنْ هَاتَيْنِ الْمَقْطُوْعَتَيْنِ.

ذَلِكَ لِأَنَّ الشِّعْرَ العَرَبِيَّ رُوْحُ هَذِهِ اللُّغَةِ، وَهُوَ مِنَ اللَّطَافَةِ بِحَيْثُ لَا يُضِيءُ فِيْهِ الْمَعْنَى إِلَّا بِشُعَاعٍ مِنَ الخَيَالِ؛ فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُقِيْمَ مِنْهُ حَدِيْثاً سَوِيَّ التَّرْكِيْبِ، كَامِلَ التَّرْتِيْبِ= زَوَتْ عَلَيْكَ القَافِيَةُ وَتَقَطَّعَ الشِّعْرُ، فَلَا تَدْرِي مِنْ أَيْنَ تَأْخُذُ وَلَا مِنْ أَيْنَ تَدَعُ، كَالنُّوْرِ اللَّطِيْفِ: تُحَاوِلُ أَنْ تُلْقِيَ عَلَيْهِ كَثَافَةَ الغِطَاءِ فَإِذَا هُوَ مُنْبَسِطٌ فَوْقَ مَا تُلْقِي، فَمَهْمَا تَأْتِ مِنْ ذَلِكَ لَا تَكُوْنُ قَدْ صَنَعْتَ شَيْئَاً.

وَرَأْسُ هَذَا الأَمْرِ عِنْدَنَا عَلَى مَا يَقُوْلُ شَبِيْبُ بنُ شُبَّةَ: حَظُّ جُوْدَةِ القَافِيَةِ وَإِنْ كَانَتْ كَلِمَةً وَاحِدَةً أَرْفَعُ مِنْ حَظِّ سَائِرِ البَيْتِ. فَلَا بُدَّ لِهَذَا النَّوْعِ فِيْ لُغَتِنَا مِنْ وَضْعٍ جَدِيْدٍ يَكُوْنُ وَسَطَاً بَيْنَ النَّثْرِ وَالنَّظْمِ، حَتَّى يَحْمِلَ الأَلْفَاظَ وَالْمَعَانِي مَعاً فَيَتَعَلَّقَ فِيْهِ الشِّعْرُ بِالنَّفْسِ وَيَمْتَدَّ السِّيَاقُ عَلَى النَّفَسِ، كَمَا فَعَلَ الأَنْدَلُسِيُّوْنَ فِيْ وَضْعِ الْمُوَشَّحَاتِ لِحَاجَتِهِمْ الَّتِيْ بَعَثَتْهُمْ عَلَيْهَا، وَالعَصْرُ يَوْمَئِذٍ لَهْوٌ وَتَرَفٌ، وَالأَدَبُ مَجْدٌ وَشَرَفٌ.

وَأَسَاسُ هَذَا الشِّعْرِ سَلَامَةُ الذَّوْقِ، فَهِيَ الحَاسَّةُ الَّتِيْ تَتَّجِهُ بِهَا النَّفْسُ إِلَى الْمَعَانِي وَتَنْقَلِبُ عَنْهَا، بَلْ هِيَ العَيْنُ الْمُرَكَّبَةُ فِيْ الرُّوْحِ تَجْمَعُ جَمَالَ الطَّبِيْعَةِ فِيْ نَظْرَةٍ وَاحِدَةٍ فَتَنْقُلُهُ إِلَى الإِحْسَاسِ، كَمَا تُمِدُّ العَيْنُ البَاصِرَةُ بِمَرْئِيَّاتِهَا وَهْمَ الْمُخَيِّلَةِ.

وَمِنَ الشُّعَرَاءِ مَنْ يَكُوْنُ سَقِيْمَ الذَّوْقِ، فَهُوَ فِيْ نَظَرِهِ إِلَى الشِّعْرِ مَعْ فَسَادِ ذَوْقِهِ كَاللِّصِّ فِيْ نَظْرَتِهِ إِلَى الحَسْنَاءِ: إِذَا وَسْوَسَ حُلِيُّهَا فِيْ مَسْمَعِهِ، يَغْفَلُ مِنْهَا عَمَّا يَنْتَبِهُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَيَنْتَبِهُ لِمَا يَغْفَلُوْنَ عَنْهُ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ طَائِفَةُ الشُّعَرَاءِ الْمُصَنِّعِيْنَ، وَهُمْ الَّذِيْنَ لَا حَظَّ لَهُمْ إِلَّا فِيْ (الصَّنْعَةِ الشِّعْرِيَّةِ)، وَفُنُوْنِهَا لَا تُعَدُّ، فَيَجِيْؤُوْنَ بِالقَصِيْدَةِ كُلُّهَا رُقَعٌ، ثُمَّ هُمْ يَتَنَافَسُوْنَ فِيْ هَذَا التَّصْدِيْرِ وَلَا يَدْرُوْنَ أَنَّ الثَّوْبَ السَّاذَجَ مِنْ قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ الرُّقَعِ كُلِّهَا وَإِنْ كَانَتْ مِنْ أَنْفَسِ الخَزِّ وَالدِّيْبَاجِ. وَانْظُرْ مَا يَكُوْنُ مَوْقِعُ هَذَا الثِّقَلِ مِنْ نُفُوْسِ الأُدَبَاءِ، فَقَدْ أَرَادَ دِيْكُ الجِنِّ الشَّاعِرُ مَرَّةً أَنْ يُهَوِّلَ عَلَى دِعْبِلٍ وَيَقْرَعَ سَمْعَهُ، فَأَنْشَدَهُ بَيْتَاً مُضْطَرِباً... فَقَالَ لَهُ دِعْبِلٌ: اِسْكُتْ! فَوَاللهِ مَا ظَنَنْتُكَ تُتِمُّ البَيْتَ إِلَّا وَقَدْ غَشِيَ عَلَيْكَ أَوْ تَشَكَّيْتَ دِمَاغَكَ، وَلَكَأَنِّي بِكَ فِيْ جَهَنَّمَ تُخَاطِبُ الزَّبَانِيَةَ، أَوْ تَخَبَّطَكَ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ.

وَالعِلَّةُ الطَّبِيْعِيَّةُ فِيْ بُؤْسِ الشُّعَرَاءِ هِيَ ذَلِكَ الإِحْسَاسُ الْمُتَّصِلُ بِالنَّفْسِ، فَكُلَّمَا غَمَرَتْهُ الْمُؤَثِّرَاتُ تَحَوَّلَ مِنْهُ بِمِقْدَارِ الضَّغْطِ بُخَارٌ رُوْحَانِيٌّ يَنْتَشِرُ حَوْلَهَا، وَذَلِكَ هُوَ الشِّعْرُ. وَقَدْ تَرَى النَّفْسُ فِيْهِ ضَوْءاً كَأَنَّهُ تَبَسُّمُ القَلْبِ الحَزِيْنِ الَّذِيْ تَشَابَهَ جَلَالُ الطَّبِيْعَةِ بِجَلَالِهِ، لِأَنَّهَا مَخْلُوْقَةٌ فِيْ رَأْيِ النَّفْسِ عَلَى مِثَالِهِ.

وَقَدْ يَكُوْنُ لِلشَّاعِرِ مُتَّسَعٌ فِيْ غُلُوِّهِ وَكِبْرِيَائِهِ عَلَى هَذِهِ الطَّبِيْعَةِ، إِلَّا فِيْ العَوَاطِفِ الَّتِيْ هِيَ رَوَابِطُ القُلُوْبِ بِالقُلُوْبِ، وَمَوْضِعُ الصِّلَةِ بَيْنَ مَا فِيْ الوُجُوْدِ وَمَا وَرَاءَ الغُيُوْبِ؛ فَقَدْ يَضْرِبُ فِيْ كَلَامِهِ بِسَيْفٍ لَمْ يُطْبَعْ، وَيَرْمِي بِقَذِيْفَةٍ لَمْ تُصْنَعْ، وَيَقْطَعُ مِنْ خُيُوْطِ الحَيَاةِ مَا لَمْ يُقْطَعْ؛ وَلَكِنَّهُ فِيْمَا دُوْنَ ذَلِكَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَذْكُرَ الحُبَّ مِنْ قَلْبٍ لَمْ يُحِبَّ، وَيُثْبِتَ لِلشَّيْءِ الَّذِيْ لَمْ يَجْرِ عَلَيْهِ حُكْمُ الوُجُوْبِ شَيْئَاً مِمَّا يَجِبُ. فَإِذَا هُوَ فَعَلَ اطْفَأَتِ الطَّبِيْعَةُ مِنْ رِوَائِهِ، وَقَامَتْ عَوَاطِفُ النَّاسِ شَاهِدَةً عَلَى كَذِبِهِ فِيْ ادِّعَائِهِ؛ وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ كِسْرَى سَمِعَ الأَعْشَى يَتَغَنَّى ذَاتَ يَوْمٍ بِقَوْلِهِ:

أَرِقْتُ وَمَا هَذَا السُّهَادُ الْمُؤَرِّقُ ... وَمَا بِيَ مِنْ سُقْمٍ وَمَا لِيَ مَعْشَقُ

فَقَالَ: مَا يَقُوْلُ هَذَا العَرَبِيُّ؟ قَالُوا: يَتَغَنَّى بِالعَرَبِيَّةِ. فَأَمَرَ أَنْ يُفَسِّرُوا قَوْلَهُ، فَقَالُوا: زَعَمَ أَنَّهُ سَهِرَ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ وَلَا عِشْقٍ، فَقَالَ: هَذا إِذاً لِصٌّ.....؟

وَلِلشِّعْرِ أَسَالِيْبُ تُنْتِجُهَا القَرَائِحُ[1]، وَلَكِنَّ جِمَاعُ القَوْلِ فِيْهَا أَنَّهَا تَمْثِيْلٌ لِلطَّبِيْعَةِ؛ فَكَأَنَّ الشَّاعِرَ يَنْقُلُ مَنَاظِرَ الأَرْضِ إِلَى الرُّوْحِ العَالِيَةِ الَّتِيْ تُرْسِلُ إِلَى الجِسْمِ شُعَاعَ الحَيَاةِ، فَتَزَيْدُ تِلْكَ الْمَنَاظِرُ فِيْ قُوَّةِ الشُّعَاعِ الإِلَهِيِّ، فَلَا يَتَّصِلُ بِالجِسْمِ حَتَّى تَفَيْضَ هَذِهِ القُوَّةُ عَلَى القَلْبِ فَتَهُزَّهُ الهَزَّةَ الَّتِيْ نَعْرِفُ مِنْهَا الطَّرَبَ.

فَأَيُّ امْرِئٍ اجْتَمَعَتْ لَهُ قُوَّةُ التَّمْثِيْلِ وَسَلَامَةُ الذَّوْقِ، وَهُمَا يَكُوْنَانِ عِنْدَ سِعَةِ العَقْلِ وَسُمُوِّ الطَّبْعِ، فَذَلِكَ الَّذِيْ هُوَ فِيْ مَعْنَاهُ بَيْنَ الْمَلَكِ وَالإِنْسَانِ، وَهُوَ الشَّاعِرُ.

---

(1) رَأَيْنَا أَنْ نُفْرِدَ هَذَا الْمَوْضِعَ بِالكَلَامِ لِأَنَّهُ تَارِيْخُ العُقُوْلِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَكُوْنُ إِنَّ شَاءَ اللهُ فِيْ مُقَدِّمَةِ دِيْوَانِ النَّظَرَاتِ.

مقدمة الجزء الأول من ديوان النظرات

[1908 - 1326][1]

مُقَدِّمَةٌ فِيْ حَقِيْقَةِ الشِّعْرِ[2]

لَيْسَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي الشِّعْرِيَّةُ إِلَّا ظِلَالَاً لِمَا فِيْ الطَّبِيْعَةِ وَإِنْ مَثَّلَتْهَا الْقُلُوْبُ حَقَائِقَ مُنْفَرِدَةً، فَإِنَّ قَلْبَ الشَّاعِرَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الطَّبِيْعَةِ كَالْمِرْآةِ: تُظْهِرُ أَشْبَاحَاً قَائِمَةً وَهِيَ عَلَى الحَقِيْقَةِ غَيْرُ أَشْبَاحٍ، وَتُمَثِّلُ لَكَ الأَرْوَاحَ فِيْ الأَجْسَامِ وَلَيْسَتْ عَلَى انْفِرَادِهَا مِنَ الأَجْسَامِ وَلَا مِنَ الأَرْوَاحِ.

فَتَرَى الشَّاعِرَ يَنْقُلُ الوَرْدَةَ إِلَى رَوْضَةِ بَيَانِهِ فَتَنْبُتُ فِيْهَا خَدَّاً، وَيَغْرُسُ الغُصْنَ النَّاعِمَ فَيَسْتَقِيْمُ هُنَاكَ قَدَّاً، وَيَأْتِيْكَ بِلَحْظَةِ العَيْنِ فَيَطْبَعُ مِنْهَا الحُسَامُ، وَيَتَنَاوَلُ ظِلَالَةَ الأَهْدَابِ فَيَرِيْشُ مِنْهَا إِلَى الأَفْئِدَةِ السِّهَامُ، أَوْ يَعْقِدُ مِنْ ظِلَالِهَا شَرَكَاً يَنْصِبُهُ لِسَوَانِحِ الْمُنَى فِيْ أَوْدِيَةِ الغَرَامِ؛ وَهُوَ فِيْ ذَلِكَ يُعِيْرُ النُّفُوْسَ أَجْنِحَةً تَرْفَعُهَا إِلَى جَوِّ الخُلُوْدِ، فَتَجْمَعُ إِلَيْهَا نُضْرَةَ العَالَمِ فِيْ نَظَرِهِ، وَتُطَالِعُهَا فِطْرَةُ الْمَادَّةِ كَأَنَّمَا تَقْرَؤُهَا مِنَ الشِّعْرِ فِيْ خَطَرِهِ.

---

(1) ديوان النظرات (ص 3 – 14).

(2) أَتَيْنَا بِشَيْءٍ كَثِيْرٍ فِيْ فَلْسَفَةِ الشِّعْرِ وَحَقِيْقَتِهِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ فِيْ الْمُقَدِّمَاتِ الثَّلَاثَةِ الَّتِيْ كَتَبْنَاهَا لِثَلَاثَةِ أَجْزَاءِ دِيْوَانِنَا الأَوَّلِ الْمَعْرُوْفِ بِدِيْوَانِ الرَّافِعِيّ، وَقَدْ جِئْنَا فِيْ كُلِّ مُقَدِّمَةٍ بِمَا لَيْسَ فِيْ الأُخْرَى، وَجِئْنَا فِيْ هَذِهِ بِمَا لَيْسَ فِيْ جَمِيْعِهَا.

وَهَذَا الْمَعْنَى فِيْ الشُّعَرَاءِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَكُوْنَ قُوَّةً أَرْضِيَّةً، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُوْنَ الشَّاعِرُ إِنْسَاناً فَوْقَ الإِنْسَانِ، وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَخْلَاقِهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَجِدُهُ إِلَّا أَقْرَبَ إِلَى الْمَلَكِ أَوْ أَقْرَبَ إِلَى الشَّيْطَانِ، وَعَلَى إِحْدَى الجِهَتَيْنِ مِنْ هَذَا التَّأْوِيْلِ يَقُوْلُ مُلْحِدُو الفَلَاسِفَةِ أَنْ الدِّيَانَاتِ مِنْ مُخْتَلَقَاتِ الشُّعَرَاءِ.

وَكَأَنَّمَا الشِّعْرُ نَوْعٌ مِنْ عِلْمِ سِيَاسَةِ النَّفْسِ، فَتَرَى الشَّاعِرَ يُدَاوِرُ الأُمُوْرَ وَيُرِيْغُهَا طَلَباً لِمَأْتَاهَا وَالْتِمَاساً لِمَا يُسِيْغُهَا، ثُمَّ يُزْعِجُ النَّفْسَ فِيْ الغَرَضِ الَّذِيْ يُلْقِيْهِ إِلَيْهَا عَنْ مَوْضِعِ الاطْمِئْنَانِ الطَّبْعِيِّ بِهِ إِلَى جِهَةٍ مِنَ الشَّكِّ الخَيَالِيِّ فِيْهِ، ثُمَّ يَرُدُّهَا إِلَى مَوْضِعِهَا الأَوَّلِ، فَتَكُوْنُ فِيْ حَرَكَتِهَا هَذِهِ قَدِ اضْطَرَبَتْ بِمِقْدَارِ مَا أُفْسِحَ لَهَا، وَهَذَا الاضْطِرَابُ هُوَ الَّذِيْ يَكُوْنُ مِنْهُ الشُّعُوْرُ.

وَالكَلَامُ لَا يُرْسَلُ إِلَّا تَمْثِيْلَاً لِلْأَغْرَاضِ الَّتِيْ تُرَادُ بِهِ، وَلَكِنَّ هَذَا التَّمْثِيْلَ عَلَى إِطْلَاقِهِ لَيْسَ مِنْ صَنْعَةِ الشِّعْرِ خَاصَّةً، بَلْ يَجِيْءُ الشِّعْرُ وَسِيْلَةً لِتَمْثِيْلِ رُوْحِ الغَرَضِ ذَاتِهِ وَإِفَاضَةِ الإِحْسَاسِ عَلَيْهَا حَتَّى تَتَفَزَّزَ، فَتَتَّصِلَ بِالنَّفْسِ، فَتَأْنَسَ بِهَا لِلشَّبَهِ الرُّوْحِيِّ بَيْنَهُمَا.

وَأَنْتَ لَا تَجِدُ لِلَفْظَةِ (الحُبِّ) مَعْنَىً كَبِيْراً فِيْ ذَاتِهَا، وَلَكِنَّ الشَّاعِرَ مَتَى وَضَعَ لَهَا صِفَةً وَهَيْئَةً؛ فَمَثَّلَ الْمُحِبَّ وَالحَبِيْبَ، وَعَقَدَ لَهَا طَرَفَيْنِ مِنَ الغَزَلِ وَالنَّسِيْبِ، وَتَنَاوَلَ أَصْوَاتَ هَذِهِ الْمَعَانِيْ فَلَحَّنَهَا عَلَى نَغَمَاتِ الأَنِيْنِ، وَجَعَلَ لَهَا مُتَنَفَّساً بَيْنَ تَأَوُّهَاتِ الحَزِيْنِ، وَاسْتَوْفَى هَذِهِ الصِّفَةَ عَلَى أُصُوْلِ التَّمْثِيْلِ الشِّعْرِيِّ، وَأَحْكَمَهَا عَلَى مُقْتَضَى صَنْعَتِهِ= فَحِيْنَئِذٍ يَنْفَتِحُ لَكَ بَابُ (الحُبِّ)، فَتَرَى عَالَماً بَيْنَ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ: تِلْكَ أَفْئِدَةٌ تَنْبُتُ بِالأَشْوَاقِ، وَهَذِهِ أَعْيُنٌ تَمْطُرُ بِالبُكَاءِ. ثُمَّ يَمْثُلُ بِكَ الخَيَالُ، فِيْ مَمْلَكَةِ الجَمَالِ، أَمَامَ ذَلِكَ العَرْشِ الَّذِيْ قَامَتْ أَرْكَانُهُ عَلَى

القُلُوْبِ، وَاسْتَوَى عَلَيْهِ دَلَالُ الحُبِّ مِمَّنْ يُسَمُّوْنَهُ الْمَحْبُوْبُ، فَأَخَذَ يَقْسِمُ الحُظُوْظَ وَيُصَرِّفُ الغُيُوْبَ، بَيْنَ أَرْوَاحٍ مُشْرِقَةٍ يَنْسَاحُ[1] ضَوْءُهَا وَأَرْوَاحٍ تَجْنَحُ لِلْغُرُوْبِ. عَلَى أَنِّي مَهْمَا بَلَغَ لَكَ هَذَا القَلَمُ فِيْ التَّصْوِيْرِ، فَلَا أُرَاهُ اسْتَمَدَّ مِنْ بَيَانِ (الحُبِّ) وَبَهَائِهِ أَكْثَرَ مِنْ تِلْكَ (النُّقْطَةِ) السَّاقِطَةِ مِنْ بَائِهِ.

وَلَيْسَ يَحْتَاجُ ذَلِكَ التَّمْثِيْلُ الَّذِيْ عَرَفْتَ فِيْ تَمَامِ تَصْوِيْرِهِ إِلَى الوَزْنِ، لَوْلَا أَنَّ الوَزْنَ أَلْحَانٌ تُسَاعِدُ الْمَعْنَى الشِّعْرِيَّ فِيْ تَهْيِئَةِ النَّشَاطِ لِلنَّفْسِ، حَتَّى لَيُخَيَّلَ إِلَيْكَ إِذَا أَنْشَدْتَ أَنَّ آخَرَ يُنْشِدُ مَعَكَ؛ فَالوَزْنُ بِهَذَا الاعْتِبَارِ كَأَنَّهُ لَوْنٌ جَدِيْدٌ فِيْ التَّصْوِيْرِ الشِّعْرِيِّ، بَلْ هُوَ لِلنَّفْسِ عِنْدَ صُوْرَةِ الشِّعْرِ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالنُّوْرِ الَّذِيْ يَتَأَلَّقُ فِيْهِ مَاءُ الصُّوْرَةِ وَيَتَلَأْلَأُ رَوْنَقُهَا، فَهُوَ يَكْشِفُ عَنْ تَمَامِ حُسْنِهَا كَمَا يَكْشِفُ الضَّوْءُ مِنَ الغَمَامَةِ عَنْ صَفَاءِ مُزْنِهَا.

وَلِهَذَا تَجِدُ مَنْ يُصَابِي الشِّعْرَ؛ فَلَا يُقِيْمُ إِنْشَادَهُ، وَلَا يَسْتَوْفِي مِنْهُ مَوَاضِعَ النَّبْرِ وَالإِرْسَالِ وَالتَّرْتِيْلِ[2]= كَمَنْ يَكْسِرُهُ فَلَا يُقِيْمُ وَزْنَهُ وَلَا يُتِمُّ حُسْنَهُ؛ وَإِنَّكَ لَتَسْمَعُهُ مِنْ كِلَيْهِمَا أَنْكَرَ صَوْتٍ، حَتَّى لَوْ بَلَغَتْ فِيْكَ رِقَّةُ الطَّبْعِ لَفَضَّلْتَ عَلَى كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهُ كَلِمَةً تُشْتَمُ بِهَا لِتَجِدَ فِيْهَا عَلَى الأَقَلِّ لَذَّةَ الحُلْمِ.

وَمِثْلُ مَا عَرَفْتَ مِنْ هَذَا مَا تَعْرِفُهُ مِنَ الشِّعْرِ الَّذِيْ انْهَدَمَ فِيْهِ رُكْنُ التَّخْيِيْلِ، فَبَقِيَ طَلَلاً، لَا هُوَ بِنَاءٌ وَلَا هُوَ فَنَاءٌ؛ فَإِنَّ الأَصْلَ فِيْ الشِّعْرِ هَذَا التَّخْيِيْلُ، ثُمَّ تَأْتِي صِحَّةُ التَّأْلِيْفِ الَّتِيْ

---

(1) يَتَبَسَّطُ.

(2) النَّبْرُ: رَفْعُ الصَّوْتِ بِبَعْضِ أَحْرُفِ الكَلِمَةِ، وَالإِرْسَالُ خِلَافُهُ، وَالتَّرْتِيْلُ: التَّمَهُّلُ وَتَحْقِيْقُ الحُرُوْفِ وَالحَرَكَاتِ.

تُجَدِّدُ مَادَّتَهُ فِيْ انْتِبَاهِ مَنْ يُلْقَى إِلَيْهِ. وَمَا يُقْطَعُ بِالشَّاعِرِ إِلَّا وَقَدْ ضَعُفَ مَعَهُ نِظَامُ الْمُنَاسَبَاتِ، وَهُوَ صِحَّةُ التَّأْلِيْفِ الَّتِيْ قَوَامُهَا التَّخَيُّلُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْتَطِيْعُ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ كُلَّهُ فِيْ قَصِيْدَةٍ وَاحِدَةٍ إِذَا هُوَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَجِدَ الْمُنَاسَبَاتِ التي تُؤَلِّفُ بَيْنَ مُفْرَدَاتِهِ الْمُتَنَافِرَةِ.

وَتَرَى بَيْنَ مُنْتَحِلِي الشِّعْرِ مَنْ لَا يَجِدُ فِيْ طَبْعِهِ قُوَّةَ التَّخْيِيْلِ، فَكُلَّمَا نَظَمَ أَخْلَى[1]، وَلِذَلِكَ يَعْمَدُ إِلَى الأَلْفَاظِ الَّتِيْ هِيَ مَظِنَّةُ الشِّعْرِ؛ كَالَّتِيْ تُعَبِّرُ عَنِ العَوَاطِفِ مَثَلاً، فَلَا يَزَالُ بِهَا حَتَّى يَقَعَ مِنْهَا عَلَى الحِيْلَةِ فِيْ إِخْرَاجِهَا مُخْرَجَ الشِّعْرِ عَلَى مَا يَتَوَهَّمُ، فَهُوَ بِذَلِكَ يُنَبِّهُ النَّفْسَ إِلَى مَا أَلِفَتْ أَنْ يَكُوْنَ فِيْهِ سُرُوْرُهَا مِنْ تِلْكَ الأَلْفَاظِ، كَالحُبِّ وَالوَجْدِ، وَالسَّعَادَةِ وَالْمَجْدِ؛ وَلَكِنَّهُ يَطْرُدُهَا لِلشِّعْرِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحْكِمَ الْمُنَاسَبَاتِ الَّتِيْ تَفِيْضُ عَلَيْهَا الإِحْسَاسَ وَتُمِدُّهَا مِنْهُ بِالحَيَاةِ، فَلَا تَبْلُغُ النَّفْسُ أَنْ تَنْبَسِطَ لِكَلَامِهِ انْبِسَاطَ الحَيِّ حَتَّى تَجْمُدَ جُمُوْدَ الْمَيِّتِ؛ فَإِنَّ الشَّاعِرَ بِأَلْفَاظِهِ تِلْكَ بَيْنَ حَوَاشِي مَعَانِيْهَا الَّتِيْ تَرُفُّ عَلَيْهَا النُّفُوْسُ كَأَنَّمَا يَطُوْفُ بِالجَنَازَةِ فِيْ الأَعْرَاسِ، وَيَجِدُ لِفَسَادِ طَبْعِهِ وَجْهاً مِنَ الشَّبَهِ بَيْنَ مَا يُزَفُّ إِلَى الْمَقَاصِيْرِ وَبَيْنَ مَا يُحْمَلُ إِلَى الأَرْمَاسِ.

وَلَيْسَ هَذَا الشِّعْرُ فِيْ الأَلْفَاظِ مِنْ حَيْثُ تُرْسَلُ، وَلَكِنَّهُ فِيْ الْمُؤَثِّرَاتِ الَّتِيْ تُسْتَخْدَمُ فِيْهَا؛ فَإِنَّ الطِّفْلَ أَوَّلُ مَا يَقُوْلُ: "بَابَا"، يُسْتَطَارُ بِهَا أَبُوْهُ فَرَحاً، وَالطِّفْلُ لَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ تَلَفَّظَ بِأَحْرُفٍ طَبِيْعِيَّةٍ لَمْ يَبْعَثْهُ عَلَيْهَا فِكْرٌ وَلَا هُوَ تَصَوَّرَ لَهَا مَعْنَىً، وَلَكِنَّ أَبَاهُ كُلَّمَا تَعَمَّلَ أَنْ يَحْكِيَهَا تَنَفَّسَ قَلْبُهُ لِتِلْكَ الْمُحَاكَاةِ بِالاعْتِبَارِ الَّذِيْ يَأْتِيْهَا مِنَ الصِّلَةِ النَّفْسِيَّةِ بَيْنَ الأَبِ وَابْنِهِ= وَكَذَلِكَ الشَّاعِرُ فِيْمَا يُحَاكِي مِنْ صِفَاتِ الطَّبِيْعَةِ وَتَشْبِيْهَاتِهَا؛ فَإِنَّهُ يَجِيْءُ بِهَا فَوْقَ مَا

(1) لَمْ يُصِبْ مَعْنىً.

هِيَ فِيْ ذَاتِهَا، بِمَا يَمُتُّ إِلَيْهَا مِنْ أَسْبَابِ الصِّلَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النُّفُوْسِ، فَكَأَنَّ الشَّاعِرَ وَالنَّفْسَ يَتَسَاقَطَانِ الحَدِيْثَ؛ فَيُنْصِتُ حَتَّى يَعِيَ كَلَامَهَا وَتُنْصِتُ حَتَّى تَعِيَ كَلَامَهُ.

وَلِذَلِكَ رُبَّمَا اهْتَزَّتْ النَّفْسُ لِلشِّعْرِ الَّذِيْ لَا يَرَى فِيْهِ النَّاقِدُ غَيْرَ لَفْظٍ مُنْسَجِمٍ وَمَعْنًى مَبْذُوْلٍ، بَلْ رُبَّمَا اهْتَزَّتْ مِنْ ذَلِكَ أَيْضَاً لِمَا عَسَى النَّاقِدُ أَنْ يَجِدَ فِيْهِ الْمَغْمَزَ وَيُصِيْبَ الْمَقَالَةَ، وَلَكِنَّ بَعْضَ أَلْفَاظِهِ تَتَنَاوَلُ مِنَ الْمَعَانِيْ مَا يُذَكِّرُ النَّفْسَ بِأَحْوَالٍ رُبَّمَا كَانَتْ مَنْسِيَّةً فِيْ جَانَبِ التَّصَوُّرِ، أَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ فِيْهَا شَيْءٌ مِنَ الهَوَى؛ فَتَهِيْمُهَا الذِّكْرَى وَتَنْحَدِرُ عَلَى تِلَكَ الأَلْفَاظِ الْمُنْسَجِمَةِ، فَتُزَيِّنُ مَعْنَاهَا البَسِيْطَ مِنْ تَصَوُّرِهَا بِمِثْلِ مَا يُحِيْطُ مِنْ أَلْوَانِ الأُفُقِ بِالشَّمْسِ إِذَا غَرُبَتْ؛ فَإِنَّ نُوْرَهَا الخَافِتَ لَا يَكَادُ يُلْقَى عَلَى تِلْكَ الأَلْوَانِ حَتَّى تَتَنَاسَبَ جَمِيْعُهَا، فَيَكُوْنَ قُرْصُ الشَّمْسِ كَأَنَّهُ لَوْنٌ مِنْهَا فِيْ صَفْحَةِ السَّمَاءِ، وَبِذَلِكَ يَخْرُجُ عَنْ صُوْرَةِ الجُرْمِ الْمُضِيْءِ إِلَى هَيْئَةِ الضِّيَاءِ، وَتَكْتَسِي الشَّمْسُ مِنْ تِلْكَ الأَلْوَانِ فِيْ نَظَرِ الْمُتَأَمِّلِ –عَلَى مَا بِهَا مِنْ السُّقْمِ– أَحْسَنَ صِفَاتِ الجَمَالِ فِيْ الحَسْنَاءِ.

وَعَلَى هَذَا؛ كَانَ الشِّعْرُ لَا تَخْلُصُ حَقِيْقَتُهُ إِلَى النُّفُوْسِ إِلَا إِذَا أَصَابَ مِنْهَا هَوَىً مَوْجُوْدَاً فِيْهَا، أَوْ هَوَىً يُوْجِدُهُ هُوَ؛ فَالشِّعْرُ لَذَّةٌ مُقَيَّدَةٌ بِمَعْنى الْمُنَاسَبَةِ إِلَى الأَغْرَاضِ، وَهِيَ نَتَائِجُ الحَوَادِثِ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِهَا؛ فَإِنَّ الْمَكْرُوْبَ مَثَلَاً لَا يَنْشُطُ لِبَيْتٍ مِنَ التَّهْنِئَةِ، وَالطَّرُوْبُ لَا يُقْبِلُ عَلَى بَيْتٍ مِنَ الرِّثَاءِ؛ وَبِهَذَا الاعْتِبَارِ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَنْوِيْعِ الشِّعْرِ وَالافْتِنَانِ فِيْهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الشَّاعِرُ مُحَدَّثَاً بِمَا فِيْ القُلُوْبِ فَإِنَّ كَلَامَهُ مِنْهَا لَبَعِيْدٌ.

وَمِنَ الشِّعْرِ تَامٌّ وَبَسِيْطٌ، لِأَنَّ الفِكْرَ أَيَّ نَوْعٍ كَانَ إِنَّمَا يَسْقُطُ مِنْ حَادِثَةٍ هَزَّهَا تَصَوُّرُ الإِنْسَانِ، فَكُلُّ مَا صَوَّرَ الفِكْرَ فِيْ ذَاتِهِ فَهُوَ الشِّعْرُ البَسِيْطُ.

أَمَّا التَّامُّ؛ فَهُوَ الَّذِيْ يُعِيْدُهُ سِيْرَتَهُ الأُوْلَى بَعْدَ أَنْ يُجَمِّلَهَا بِالخَيَالِ، وَيُكَمِّلَهَا بِذَلِكَ الجَمَالِ، فَيَجْعَلُهُ جُزْءاً مِنْ حَادِثَةٍ يَسُوْقُهَا عَلَى وَجْهِهَا، وَيَحْمِلُهَا إِلَيْكَ بِجُمْلَتِهَا، وَيُلْقِيْهَا فِيْ نَفْسِكَ؛ فَتَجِدُ لِمَوْقِعِ الفِكْرِ مِنْهَا نَفَساً مِنَ اللَّذَّةِ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالهَوَاءِ الَّذِيْ يَتَنَفَّسُ بِهِ الْمَاءُ حِيْنَ يَضْطَرِبُ.

وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِقَوْلِ القَائِلِ فِيْ العِتَابِ:

لَوْ أَنَّ مَا أَنْتُمُ فِيْهِ يَدُوْمُ لَكُمْ ... ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيْهِ دَائِمَاً أَبَدَا

لَكِنْ رَأَيْتُ اللَّيَالِي غَيْرَ تَارِكَةٍ ... مَا سَرَّ مِنْ حَادِثٍ أَوْ سَاءَ مُطَّرِدَا

فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أَنِّي وَأَنَّكُمُ ... سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الحَالَتَيْنِ غَدَا

أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ ابْتَدَأَ الْمَعْنَى الَّذِيْ طَرَدَ لَهُ البَيْتَيْنِ الأَوَّلَيْنِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُوَطِّئَ لَهُ تِلْكَ التَّوْطِئَةَ، لَجَاءَ الشِّعْرُ مُخْتَشِباً[1] غَيْرَ تَامٍّ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُ الرَّبِيْعِيِّ:

كَأَنَّنِي ثَمِلٌ مَرَّ النَّدِيْمُ ضُحَىً ... عَنْهُ بِأَقْدَاحِهِ مِنْ بَعْدِ مِيْثَاقِ

فَكُلُّ كَفٍّ رَآهَا ظَنَّهَا قَدَحاً ... وَكُلُّ شَخْصٍ رَآهُ ظَنَّهُ السَّاقِي

وَمِثْلَ هَذَا كَثِيْرٌ، وَسَوَاءٌ فِيْهِ تَمَامُ الشِّعْرِ فِيْ البَيْتِ الوَاحِدِ وَفِيْ البَيْتَيْنِ وَالأَبْيَاتِ.

وَإِنَّمَا يَنْفُذُ بِكَ فِيْ مَضَايِقِ هَذِهِ الطَّرِيْقِ، وَيَدُلُّكَ عَلَى مَنَافِذِهَا= مَا أَضَاءَتْ بِهِ القَرَائِحُ فِيْ عُلُوْمِ البَلَاغَةِ، الَّتِيْ اسْتَخْرَجُوا فِيْهَا أَسْرَارَ العَرَبِيَّةِ وَاسْتَنْبَطُوا دَقَائِقَهَا؛ وَهِيَ عُلُوْمٌ تَتَبَيَّنُ

---

(1) غَيْرُ مُنَقَّحٍ بَلْ مُرْسَلاً كَمَا يَجِيْءُ.

النَّقْصَ فِيْمَنْ لَا يَعْرِفُ مَحَاسِنَهَا مِنَ الْمُتَأَخِّرِيْنَ مَعْرِفَةَ مُمَارِسٍ، لَا مَعْرِفَةَ مَدَارِسَ، فَهِيَ لَيْسَتْ مِمَّا يُغْنِي عَنْهُ الطَّبْعُ كَالعَرُوْضِ وَنَحْوِهِ، عَلَى مَا يَزْعُمُوْنَ فِيْ هَذَا الزَّمَانِ الَّذِيْ صَارَ فِيْهِ الشَّكْلُ الْمِطْبَعِيُّ عِنْدَ كَثِيْرٍ مِنْ نَشْءِ أُدَبَائِهِ قِسْمَاً مِنْ عِلْمِ النَّحْوِ... وَلَكِنَّهَا عُقُوْلٌ أَذَابَهَا الفِكْرُ، فَسَالَ بِهَا نَهْرُ الأَدَبِ إِلَى رَوْضَةِ لُغَةِ العَرَبِ، بَلْ أَعْمَارٌ كَانَتْ طَوِيْلَةً فَاخْتَصَرَهَا القَلَمُ لَمَّا كَتَبَ.

وَلَقَدْ كَانَ شُعَرَاءُ العَرَبِ يَسْتَتِمُّوْنَ مِثْلَ هَذَا النَّقْصِ فِيْهِمْ بِالرِّوَايَةِ، وَإِنَّمَا أُسْتُخْرِجَتْ تِلْكَ العُلُوْمُ مِمَّا رُوِيَ عَنْهُمْ؛ حَتَّى لَقَدْ سُئِلَ رُؤْبَةُ عَنِ الفَحْلِ مِنَ الشُّعَرَاءِ فَقَالَ: هُوَ الرَّاوِيَةُ، يُرِيْدُ أَنَّه إِذَا رَوَى اسْتَفْحَلَ. قَالُوا: وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّه يَجْمَعُ إِلَى جَيِّدِ شِعْرِهِ مَعْرِفَةَ جَيِّدِ غَيْرِهِ، فَلَا يَحْمِلُ نَفْسَهُ إِلَا عَلَى بَصِيْرَةٍ.

وَلَا يَكْفِي مِثْلُ ذَلِكَ فِيْ مُتَأَخِّرِي الشُّعَرَاءِ، لِمَكَانِ السَّلِيْقَةِ مِنَ الأَوَّلِيْنَ وَقُوَّةِ الطَّبْعِ فِيْهِمْ؛ فَكَانَتِ الرِّوَايَةُ لِطِبَاعِهِمْ كَعُوْدِ الثِّقَابِ: إِذَا اقْتَدَحْتَهُ فَأَدْنَيْتَهُ مِنَ الْمِصْبَاحِ لَا يَنْشُبُ أَنْ يَعْلَقَ بِهِ ذَلِكَ النُّوْرُ، فَيَبْقَى فِيْهِ بِمِقْدَارِ مَا فِيْ الْمِصْبَاحِ مِنْ مَادَّةِ الإِنَارَةِ.

وَإِذَا كَانَ الشِّعْرُ أَلْفَاظَاً وَمَعَانِيَ، وَكَانَتِ الأَلْفَاظُ لَا تَتَهَيَّأُ إِلَّا لِمَنْ يَسْتَقْرِئُهَا بِالحِفْظِ، ثُمَّ هِيَ لَا تُجَاذَبُ وَلَا تُقْتَسَرُ مُكَارَهَةً، بَلْ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ وَجْهٍ فِيْ التَّرْكِيْبِ تَتَأَدَّى عَلَيْهِ فَيُبْسَطُ بِهِ البَيَانُ وَيُنَارُ بِحُسْنِهِ البُرْهَانُ، وَكَانَ هَذَا الوَجْهُ لَا يُخَيَّلُ إِلَّا بِمِرْآةِ الطَّبْعِ الصَّقِيْلِ، وَلَا يُنْظَرُ إِلَّا بِعَيْنِ البَصِيْرَةِ الَّتِيْ جَلَّاهَا عِلَاجُ الدَّرْسِ الطَّوِيْلِ= فَقَدْ عُلِمَ ضَرُوْرَةً أَنَّ الشَّاعِرَ إِذَا لَمْ يُشَارِفْ هَذِهِ العُلُوْمَ، الَّتِيْ هِيَ قَوَانِيْنُ الاسْتِعْمَالِ وَمَادَّةُ الإِبْدَاعِ فِيْ تَصْوِيْرِ ذَلِكَ الْمِثَالِ، فَقَدْ رَجَعَ بِمَقْصِرٍ مِمَّا كَانَ يُحَاوِلُ، وَتَطَاوَلَ وَلَكِنْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُطَاوِلَ. وَلَا عَجَبَ؛ فَإِنَّ الشِّعْرَ –كَمَا

عَرَفْتَ- مَعَانٍ تَتَأَدَّى عَلَى نِظَامٍ، وَإِنَّ هَذِهِ الْمَعَانِيَ إِنْ كَانَتْ تَمَامَ حَقِيْقَتِهِ فَفِيْ حُسْنِ تَأْدِيَتِهَا حَقِيْقَةُ التَّمَامِ.

القسم الثاني:

القصائد

قصيدة: ذم الهوى

[مجلة المنار، العدد: 46، السنة: 2، 26 رمضان 1317 - 27 كانون الثاني 1900][1]

[على الوافر]

أَجِـــدُّكَ مَـــا تُصَـــارِعُكَ الْمُـــدَامُ ... وَيَصْـــرَعُ قَلْبَـــكَ الصَّـــبَّ الغَـــرَامُ

وَتُظْمِئُـــــكَ الْمَرَاشِـــــفُ كُـــلَّ آنٍ ... وَتَقْتُلُـــــكَ الْمَعَـــاطِفُ وَالقَـــوَامُ

لَعَمْـــرُكَ مَـــا تَحَلُّـــدُ مُسْـــتَهَامٍ ... بِمَـــا يَرْضَـــى وَيَبْغِـــيْ الْمُسْـــتَهَامُ

وَلَكِـــنَّ شِـــيْمَةَ الوَلْهَـــانِ صَـــبْرٌ ... وَإِنْ أَوْدَى بِـــهِ الْمُـــوْتُ الـــزُّؤَامُ

أَيَقْتُلُـــكَ الظِّبَـــاءُ وَأَنْـــتَ لَيْـــثٌ ... وَيَسْـــبِيْكَ ابْـــنُ سَـــامٍ وَأَنْـــتَ حَـــامُ

تُسَـــهِّدُكَ الـــدُّمُوْعُ فَـــلَا مَنَـــامُ ... وَهَـــلْ يَرْضَـــى بِعَيْنَيْـــكَ الْمَنَـــامُ

وَتُصْـــبِيْكَ الصِّـــبَا وَاللَّيْـــلُ شَـــيْخٌ ... وَتُشْـــجِيْكَ البَلَابِـــلُ وَالحَمَـــامُ

تَظَـــلُّ تَلُـــوْمُ قَلْبَـــكَ أَنْ تَسَـــالَى ... وَتَجْـــزَعُ أَنْ يَلُـــمَّ بِـــكَ الْمَـــلَامُ

فَـــدَاؤُكَ صِـــحَّةٌ وَالـــدَّاءُ دَاءٌ ... وَصِـــحَّتُكَ الَّـــتِيْ تُرْجَـــى سِـــقَامُ

رُوَيْـــدَكَ مَـــا الهَـــوَى إِلَّا هَـــوَانٌ ... وَهَـــلْ يَرْضَـــى العَنَـــا إِلَّا اللِّئَـــامُ

وَمَـــنْ خَـــبُرَ الغَـــوَانِيْ فَـــالغَوَانِيْ ... ضِـــيَاءٌ فِيْ بَوَاطِنِـــهِ ظَـــلَامُ

أَلَـــنَّ لَـــكَ الحَـــدِيْثُ فَلِنْـــتَ قَلْبـــاً ... وَعَهْـــدِيْ مَـــا يُخَادِعُـــكَ الكَـــلَامُ

---

(1) لم تنشر من قبل في كتاب.

وَكُنْـتَ تَـذُوْدُ نَفْسَـكَ عَـنْ حِيَـاضٍ وَقَـــدْ وَرَدْتَ فَمَـــا هَـــذَا الْمَقَـــامُ

أُرِيْـــشَ لَهَـــا سِـــهَامٌ صَـــائِبَاتٌ وَمِثْلُـــكَ لَا تُـــرَاشُ لَـــهُ السِّـــهَامُ

فَطَـــوْراً يَأْسُـــرُ القَلْـــبَ العَـــذَارَى وَطَـــوْراً يَأْسُـــرُ القَلْـــبَ الغُـــلَامُ

سَـــقَطْتَ وَكُنْـــتَ ذَا نَفَـــسٍ عَصَـــامٍ وَلَكِـــنْ مَـــا وَرَاكَ يَا عِصَـــامُ

أَقَـــالَ اللهُ كُـــنْ عَبْـــدَ الغَـــوَانِيْ حَـــرَامٌ يَا فَـــتَى لَيْلَـــى حَـــرَامُ

تَمُـــرُّ عَلَـــى الْمَسَـــاجِدِ غَـــيْرَ بَاكٍ وَتُبْكِيْـــكَ الْمَنَـــازِلُ وَالخِيَـــامُ

وَيُـــذْكِرُكَ الحَمَـــامُ إِذَا تَغَـــنَّى وَلَا ذِكْـــرَى إِذَا غَـــنَّى الحِمَـــامُ

أَتَطْمَـــعُ فِيْ السَّـــمَاءِ وَلَا رُقِـــيٌّ وَمَـــا يُـــرْوَى مِـــنَ الآلِ الأُوَامُ

فَـــدَيْتُكَ لَـــيْسَ هَـــذَا عَصْـــرَ لَيْلَـــى عَلَـــى لَيْلَـــى مِـــنَ العَصْـــرِ السَّـــلَامُ

قُصُـــوْرٌ غَـــيْرُ تِلْـــكَ وَخَنْـــدَرِيْسٌ سِـــوَى تِلْـــكَ الَّـــتِيْ فِيْهَـــا الخِتَـــامُ

قصيدة: والدتي

[مجلة المقتطف، 13 جمادى الأخرى 1327 - 1 تموز 1909][1]

[على الطويل]

مِــنَ الصَّــدْعِ فِيْ قَلْــبِيْ غَــدَاةَ تَهَــدَّمَا ... سَمَــتْ نَظَـرَاتُ الـرُّوْحِ خَلْفَـكِ لِلْسَّـمَا

رَأَيْتُــــكَ نُــــوْرَاً فِيْ عُلَاهَــــا كَأَنَّــــهُ ... شُــعَاعٌ لِمِصْــبَاحِ الجِنَــانِ قَــدِ انْتَمَــى

عَلَيْـــهِ ابْتِسَــــامُ الأُمِّ فِيْ وَجْـــهِ طِفْلِهَـــا ... وَلَأْلَاَةُ اللَّحْظَــــــيْنِ لَمَّــــــا تَوَسَّمَــــــا

فَلَــوْ تُرْسِــلُ الأَرْوَاحُ فِيْ الجَــوِّ نُوْرَهَــا ... عَرَفْتُــــكِ بِالنُّــــوْرِ الَّــــذِيْ تَبَسَّــــمَا

~~~

أَنَا مِنْــــكِ بَــــيْنَ العَــــالَمِيْنَ كَــــأَنَّنِي ... أُشَــكِّكُ فِيْ الــدُّنْيَا فَمَــا هِــيَ مِنْهُمَــا

أَرَاهَــــا خَــــلَاءً مِنْــــكِ إِلَّا مَحَامِــــدَاً ... وَآثَارَ فَضْــــــلٍ حَيَّــــــةً وَتَرَحُّمَــــــا

وَقَــبْرَاً أَرَى تِلْــكَ الْمَقَــابِرَ كَعْبَــةً ... وَذَاكَ بِهَــا الــرُّكْنَ الكَــرِيْمَ الْمُعَظَّمَــا

أَمُــرُّ عَلَيْهَــا خَاشِــعَاً مُتَلَمِّسَــاً ... وَأَحْنُــو عَلَيْــهِ خَاضِــعَاً مُتَسَــلِّمَا

وَأَلْــثُمُ تُــرْبَاً حِــيْنَ مَسَّــتْهُ أَدْمُعِــيْ ... بِــرُوْحِ البُكَــا صَــلَّى عَلَيْــكِ وَسَــلَّمَا

بِــذَا الــدَّمْعِ مِــنْ هَــذَا الفُــؤَادِ مَحَبَّــةٌ ... أَذَاعَــتْ بِــهِ سِــرَّ الحَيَــاةِ الْمُكَتَّمَــا

فَلَــوْ أَذِنَ اللهُ، الــتُّرَابُ غَــدَا بِهَــا ... فُــؤَادَاً وَصَــارَتْ ذِيْ الــدُّمُوْعُ بِــهِ دَمَــا

---

(1) لم تنشر من قبل في كتاب.
~~~

~~~

وَلَمَّـا اسْـتَبَاحَتْ مَـوْطِنَ الصَّـبْرِ لَـوْعَتِي وَقَـارَعَ سَـيْفُ الحَـزْمِ حَـتَّى تَثَلَّمَـا

وَقَفْـتُ فَكَانَـتْ وَقْفَـةَ العُمْـرِ فِيْ الـرَّدَى عَلَـى نَفَـسٍ أَلْقَـى بِـهِ وَتَصَـرَّمَا

وَبَـيْنَ ضُـلُوْعِيْ زَفْـرَتَانِ مِـنَ الأَسَـى تَتِيْهَـانِ فِيْ صَـدْرِيْ فَمَـا بَلَغَـا الفَمَـا

كَأَنَّهُمَـا خَيْطَـانِ بِالقَلْـبِ عَلِقَـا فَـإِنْ صَـعَدَا يَصْـعَدْ وَإِنْ هَبَطَـا ارْتَمَـى

وَأَرْعُـدُ وَهْنَـاً كَالجَنَـاحِ تَهُـزُّهُ حَمَامَتُـهُ فِيْ عَطْفِهَـا مُـذْ تَحَطَّمَـا

وَخُيِّـلَ لِيْ أَنَّ الفَضَـاءَ يَـدُوْرُ بِيْ وَأَنَّ طَرِيْقِـيْ مُـدَّ فِيْ الجَـوِّ سُـلَّمَا

~~~

فَيَـا لَهْفَتَـا كَـمْ عَـبْرَةٍ قَـدْ تَـرَدَّدَتْ بِصَـدْرِيْ وَلَـوْ كَانَـتْ بِطَـوْدٍ تَأَلَّمَـا

تَـنَفَّسُ فِيْ قَلْـبِيْ فَتُلْهِبُـهُ أَسَـىً وَتُذْكِيْـهِ أَشْـجَاناً وَتَحْرُقُـهُ ظَمَـا

بَكَيْـتُ فَأَلْفَيْـتُ البُكَـاءَ كَأَنَّـهُ حَقِيْقَـةُ مَـوْتٍ تَسْـتَحِيْلُ تَوَهُّمَـا

وَأَوْرَيْـتُ زِنْـدَ الـدَّهْرِ قَـدْحاً فَلَـمْ تَـزَلْ صَـوَاعِقُهُ حَـتَّى اسْـتَنْيَرْتُ وَأَظْلَمَـا

وَكَـادَتْ تَـرَى عَيْنَـايَ فِيْ سُـحْبِ أَدْمُعِيْ مَـتَى ارْتَجَفَـتْ بَرْقَـاً مِـنَ النَّـارِ مُضْـرَمَا

فَيَـا دَمْـعَ أَيَّامِ الحَدَاثَـةِ لَيْتَـنِيْ حَفِظْتُـكَ لِلْبُؤْسَـى لَقَـدْ كُنْـتَ أَنْعُمَـا

وَكُنْـتَ نَـدَى فَجْـرِيْ فَمَـنْ لِيْ بِالنَّـدَى إِذَا الجَـوُّ مِـنْ شَمْـسِ الحَيَـاةِ تَحَـدَّمَا

بُكَـاءٌ بَكَيْنَـاهُ وَصِـرْنَا لِضِـحْكِنَا فَأَرْجَعَنَـا نَبْكِـيْ عَلَيْـهِ تَنَـدُّمَا

~~~
~~~

جَزِعْــتُ وَلَــوْلَا أَنَّ مِثْلَــكِ فِيْ النِّسَــا قَلِيْـــلٌ لَعَاتَبْـــتُ الزَّمَـــانَ الْمُـــذَمَّمَا

وَكُنْـــتُ أَقُــوْلُ الأَرْضُ صَــارَتْ مَآتِمَــاً عَلَيْــكِ لَــوْ أَنَّ الأَرْضَ تَصْــلُحُ مَأْتَمَــا

وَمَــا تَسَــعُ الــدَّارُ الَّــتِيْ صَــارَ أَهْلُهَــا (بِطَرْفَــةِ عَــيْنٍ) يَبْلُغُــوْنَ إِلَى السَّـــمَا

وَلَــوْ كَــانَ فِيْهَــا لِلنُّفُــوْسِ حَقِيْقَــةٌ لَمَــا كَــانَ يُبْقِــيْ ذَلِـكَ الْمَـوْتُ مُبْهَمَــا

~~~

وَأَبْغَضْتُ فِيْـكِ اللَّيْـلَ مِـنْ أَجْـلِ كَوْكَـبٍ عَلَــى ظُلُمَــاتِ الحُــزْنِ فِيْــهِ تَبَسَّــمَا

وَغَاضَبْتُ فِيْكِ الرَّوْضَ مِنْ أَجْلِ طَائِرٍ عَلَــى أَدْمُـــعِ الأَنْـــدَاءِ فِيْــهِ تَرَنَّمَــا

وَلَــوْ أَنَّ هَـــذَا الحُــزْنَ عِلْــمٌ لَبَثَّــهُ فُــؤَادِيَ فِيْ الـــدُّنْيَا لِكَـــيْ تَتَعَلَّمَـــا

فَيَــا مَــنْ لِأَمْــرٍ لَا يُــرَدُّ إِذَا مَضَـــى وَلَا عِـــوَضٌ مِنْــهُ وَإِنْ كَـــانَ أَعْظَمَـــا

أَذَلْــتُ لَــهُ دَمْعِــيْ الأَبِيَّ وَإِنْ يَكُــنْ أَعَـــزَّ مِـــنَ الــدُّنْيَا عَلَــيَّ وَأَكْرَمَـــا

وَلَــوْ بَــذَلُوا لِيْ كُــلَّ بَحْــرٍ بِدَمْعَــةٍ عَلَى الأَرْضِ عَـدَّتْ هِمَّـتِي الـدَّمْعَ مَأْثَمَـا

وَلَكِنَّـــنِيْ أَبْكِيْـــكِ بِالأَعْـــيُنِ الَّـــتِيْ رَأَتْ طَلْعَــةَ الــدُّنْيَا ابْتِسَــامَكِ وَالفَمَــا

وَمَـــنْ كَـــانَ مَوْلُـــوْدَاً بِأُمَّـــيْنِ فَلْـــيَلُمْ عَلَــيَّ جَزَعِــيْ وَلْيَرْمِــنِيْ كَيْفَمَــا رَمَــى
~~~

قصيدة: أحلام بحمدون(1)

[مجلة الهلال، 28 رمضان 1328- 1 تشرين الثاني 1910](2)

[على الخفيف]

لِمَ يَا لَيْلُ قَدْ عَجِلْتَ بِدَارَا ... فَبَنَاتُ الأَحْلَامِ مَاتَتْ صِغَارَا
وَيْكَ يَا لَيْلُ رُبَّ حُلْمٍ قَصِيْرٍ ... كُنْتُ أُعْطِيْ لِطُوْلِهِ الأَعْمَارَا
مِنْ حَيَاةِ الجِنَانِ مَتِّعْ رُوْحِيْ ... لَحْظَةً قَدْ تُوَازِنُ الأَدْهَارَا
لَحْظَةً تَخْلُقُ الصِّبَا وَتُعِيْدُ الـ ... ـعَيْشَ غَضَّاً وَتَصْقُلُ الأَفْكَارَا
هِيَ بَيْنَ الفَنَاءِ وَالخُلْدِ مَعْنَىً ... وَلِذَا كَانَتِ الرُّؤَى أَسْرَارَا
كَمْ فَتَىً عُمْرُهُ الهُمُوْمُ جَمِيْعَاً ... وَمَتَى نَامَ يُعْطَى عُمْرَاً مُعَارَا
وَتُغَطَّى حَيَاتُهُ بِسِتَارٍ ... وَيُغَطِّيْ سِتَارُهَا الأَقْدَارَا
لَسْتَ يَا نَوْمُ غَيْرَ تَعْزِيَةِ الْمَوْ ... تِ لِمَنْ أَضْنَتِ الحَيَاةُ نَهَارَا

~~~

(1) بَحَمْدُوْنَ: قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى لُبْنَانَ، تَرْتَفِعُ 1200 مِتْرٍ عَنْ سَطْحِ البَحْرِ، وَهِيَ نَادِرَةُ الجَبَلِ فِيْ جَفَافِ الهوَاءِ. أَمَّهَا الشَّاعِرُ فِيْ صَيْفِ هَذِهِ السَّنَةِ وَحَمَدَ آثَارَهَا فِيْ نَفْسِهِ كَثِيْرَاً، فَنَظَمَ تِلْكَ الآثَارَ فِيْ هَذِهِ الأَبْيَاتِ.

(2) لم تنشر من قبل في كتاب.
~~~

وَيْــكَ يَا لَيْــلُ هَــلْ تُعِيْــدُ خَيَــالاً   جَـــاءَ فِيْ غَفْلَـــةِ الحَيَـــاةِ وَزَارَا

وَمَشَــى فِيْ الجُفُــوْنِ مَشْــيَاً وَئِيْــدَاً   وَانْتَحَـــى لِلْفُـــؤَادِ ثُمَّ تَـــوَارَى

طَيْــفَ تِلْــكَ الَّــتِيْ تَــرَى كُــلَّ مِقْــدَا   رٍ وَلَا تَجْعَـــلُ الرِّضَـــا مِقْـــدَارَا

تَشْـــهَدُ الحُـــبَّ وَالغَـــرَامَ عَيَـــانَاً   وَتَـــرَى العَطْـــفَ وَالرِّضَـــا أَخْبَـــارَا

وَتُبَـــاهِيْ وَلَا تُبَـــاهِيْ دَلَالاً   وَتُبَـــالِيْ وَلَا تُبَـــالِيْ نِفَـــارَا

رَبِّ إِنَّ الجَمَـــالَ أَضْـــعَفُ خَلْـــقٍ   فَلِمَـــاذَا جَعَلْتَـــهُ جَبَّـــارَا

مِـــنْ شُـــعَاعِ العُيُـــوْنِ صِـــغْتَ قُيُـــوْدَاً   وَطَرَحْـــتَ النُّفُـــوْسَ فِيْهَـــا أَسَـــارَى

وَغَـــدَا الابْتِسَـــامُ لِلْقَلْـــبِ سِـــجْنَاً   لَا يُطِيْـــقُ السَّـــجِيْنُ مِنْـــهُ فِـــرَارَا

وَخَلَقْـــتَ الهَـــوَى ظُنُـــوْنَاً وَشَـــكَّاً   لِتَظَـــلَّ العُقُـــوْلُ فِيْـــهِ حَيَـــارَى

رَبِّ لَـــوْلَا طُغْيَـــانُ ذِيْ العَقْـــلِ بِالعَقْـــ   ـــلِ لَمَـــا أَثَّـــرَ الهَـــوَى آثَارَا

يَا مُلُـــوْكَ النُّفُـــوْسِ عُـــوْدُوا أُنَاسَـــاً   لَا تُطِيْـــقُ الْمَحَبَّـــةُ اسْـــتِكْبَارَا

قَـــدْ شَمَخْـــتُمْ إِلَى السَّـــمَاءِ اخْتِيَـــالاً   فَأَعَـــدَّتْ لِـــذَلِكَ (أَقْمَـــارَا)

آفَّـــةُ الحُـــرِّ أَنْ يَصِـــيْرَ مُحِبَّـــاً   وَلِـــذَا الحُـــبُّ يَتْبَـــعُ الأَحْـــرَارَا

~~~

طَلَـــعَ الفَجْـــرُ فِيْ رُبُـــوْعِ (بَحَمْـــدُوْ   نَ) يُـــزِيْحُ الـــدُّجَى لِيُـــدْنِيَ النَّهَـــارَا

سِـــحْرٌ يَسْـــحَرُ العُقُـــوْلَ وَيُصْـــبِيْ   وَيَـــرُدُّ الْمُـــنَى أَخَـــفَّ وَقَـــارَا

تَـــتَرَاءَى النُّجُـــوْمُ فِيْـــهِ لِعَيْـــنِيْ   سَـــاهِيَاتٍ كَـــأَنَّهُنَّ سُـــكَارَى

يَتَهَـــافَتْنَ كُلَّمَـــا اضْـــطَرَبَ النُّـــوْ   رُ كَمَـــا تُسْـــقِطُ الغُصُـــوْنُ الثِّمَـــارَا
~~~

وَكَـــــأَنِّيْ أَرَى مَلَائِكَـــــةَ اللَّيْـــــلِ بِهَـــــا فِيْ سَمَائِهَـــــا تَتَجَـــــارَى

وَكَـــــأَنَّ السَّـــــمَا مَغَاصَـــــةُ دُرٍّ سَـــــلَبُوْهَا صِـــــغَارُهُ وَالكِبَـــــارَا

فَبَـــــدَتْ ذِلَّـــــةُ السَّـــــكِيْنَةِ فِيْهَـــــا بِمَعَـــــانٍ تُكَلِّـــــمُ الأَبْصَـــــارَا

سِـــــحْرٌ فِيْـــــهِ رِقَّـــــةٌ وَابْتِسَـــــامٌ بَعَثَتْـــــهُ حُـــــوْرُ السَّـــــمَا لِلْعَـــــذَارَى

كُـــلُّ حَسْـــنَاءَ حِيْنَمَـــا تَـــنْفُضُ النَّـــوْ مَ تَـــــرَاهُ بِثَغْرِهَـــــا أَنْـــــوَارَا

وَتَنَسَّـــــمْتُهُ لِأُبْـــــدِعَ مِنْـــــهُ فِيْ صِـــــفَاتِ الْمَلِيْحَـــــةِ الأَشْـــــعَارَا

~~~

مَوْجَـــةُ النُّـــوْرِ مَـــنْ أَعَـــارَكِ نُـــوْرَاً تَتَبَـــدَّى الأَلْـــوَانُ فِيْـــهِ كِثَـــارَا

هَهُنَـــا صُـــفْرَةُ الغَـــرَامِ وَهُنَّـــا مِـــنْ حَيَـــاءِ الهَـــوَى رَأَيْـــتُ احْمِـــرَارَا

لَـــوْ تَظُـــنُّ الـــرِّيَاضُ ظَنَّتْـــكِ سُـــحْبَاً أَوْشَـــكَتْ تُمْطِـــرُ الـــوَرَى أَزْهَـــارَا

وَبِأَعْلَـــى الجِبَـــالِ مِنْـــكِ رَشَـــاشٌ يَـــتَرَاءَى الضِّـــيَاءُ فِيْـــهِ شَـــرَارَا

قِمَـــمُ الأَرْضِ مَظْهَـــرُ الخُلْـــدِ فِيْهَـــا بَـــلْ قُبُـــوْرٌ بِهَـــا الزَّمَـــانُ يُـــوَارَى

لَـــيْسَ تِلْـــكَ الصُّـــخُوْرُ فِـــيْهِنَّ صَـــرْعَى غَـــيْرَ عَظْـــمِ الـــدُّهُوْرِ فُـــتَّ مِـــرَارَا

وَإِذَا صِـــــرْتُ فَوْقَهَـــــا خِلْـــــتُ أَنِّي قَامَـــــتِ الأَرْضُ بِيْ تُرِيْـــــدُ مَطَـــــارَا

خَشِـــيَتْهَا السَّـــمَا فَأَطْلَعَـــتِ الأَنْـــ جُـــمَ تُبْـــدِيْ لِبَشِّـــهَا أَظْفَـــارَا

كُـــــلُّ طَـــــوْدٍ مِـــــنْهُنَّ أَثْبَتَـــــهُ اللهُ لِإِمْسَـــــاكِ أَرْضِـــــنَا مِسْـــــمَارَا

يُمْسِـــــكُ الأَرْضَ أَنْ تَمِيْـــــلَ (بِقَـــــوْمٍ) فِيْ ثُرَاهَـــــا تَمَـــــايَلُوا اسْـــــتِكْبَارَا

رَبِّ لَـــوْ تَـــنْفِضُ الجِبَـــالَ عَلَـــيْهِمْ كَنَسُـــــوْهَا وَرَاجَعُـــــوا الإِنْكَـــــارَا
~~~

~~~

مَوْجَــةُ الصُّــبْحِ جَــاشَ بَحْــرُكِ وَثَّا ... بَاً عَلَــى شَــاطِئِ السَّــمَا زَخَّــارَا

وَكَــأَنَّ السَّــحَابَ وَهُــوَ رُكَــامٌ ... زَبَــدُ الْمَــوْجِ إِذْ غَــدَا مَــوَّارَا

لُجَــجٌ فِيْ الشُّــرُوْقِ مِثْــلُ البَرَاكِــيْنِ ... إِذَا هَــدَّهَا اللَّهِيْــبُ انْفِجَــارَا

تَتَرَامَــى عَلَــى السَّــمَاءِ اطِّــرَادَاً ... فَتَخَــالُ السَّــمَاءَ تُضْــرَمُ نَارَا

لَحْظَــةً ثُمَّ شَــقَّهَا زَوْرَقُ الشَّمْــ ... ــسِ يَقُــلُّ الحَيَــاةَ وَالأَقْــدَارَا

يَتَهَــادَى فَيَسْــتَثِيْرُ اضْــطِرَابَاً ... كُــلُّ عَقْــلٍ وَيَسْــتَكِيْنُ اضْــطِرَارَا

زَوْرَقُ النَّــارِ فِيْ يَــدِ اللهِ يَجْــرِيْ ... كَيْــفَ لَا يَمْــلَأُ النُّفُــوْسَ اعْتِبَــارَا

~~~

يَا (بَحَمْــدُوْنَ) كَــمْ شَــهِدْنَا جَمَــالَاً ... مِــنْ رُبَى (الْمَنْظَــرِ الجَمِيْــلِ) اسْــتَنَارَا[1]

مَنْظَــرٍ فِتْنَــةِ الْمُصَــوِّرِ وَالشَّــا ... عِــرِ كُــلٌّ يَثُــوْرُ فِيْــهِ مَثَــارَا

يَنْطِــقُ الــرُّوْحُ بِالحَنِــيْنِ إِلَيْــهِ ... مِثْلَمَــا تُنْطِــقُ اليَــدُ الأَوْتَارَا

---

(1) الْمَنْظَرُ الجَمِيْلُ: نُزُلٌ فِيْ أَعْلَى رَبْوَةٍ مِنْ بَحَمْدُوْنَ، يُدِيْرُهُ سَعِيْدُ أَفَنْدِي مُجَاعِصُ، وَهُوَ بِعِنَايَتِهِ كَأَنَّهُ غُرْفَةٌ مِنْ مَنَازِلِ السَّاكِنِيْنَ فِيْهِ.

قصيدة: جوهرة الهوى

[مجلة المقتطف، 10 ذي الحجة 1329 - 1 كانون الأول 1911][1]

دُعِيَ مُصْطَفَى أَفَنْدِي صَادِقٍ الرَّافِعَيُّ إِلَى الخَطَابَةِ فِيْ نَادِي الأَمْرِيْكَانِ بِطَنْطَا، فَأَلْقَى مَوْضُوْعَاً نِسَائِيَّاً فِيْ حَفْلَةٍ زَانَتْهَا فُضْلَيَاتُ السَّيِّدَاتِ، وَجَعَلَهُ بَيْتَاً لِهَذِهِ الكَلِمِ "كُلُّ الإِنْسَانِيَّةِ فِيْ نِصْفِ الإِنْسَانِ"، وَيَعْنِي بِنِصْفِ الإِنْسَانِ الْمَرْأَةَ، وَبِالإِنْسَانِيَّةِ الفَضَائِلَ الطَّبِيْعِيَّةَ الْمَقْصُوْرَةَ عَلَيْهَا. ثُمَّ عَقَّبَ عَلَى خِطَابِهِ بِهَذِهِ القَصِيْدَةِ يَرْمِيْ بِهَا إِلَى إِثْبَاتِ أَنَّ الحُسْنَ هُوَ الوَسِيْلَةُ لِمَعْرِفَةِ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَلِمَعْرِفَةِ الإِنْسَانِ رَبَّهُ، فَكَأَنَّ الْمَرْأَةَ تَعْزِيَةُ الإِنْسَانِيَّةِ وَطَرِيْقُهَا إِلَى العِلْمِ.

[على الطويل]

إِلَيْـــكِ غُصُـــوْنِيْ يَا طُيُـــوْرَ الحَقَـــائِقِ ... لِيُسْـمَعَ فِيْ ذَا (الفَجْـرِ) صَـوْتُ حَـدَائِقِي

شـــــطر غـــــير واضـــــح ... **شـــــطر غـــــير واضـــــح**

وَأَفْخَـــمُ أَصْـــوَاتِ الطَّبِيْعَـــةِ رَاعِـــدٌ ... يُجَلْجِـلُ فِيْ الآفَـاقِ مِـنْ حُسْـنِ بَارِقِ

~~~

فَيَـا خَـالِقَ الـدُّنْيَا مُـنَىً وَحَقَائِقَـاً ... لِيَعْرِفَـــهُ أَهْـــلُ الْمُـــنَى وَالحَقَـــائِقِ

لَقَـدْ يُبْصِـرُ الْمَـرْءُ السَّـمَا وَنُجُوْمَهَـا ... وَمَـا فِيْ العَلَـى مِـنْ مُعْجِـزَاتٍ خَـوَارِقِ

وَيُبْصِـرُ مَـا أَبْـدَعْتَ فِيْ الأَرْضِ كُلِّهَـا ... مَغَارِبَهَـا القُصْـوَى مَعَـاً وَالْمَشَـارِقِ

---

(1) لم تنشر من قبل في كتاب.
~~~

وَيُبْصِـــرُ مَــا أَجْمَلْــتَ مِــنْ مُتَنَاسِـــبٍ   عَجِيْـــبٍ وَمَــا فَصَّــلْتَ مِــنْ مُتَنَاسِـــقِ

يَــرَى كُــلَّ هَــذَا سَــاكِنَ القَلْــبِ وَامِقَــاً   بِأَلْحَاظِـــهِ، وَاللَّحْـــظُ حُـــبُّ الْمُنَـــافِقِ

بَلَــى وَيَــرَى مِــنْ كِــبْرِهِ كُــلَّ رَائِــعٍ   ضَـــئِيْلاً كَـــأَنَّ الْمَــرْءَ فِيْ رَأْسِ شَـــاهِقِ

وَلَكِــنْ مَــتَى يُبْصِــرْ بِحَسْــنَاءَ يَنْــتَفِضْ   وَيَسْتَشْـــعِرُ الْمَخْلُـــوْقُ هَيْبَـــةَ خَـــالِقِ

~~~

يَـــرَى لَحْظَهَـــا مُسْتَرْسِـــلاً فِيْ فُـــؤَادِهِ   يُفَكِّــكُ مَــا بَــيْنَ الْمُــنَى مِــنْ عَلَائِــقِ

وَتَغْمُـــرُهُ مِـــنْ حُسْـــنِهَا كُـــلُّ مَوْجَـــةٍ   يَمِيْـــلُ عَلَيْهَـــا القَلْـــبُ مِثْـــلَ الـــزَّوَارِقِ

وَتَمْـــلأُهُ شَـــوْقَاً يَطِـــيْرُ بِرُوْحِـــهِ   فَيُشْـــعِرُهَا الإِجْـــلَالُ مِـــنْ كُـــلِّ شَـــائِقِ

وَتَتْرُكُـــهُ فِيْ الحِـــسِّ كَـــالرُّوْحِ نَفْسِـــهَا   وَكَـــالفِكْرِ فِيْ ذَوْقِ الْمَعَـــانِيْ الـــدَّقَائِقِ

هُنَـــاكَ يَـــرَى فِيْ كُـــلِّ مُبْتَسَـــمٍ ضِـــيَاً   يُنِـــيْرُ مِـــنَ الآمَـــالَ فِيْ كُـــلِّ غَاسِـــقِ

هُنَـــاكَ يَـــرَى فَجْـــرَاً لِكَوْكَـــبِ قَلْبِـــهِ   وَنَاهِيْـــكَ مِـــنْ نَجْـــمٍ عَلَـــى الفَجْـــرِ خَـــافِقِ

هُنَـــاكَ حَوَاشِـــيْ الفَجْـــرِ رَفَّافَـــةُ النَّـــدَى   تَمُـــجُّ رَشَـــاشَ الكَـــوْثَرِ الْمُتَـــدَافِقِ

هُنَـــاكَ بِأَقْصَـــى الفَجْـــرِ أَجْمَـــلُ مَشْـــرِقٍ   يَـــرَى مِنْـــهُ نُـــوْرَ اللهِ أَجْمَـــلَ شَـــارِقِ

~~~

لَعَمْـــرِيْ لَقَـــدْ كَانَـــتْ لِحَـــوَّاءَ فِطْنَـــةٌ   وَكَـــانَ أَبُـــوْنَا آدَمٌ غَـــيْرَ حَـــاذِقِ

قَضَـــى قَبْـــلَ أَنْ يُمْضِـــيْ مِـــنَ الخُلْـــدِ سَـــاعَةً   وَلَـــيْسَ بِـــهِ إِلَّا اهْتِمَـــامُ الْمُفَـــارِقِ

بَئِـــيْسٌ عَلَـــى مَـــا كَـــانَ مُكْتَئِـــبٌ لِمَـــا   يَكُـــوْنُ بِصَـــدْرٍ وَاهِـــنِ الصَّـــبْرِ ضَـــائِقِ

فَلَـــمْ يَغْتَـــنِمْ مِـــنْ سَـــاعَةٍ لَمْ تَعُـــدْ لَـــهُ   وَكَـــانَ بِهَـــا مِـــنْ سَـــاعَةٍ جِـــدُّ وَاثِـــقِ

وَلَكِــنَّ حَــوَّاءَ الجَمِيْلَــةَ أَسْــرَعَتْ	خَوَاطِرُهَـــا كَالبَـــارِقِ الْمُتَلَاحِـــقِ
رَأَتْ أَنَّهَـا جَفَّــتْ عَلَــى قَلْــبِ آدَمٍ	وَلَمَّـــا تَـــزَلْ فِيْ ظِـــلِّ فَيْنَـــانَ وَارِقِ
فَكَيْــفَ إِذَا مَـا غَــادَرَا الخُلْــدَ بَتَّــةً	وَعَــادَ عَلَيْهَــا آدَمُ عَــوْدَ حَــانِقِ
وَهَبَّــتْ أَعَاصِــيْرُ الجِــدَالِ وَأَنْشَــأَتْ	سَــحَائِبُهُ يَرْمِيْنَهَـــا بِالصَّـــوَاعِقِ
وَكَانَــتْ تَــرَى فِيْ جَنَّــةِ الخُلْــدِ جَــوْهَرَاً	يُسَــمُّوْنَهُ فِيْ الخُلْــدِ (قَلْــبَ الْمُعَــانِقِ)

~~~

وَلَمَّـا أَتَـى وَقْــتُ الخُــرُوْجِ وَعُــرِّيَا	سِــوَى الحُلَّــةِ الخَضْــرَاءِ دُوْنَ الْمَنَــاطِقِ
مَشَــى آدَمٌ يَشْــكُوْ لَهَـا مُتَبَاطِئَــاً	وَلَكِنَّهَـــا زَمَّـــتْ فَمَـــاً غَــيْرَ نَاطِـــقِ
فَأَعْجَبَــهُ مِنْهَــا السُّــكُوْتُ وَلَمْ تَكُــنْ	لِتَسْــكُتَ فِيْ شَــيْءٍ سُــكُوْتَ مُوَافِــقِ
وَظَــنَّ بِهَـا مِــنْ رَوْعَــةِ الحُــزْنِ حِكْمَــةً	تُبَصِّــرُهَا فِيْ أَمْــرِ هَــذِيْ العَوَائِــقِ
وَلَــوْ فَتَحَــتْ فَاهَــا الْمَلَائِــكُ عِنْــدَهَا	لَكَانَــتْ رَأَتْ فِيْــهِ جَرِيْمَــةَ سَــارِقِ

~~~

فَقَــدْ أَخَــذَتْ حَــوَّاءُ (جَــوْهَرَةَ الهَــوَى)	وَفَــازَتْ بِحَــظٍّ فِيْ الْمَحَبَّــةِ فَــائِقِ
فَحِــيْنَ رَآهَــا آدَمُ فِيْ ابْتِسَــامِهَا	رَأَى الحُــبَّ أَبْهَــى مَــا يَكُــوْنُ لِرَامِــقِ
وَمَــرَّ بِعَيْنَيْــهِ الشُّــعَاعُ وَسِــحْرُهُ	يُرِيْــهِ الهَــوَى أَحْــلَامَ يَقْظَــانَ صَــادِقِ
فَفِــيْ القُبْلَــةِ الأُوْلَى دَرَى حَاضِــرَ الْمُــنَى	وَفِيْ القُبْلَــةِ الأُخْــرَى نَسَــى كُــلَّ سَــابِقِ

~~~
~~~

لِــذَاكَ نَــرَى حُــبَّ (الجَــوَاهِرِ) فِطْــرَةً لِكُــلِّ النِّسَــا مَعْــدُوْدَةٌ فِيْ الخَلَائِــقِ

وَمَــا بَرَحَــتْ آثَارُ جَــوْهَرَةِ الهَــوَى تَــلَأْلَأُ فِيْ كُــلِّ ابْتِسَــامٍ لِعَاشِــقِ

قصيدة: السيف العثماني

[مجلة الهلال، 13 صفر 1330 - 1 شباط 1912][1]

[على البسيط]

مِنَ الصَّوَاعِقِ لَا يُبْقِيْ وَلَا يَذَرُ   إِذَا انْتَضَاهُ لِأَهْلِ النَّقْمَةِ القَدَرُ

يَرْمِيْ بِهِ اللهُ رَجْمَاً لَا تَقُوْمِ بِهِ   هَامَ الشَّيَاطِيْنِ إِلَّا رَيْثَ يَنْحَدِرُ

فِيْ حَدِّهِ مِنْ شُعَاعِ الْمَوْتِ بَارِقَةٌ   يَمُوْتُ مِنْ هَوْلِهَا فِيْ الضَّرْبَةِ [النَّظَرُ]

تَرْفَضُّ أَطْرَافُهَا يَوْمَ الوَغَى شَرَرَاً   يُضِيْءُ لِلْمَوْتِ وَالأَرْوَاحُ تَسْتَتِرُ

فَلَا يُبَارِيْهِ إِلَّا لَحْظُ حَامِلِهِ   وَلَا يُجَارِيْهِ إِلَّا الْمَوْتُ يَبْتَدِرُ

سَيْفٌ تُجَرِّدُهُ الدُّنْيَا لِمَنْ جَحَدُوا   بَأْسَ الأَوَائِلِ حَتَّى يَشْهَدَ الأُخَرُ

فَكُلَّمَا بَلِيَ التَّارِيْخُ جَدَّدَهُ   وَكُلَّمَا كَادَ يَنْسَى أَهْلُهُ ادَّكَرُوا

سَيْفُ الطَّبِيْعَةِ تَنْقَضُّ الطَّبِيْعَةُ فِيْ   آثَارِهِ وَبِهَا مِنْ غَيْظِهَا زَوَرُ

فَتَرْجُفُ الأَرْضُ مِنْ أَجْبَالِهَا انْفَصَلَتْ   إِذَا جُنُوْدُ بَنِيْ عُثْمَانِهَا انْتَشَرُوا

وَيَعْصُفُ الجُوُّ مِنْ أَنْفَاسِهِ الْتَهَبَتْ   إِذَا هُمْ لِاشْتِيَاقِ الحَرْبِ قَدْ زَفَرُوا

وَتَسْأَلُ الشُّهْبُ رَبَّ الكَوْنِ يُرْسِلُهَا   هَدَّارَةً كَبَنِيْ عُثْمَانَ إِنْ هَدَرُوا

سَيْفُ الطَّبِيْعَةِ بَلْ سَيْفُ الفَجِيْعَةِ بَلْ   سَيْفُ الشَّرِيْعَةِ فِيْهِ العَدْلُ وَالعِبَرُ

---

(1) لم تنشر من قبل في كتاب.

فِيْ كَفِّ كُلِّ فَتَىً صُبَّتْ سَوَاعِدُهُ ... صَبَّ الحَدِيْدِ فَلَا وَهْنٌ وَلَا خَوَرُ

يَمُدُّهُ القَلْبُ وَالأَبْطَالُ مُدْبِرَةٌ ... وَالْمَوْتُ يَنْفُخُ فِيْ نَارٍ وَهُمْ شَرَرُ

مُسْتَحْفِزُ العَزْمِ يَرْمِيْ كُلَّ نَائِبَةٍ ... بِنَفْسِهِ وَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَزَرُ

يَرَى الجِرَاحَ هَنَاءً كُلَّمَا كَثُرَتْ ... [وَثَحَّ] مِنْ دَمِهِ كَالغَيْثِ يَنْهَمِرُ

فَإِنَّ أَهْنَأَ مَوْتٍ أَنْ يُكَفِّنَهُ ... دَمُ كَرَايَتِهِ الحَمْرَاءِ يَنْتَشِرُ

مِنَ الْمَسَاعِيْرِ فِيْ الهَيْجَا نَهَارُهُمُ ... حَرْبٌ وَلَيْلُهُمْ فِيْ حَرْبِهِمْ سَهَرُ

فَلَا كَلَالٌ وَلَا صَدٌّ وَلَا هَرَبٌ ... وَلَا مَلَالٌ وَلَا خَوْفٌ وَلَا حَذَرُ

فَوْقَ الطَّبِيْعَةِ بِالإِيْمَانِ قَدْ خَرَجُوا ... مِنْ مَصْنَعِ اللهِ لَا جِنٌّ وَلَا بَشَرُ

فِيْ الْمَاءِ مَوْجٌ، وَجَمْرٌ فِيْ اللَّظَى، وَهُمُ ... صَخْرُ الثَّرَى، وَكَمَا أَطْهَرْتَهُمْ طَهُرُوا

رَمَوا بِهِمْ شَعْبَ طِلْيَانٍ أَحَالَهُمُ ... جُنُوْنُهُمْ شَعْبَ طُغْيَانٍ لِيَزْدَجِرُوا

~~~

يَا أُمَّةً مَرِضَتْ وَاهْتَاجَ هَائِجُهَا ... فَقَارَفُوا كُلَّ مَكْرُوْهٍ وَمَا شَعَرُوا

أَهْلاً بِمَرْضَاكُمْ، إِنَّا أُسَاتُكُمُ ... سَتَبْرَؤُوْنَ فَلَا يَأْخُذُكُمْ الضَّجَرُ

نَحُسُّ دَاءَكُمْ بِالطَّعْنِ يَقْرَعُهُ ... قَرْعَ البَنَانِ فَإِنَّ الدَّاءَ [يُخْتَبَرُ]

وَبَعْدُ نُنْشِقُكُمْ مَوْتاً يُخَدِّرُكُمْ ... وَفِيْ (الجِرَاحَةِ) نِعْمَ الرَّاحَةُ الخَدَرُ

وَبَعْدُ نَفْصُدُكُمْ فَصْداً سَيُبْرِئُكُمْ ... مِنْ الغُرُوْرِ فَمِنْهُ اسْتَفْحَلَ الخَطَرُ

وَبَعْدُ نَكْوِيْكُمْ كَيّاً سَيَحْسِمُ مِنْ ... دَاءِ الحَمَاقَةِ مَا أَعْيَ بِهِ البَطَرُ

رَمَيْتُمُوْنَا بِجُنْدٍ لَا ثَبَاتَ لَهُمْ ... إِلَّا كَمَا ثَبَتَتْ لِلْأَرْجُلِ الأُكَرُ
~~~

يَا رَامِـيَ الشُّـهُبِ بِالأَحْجَـارِ تَحْسَـبُهَا   كَالشُّـهْبِ هَيْهَـاتَ يَنْسَـى طَبْعَـهُ الحَجَـرُ

وَإِنَّ (طِبَّـــةَ) هَـــذِيْ الحَـــرْبِ إِنَّهُـــمُ   هَشِـــيْمُهَا الْمُنْطَفِـــيْ وَالحَـــرْبُ تَسْـــتَعِرُ

جَـــاؤُوْا إِلَيْنَـــا سَـــوَاداً كَالـــدُّجَى فَبَـــدَا   مِـنْ بِيْضِ أَسْيَافِنَا خَلْفَ الدُّجَى السَّحَرُ

وَيْـلُ أُمِّهَــا مِــنْ سِـيُوْفٍ فِيْ ظُهُـوْرِهِمُ   قَــدْ صَــيَّرَتْهَا عِصِــيَّاً هَــذِهِ الحُمُــرُ

وَاللَّيْــثُ يَكْــرُمُ إِنْ يَلْــوِيْ عَلَــى جِيَــفٍ   وَرُبَّمَـــا هَـــانَ فِيْهَـــا النَّـــابُ وَالظُّفُـــرُ

جَــاؤُوا إِلَيْنــاَ كَجَــيْشِ النَّمْــلِ مُنْسَــرِباً   وَفِـــيْهِمْ بَعْـــضُ أَبْطَـــالٍ وَلَا صُـــرَرُ

يَقُـــوْدُ كُـــلَّ كَمِـــيٍّ مِـــنْهُمْ أَمَـــلٌ   فِيْ طَيِّـــهِ أَجَـــلٌ يَقْظَـــانُ يَنْتَظِـــرُ

خَــاطُوا لِأَجْسَـامِهِمْ مِـنْ نَقْعِنَـا كَفَنَـاً   فَـــإِنَّ أَسْـــيَافَهُمْ فِيْ حَرْبِنَـــا إِبَـــرُ

أُسْــطُوْلُهُمْ أَمْ كِــلَابُ البَحْــرِ تَنْبَحُنَــا   أَمِ الضَّــفَادِعُ قَــدْ ضَــجَّتْ بِهَــا الغُــدُرُ

هَـــذَا وَذَاكَ سَـــوَاءٌ فِيْ طَـــرَابُلْسٍ   وَالكُـــلُّ فِيْ مَسْـــمَعِيْ صَـــحْرَائِهَا هَـــذَرُ

إِنَّ البَّعُوْضَــةَ فِيْ الصَّــحْرَاءِ أَضْــخَمُ مِــنْ   أُسْـــطُوْلِهِمْ وَلَهَـــا مِـــنْ دُوْنِـــهِ أَثَـــرُ

~~~

يَا وَيْلَهَـا حَوْمَـةً كَانَـتْ وَطِـيْسَ وَغَـىً   فَصَـــيَّرُوْهَا (سِـــبَاقَاً) حِيْنَمَـــا انْكَسَـــرُوا

ظَنُّـوا القِيَامَــةَ فِيْهَــا قَــدْ بَــدَتْ لَهُــمُ   وَبَـــرَّزَتْ لِأَعَـــادِيْ رَبِّهَـــا سَـــقَرُ

فَمَـــا السُّـــيُوْفُ تَهَـــاوَتْ فِيْ جَوَانِبِهَـــا   إِلَّا جِهَــــاتُ سَمَــــاءِ اللهِ تَنْفَطِـــرُ

وَمَـــا القَنَابِـــلُ تَهْـــوِيْ بَيْـــنَهُمْ كِسَـــفَاً   إِلَّا النُّجُـــوْمُ بِأَمْـــرِ اللهِ تَنْكَـــدِرُ

وَمَـــا الفَـــوَارِسُ مِـــنْ تُـــرْكٍ وَمِـــنْ عَـــرَبٍ   إِلَّا زَبَانِيَـــةٌ للهِ قَـــدْ نَفَـــرُوا

هُـــمْ حَـــارَبُوا اللهَ يَوْمَـــاً ثُمَّـــتَ انْهَزَمُـــوا   فَكَيْـفَ لَا يَقْبَـلُ العُـذْرَ الَّـذِيْ اعْتَـذَرُوا
~~~

تَاللهِ لَوْ أَنَّهُمْ جِنٌّ جَمَاجِمُهُمْ ... ذُرَى الجِبَالِ يُغَطِّيْ جِلْدَهَا الشَّجَرُ

وَمِنْ رِقَابِهِمْ فِيْ الجَوِّ أَعْمِدَةٌ ... وَفَوْقَ كُلِّ عَمَوْدٍ فِيْ السَّمَا قَمَرُ

وَتَحْتَ أَرْجُلِهِمْ قَاعُ الْمُحِيْطِ وَمِنْ ... أَطْرَافِ أَيْدِيْهِمْ يُسْتَرْسَلَ الْمَطَرُ

وَكَانَ (قَيْزُوْفُ) فَوْقَ الْمَاءِ بَارِجَةً ... وَخَلْفَهُ كُلُّ بُرْكَانٍ سَيَنْفَجِرُ

وَأَقْبَلُوا وَلَهُمْ هَذِيْ القُلُوْبُ لَمَا ... صَدُّوا عَدَوّاً وَلَا فَازُوا وَلَا انْتَصَرُوا

~~~

لَا بُدَّ مِنْ ثَوْرَةٍ رَجَّافَةٍ حَنَقَاً ... هَوْجَاءَ لَا نَظَرٌ فِيْهَا وَلَا فِكَرُ

يَمْشِيْ بِهَا الْمَوْتُ مَجْنُوْناً وَكَيْفَ خَطَا ... فَلَيْسَ إِلَّا قُبُوْرٌ ثُمَّ تُحْتَفَرُ

لَا بُدَّ مِنْ غَضْبَةٍ إِنْ ثَارَ ثَائِرُهَا ... عَلَى الشَّيَاطِيْنِ مِنْ جِنِّ الفَلَا ذُعِرُوا

ثَأْرٌ تَلَقَّفَ مِنْهُ كُلُّ مُنْتَقِمٍ ... عَلَى البَلَاءِ الَّذِيْ يَمْضِيْ بِهِ الخَبَرُ

ثَأْرٌ تَعَاظَمَ فِيْهِمْ أَنْ يَقُالَ لَهُ ... ذَنْبٌ مَخَافَةَ أَنَّ الحِلْمَ يَغْتَفِرُ

ثَأْرٌ كَثَأْرِ الأَفَاعِيْ لَا يَنْفُثُهُ ... إِلَّا الْمَغَارِزُ فِيْهَا النَّابُ يَعْتَصِرُ

ثَأْرُ العَرِيْنِ إِذَا جَاعَتْ ثَعَالِبُهُ ... فَلَمْ يَرَ الشِّبْلَ فِيْهِ الضَّيْغَمُ الهَصِرُ

ثَأْرُ اليَتَامَى وَثَأْرُ الثَّاكِلَاتِ وَثَأْ ... رُ الخِدْرِ يَنْضَى وَثَأْرُ العِرْضِ يَشْتَهِرُ

~~~

وَاهَاً لَهَا عُذْرَةً تُجْزَى النِّسَاءُ بِهَا ... لَوْ تُعْذَرُ امْرَأَةٌ يَوْمَاً كَمَا عُذِرُوا

يَا لِلرُّجُوْلَةِ مِنْ قَوْمٍ إِذَا انْفَرَدُوا ... بِالطِّفْلِ يَلْعَبُ رَدُّوا الطِّفْلَ يَحْتَضِرُ

يَا لِلْحَفِيْظَةِ مِنْ قَوْمٍ إِذَا انْفَرَدُوا ... بِالبَائِسَاتِ غَدَتْ أَكْفَانَهَا الأُزُرُ

يَا لِلشَّهَامَةِ مِنْ قَوْمٍ إِذَا انْفَرَدُوا ... بِالشَّيْخِ يَرْعُشُ لَمْ يَعْطِفْهُمُ الكِبَرُ

يَا لِلْمُرُوْءَةِ مِنْ قَوْمٍ إِذَا نَظَرُوا ... لِلْمُسْتَغِيْثِ بِهِمْ فِيْ مَوْتِهِ سَخِرُوا

يُذَبِّحُوْنَهُمْ ثَأْرَاً بِمَنْ فَقَدُوا ... فَالآنَ قَدْ رَبِحُوا أَضْعَافَ مَا خَسِرُوا

هَلْ يَخْسَرُوْنَ سِوَى أَشْبَاهِهِمْ وَهُمُ ... مَعَرَّةُ الأَرْضِ إِنْ قَلُّوا وَإِنْ كَثُرُوا

هَلْ يَخْسَرُوْنَ سِوَى رِعْدِيْدَةٍ فَرِقٍ ... كَأَنَّهُ رَجُلٌ فِيْ الحَرْبِ مُحْتَضِرُ

يُلْقِيْ الْمُهَنَّدَ خَوْفَاً أَنْ يَجِدَّ بِهِ ... جَدُّ الذُّهُوْلِ فَعَنْدَ البَأْسِ يَنْتَحِرُ

وَإِنْ تَقَحَّمَ مِنَّا الغَمْرَةَ انْقَلَبَتْ ... عَيْنَاهُ رُعْبَاً فَمَا يَهْدِيْ لَهُ بَصَرُ

وَفَرَّ لَا فَزِعَاً مِنَّا وَلَا جَزِعَاً ... لَكِنْ خَبَالٌ وَجُبْنٌ مِنْهُ مُبْتَكَرُ

يَا أُمَّةَ النَّحْتِ وَالتَّصْوِيْرِ وَيْحَكُمُ ... حَتَّى جُنُوْدُكُمُ الأَنْصَابُ وَالصُّوَرُ

قصيدة: إلى بحمدون[1]؛ عبرات البين

[مجلة الزهور، العدد: 3، السنة: 3، 15 جمادى الأولى 1330 - 1 أيار 1912][2]

[على البسيط]

مِـنْ دُوْنِـكِ البَـيْنُ يَا لَيْلَـى وَمِـنْ دُوْنِيْ ... وَبَعْـضُ مَـا كَـانَ قَبْـلَ البَـيْنِ يَكْفِيْـنِيْ

خَطَـا إِلَيَّ خُطَـى الآجَـالِ سَـارِبَةً ... فِيْ القَلْـبِ وَالقَلْـبُ لَا يَـدْرِيْ إِلَى حِـيْنِ

خُطَـىً كَنَسْـفِ الجِبَـالِ الرَّاسِـيَاتِ عَلَـى ... نَفْسِـيْ وَكَالـدَّمْعِ دَمْـعِ الحُـزْنِ فِيْ اللِّـيْنِ

تَمْشِـيْ عَلَـى الأَمَـلِ الزَّاهِـيْ فَتَحْطُمُـهُ ... وَقَـدْ يَـرُفُّ رَفِيْفَـاً كَـالرَّيَاحِيْنِ

وَتَغْمُـرُ الحُـبَّ ظِـلَّاً بَعْـدَ مَـا صَبَغَتْ ... مِـنِّيْ الشَّـبَابَ حَوَاشِـيْهِ بِتَلْـوِيْنِ

يَا بَـيْنُ مَـا ضَـرَبَاتُ الـدَّهْرِ غَـيْرُ خُطَـىً ... تَمْشِـيْ بِهَـا فِيْ الْمُحِبِّـيْنَ الْمَسَـاكِيْنِ

شَـيْئَانِ مَـا لَهُمَـا فِيْ النَّـاسِ تَعْزِيَـةٌ ... وَلَا تَعَزِّيْهِمَـا يَوْمَـاً بِمَظْنُـوْنِ

قَلْـبٌ بِأَضْـلَاعِ مُشْـتَاقٍ تُجَاذِبُـهُ ... يَـدُ الفِـرَاقِ وَعَقْـلٌ عِنْـدَ مَجْنُـوْنِ

~~~

يَا بَـيْنُ وَيْحَـكَ مَـا أَبْصَـرْتَ قَـطُّ سِوَى ... شَخْصَـيْ حَبِيْبَـيْنِ مِـنْ هَـذِيْ الْمَلَايِـيْنِ

رِفْقَـاً بِلُؤْلُـؤَةٍ فِيْ جَـانِبَيْ صَـدَفٍ ... ضُـمَّا عَلَيْهَـا كَضَـمِّ القَلْـبِ لِلـدِّيْنِ

---

(1) قَرْيَةٌ فِيْ جَبَلِ لُبْنَانَ، يَكْثُرُ فِيْهَا الْمُصْطَافُوْنَ.

(2) لم تنشر من قبل في كتاب.
~~~

فَلَــوْ تَــرَى الهَــائِمَ الْمِسْــكِيْنَ مُرْتَعِــدَاً   مِــنَ النَّـــوَى كَــذَبِيْحٍ تَحْــتَ سِـــكِّيْنِ

رُوْحٌ ضَــئِيْلٌ وَشَــخْصٌ جَامِــدٌ وَهَــوَىً   بَـــرْحٌ وَهَـــمٌّ سَــلِيْبِ العَقْـــلِ مَفْتُـــوْنِ

مُلْقَــىً لَـدَى النَّـاسِ لَـوْ أَبْصَـرْتَ حَالَتَـهُ   فِيْ النَّــاسِ أَبْصَــرْتَ مَيْتَــاً غَــيْرَ مَــدْفُوْنِ

~~~

لَيْـــتَ الفِــرَاقَ نَجَــا بِيْ مِــنْ عَوَاذِلِهَــا   وَلَـــوْ إِلَى مَطْـــرَحٍ فِيْ القَـــبْرِ يَطْـــوِيْنِيْ

كَــأْسٌ ظَمِئْــتُ لَهَــا حَــتَّى إِذَا عَرَضَــتْ   شَــرِقْتُ مِنْهَــا بِمَــا قَــدْ كَــانَ يُــرْدِيْنِيْ
~~~

قصيدة: الشرق المريض

[مجلة المقتطف، 21 ذي الحجة 1330 - 1 كانون الأول 1912][1]

[على البسيط]

يَا مَـنْ لِهَـذَا الْمَـرِيْضِ الْمُـدْنَفِ العَـانِيْ ... مُـــرِدَّدُ الـــنَّفَسِ مِـــنْ آنٍ إِلَى آنِ

إِذَا رَأَى اللَّيْـلَ ظَـنَّ القَـبْرَ شُـقَّ لَـهُ ... وَظَـــنَّ أَنْجُمَـــهُ آثَارَ أَكْفَـــانِ

وَيَحْسَـبُ الصُّـبْحَ بَابَ الْمَـوْتِ لَاحَ لَـهُ ... وَفَوْقَـهُ الشَّـمْسُ قُفْـلٌ فَتْحُـهُ دَانِيْ

نِضْـوٌ عَلَـى رَمَـقٍ فَـانٍ يَعِـيْشُ بِـهِ ... لَكِنَّـهُ رَمَـقٌ مَهْمَـا يَعِـشْ فَـانِيْ

مُطَـرَّحُ الهَـمِّ فِيْ كُـلِّ الجِهَـاتِ فَمَـا ... يَـرَى بِكُـلِّ مَكَـانٍ غَـيْرَ أَحْـزَانِ

تَـــؤُزُّهُ كَبِـــدٌ حَـــرَّى مُعَلَّقَـــةٌ ... مِـــنَ الأَضَـــالِعِ فِيْ أَعْـــوَادِ نِـــيْرَانِ

~~~

يَا مَنْ لَهُ إِذْ يَرَى الدُّنْيَا كَمَا اشْتَبَهَتْ ... بَقِيَّـةُ الحُلْـمِ فِيْ أَجْفَـانِ يَقْظَـانِ

يَا مَـنْ لَـهُ إِذْ يَـرَى الأَشْـيَاءَ وَاهِنَـةً ... كَمَـا بَـدَا أَثَـرُ الـذِّكْرَى بِنِسْـيَانِ

حَـيٌّ طَـرِيْحٌ يَـرَاهُمْ يُلْحِـدُوْنَ لَـهُ ... لَمْ يَسْـتَحُوا أَنْ تَـرَاهُمُ مِنْـهُ عَيْنَـانِ

يَا مَنْ لِذَا الشَّرْقِ، يَا مَنْ لِلطَّرِيْحِ عَلَى ... لَحْـدِ الزَّمَـانِ بِأَيْـدِيْ شَـرِّ أَعْـوَانِ

مُسْتَيْئِسِـيْنَ وَلَمَّـا يَأْمَلُـوا أَمَـلاً ... وَاليَّـأْسُ دَاءٌ لِـنَفْسِ العَـاجِزِ الـوَانِيْ

---

(1) نشرت عن كتاب حديث القمر وهي فيه (ص 162 - 169).
~~~

وَيَسْــبِقُوْنَ الــرَّدَى لِلْقَــبْرِ وَهُــوَ قَضَــاً فِيْ الغَيْبِ، فَاعْجَبْ لِهَذَا الشَّأْنِ مِنْ شَانِ

وَيُـــذْعِنُوْنَ وَلَا مَـــا يُـــذْعِنُوْنَ لَـــهُ لَكِنَّـــهُ خُلُـــقٌ يَقْضِـــيْ بِإِذْعَـــانِ

وَيَسْـــأَلُوْنَ الْمُـــنَى تَجْـــرِيْ بِـــلَا عَمَـــلٍ كَـــالرِّيْحِ جَارِيَـــةً فِيْ غَـــيْرِ أَرْسَـــانِ

سُـخْفٌ وَأَسْـخَفُ مِنْـهُ وَهُـوَ مَعْجَـزَةٌ وَضَـــــلَّةٌ أَنْ يُسَـــــمُّوْهُ بِإِيْمَـــــانِ

~~~

يَا وَيْـحَ لِلشَّـرْقِ مِـنْ أَمْـرٍ بِـهِ لَبِـكٍ كَـــالهَمِّ مُلْتَـــبِسٍ فِيْ رَأْيِ حَـــيْرَانِ

مِـــنْ كُـــلِّ مُضْـــلِعَةٍ تُرْمَـــى بِمُعْضِـــلَةٍ رَمْـــيَ النُّحُـــوْسِ لِـــذِيْ بُـــؤْسٍ بِحِرْمَـــانِ

تَعَقَّـــدَتْ وَالْتَـــوَتْ كَالْمُسْـــتَحِيْلِ فَمَـــا تُرِيْـــكَ مِـــنْ مَوْضِـــعٍ فِيْهَـــا لِإِمْكَـــانِ

لَـــوْ صَـــوَّرُوْهَا لَكَانَـــتْ صُـــوْرَةَ امْـــرَأَةٍ مَصْـــبُوْغَةٍ مِـــنْ جَهَـــالَاتٍ بِأَلْـــوَانِ

رَبُّـــوا لِـــذَا الشَّـــرْقِ يَا قَـــوْمِيْ مُمَرِّضَـــةً تَحْنُـــوْ عَلَيْـــهِ بِإِحْسَـــاسٍ وَوِجْـــدَانِ

تَطِبُّـــــهُ رُوْحُهَـــــا مِمَّـــــا أَلَمَّ بِـــــهِ فَـــإِنَّ أَقْتَـــلَ دَاءِ الشَّـــرْقِ رُوْحَـــانِيْ

يَـــرَى عَوَاطِفَهَـــا الأَدْيَانَ خَالِصَـــةً إِذَا تَلَعَّـــــــــبَ أَهْلُـــــــــوْهُ بِأَدْيَانِ

يَـرَى بِهَـا عَهْـدَهُ عَهْـدَ الْمَلَائِـكِ الـ ــــبِرِّ الطَّبِيْعِـــيِّ، فِيْ حُسْـــنٍ وَإِحْسَـــانِ

يَـــرَى حَنَـــاناً كَعَهْـــدِ الأَنْبِيَـــاءِ وَمَـــا تَشْـــتَاقُهُ الـــرُّوْحُ فِيْـــهِ مُنْـــذُ أَزْمَـــانِ

يَـرَى الفَضَـائِلَ بَعْـدَ اليَـأْسِ قَـدْ ظَفَـرَتْ آمَـــالُهُنَّ وَنَالَـــتْ قَلْـــبَ إِنْسَـــانِ

رَبُّـــوا لَـــهُ الأُمَّ يَا قَـــوْمِيْ فَلَـــوْ وُجِـــدَتْ فِيْ الشَّـــرْقِ مَـــا طَـــاحَ فِيْ ذُلٍّ وَإِهْـــوَانِ

تِلْـــكَ الَّـــتِيْ تَرْفَـــعُ الـــدُّنْيَا وَتَخْفُضُـــهَا بِطِفْلِهَـــــا فَهُـــــوَ وَالـــــدُّنْيَا بِمِيْـــــزَانِ

تِلْـكَ السَّـمَاءُ الَّـتِيْ تُلْقِـيْ لَهُـمْ مَلَكَـاً فَـــــلَا يُرَبُّوْنَـــــهُ إِلَّا كَشَـــــيْطَانِ
~~~

تِلْكَ الَّتِيْ جَعَلُوْهَا فِيْ الْمَنَازِلِ كَالـ ... ـمِرْآةِ مَطْرُوْحَةً فِيْ دَارِ عُمْيَانِ

ذَنْبُ الرِّجَالِ، وَلَكِنَّ النِّسَاءَ بِهِ ... مُعَاقَبَاتٌ بِآلَامٍ وَأَشْجَانِ!

كَمُقْلَةِ العَيْنِ فِيْ آلَامِهَا اعْتَلَجَتْ[1] ... وَالدَّاءُ مَا مَسَّ مِنْهَا غَيْرَ أَجْفَانِ

~~~

لَهْفِيْ لِجَوْهَرَةٍ زَهْرَاءَ مَا سَطَعَتْ ... فِيْ جِيْدِ غَانِيَةٍ أَوْ فَوْقَ تِيْجَانِ

لَهْفِيْ لِرَيْحَانَةٍ خَضْرَاءَ مَا قُطِعَتْ ... إِلَّا لِتَذْبُلَ فِيْ رَاحَاتِ نَشْوَانِ

لَهْفِيْ لِغَانِيَةٍ عَذْرَاءَ مَا وُضِعَتْ ... إِلَّا بِمَنْزِلِ أَسْوَاءٍ وَأَضْغَانِ

لِكُلِّ مَعْنَىً جَمِيْلٍ مَا يُلَائِمُهُ ... كَمَا تَمَازَجُ أَلْحَانٌ بِأَلْحَانِ

وَلَيْس يُطْرِبُ صَوْتُ الْمَاءِ مُنْحَدِرَاً ... كَمَا تَرَى وَقْعَهُ فِيْ سَمْعِ ظَمْآنِ[2]

فَيَا إِلَهِيْ إِذَا أَجْرَيْتَ فِيْ قَدَرٍ ... يَوْمَاً بِأَنْ يَلْتَقِيَ فِيْ النَّاسِ ضِدَّانِ

فَاجْعَلْ لِلُطْفِكَ مَعْنَىً فِيْ الْتِقَائِهِمَا ... كَيْلَا يَكُوْنَ مِنَ الضِّدَّيْنِ زَوْجَانِ

فَمَا خَلَقْتَ كَمِثْلِ البُغْضِ فِيْ امْرَأَةٍ ... يَنَالُهَا رَجُلٌ يَوْمَاً بِطُغْيَانِ

وَلَا خَلَقْتَ كَمِثْلِ الذُّلِ فِيْ رَجُلٍ ... تَسُوْمُهُ امْرَأَةٌ سُوْءَاً بِعُدْوَانِ

~~~

يَا بَانِيَاً بِقُلُوْبِ النَّاسِ يَجْعَلُهَا ... قَصْرَ الحَيَاةِ، تَبَصَّرْهُ أَيُّهَا البَانِيْ

أَسِّسْ عَلَى الحُبِّ، لَا تُلْقِ القُلُوْبَ سُدَىً ... وَضَعْ لِكُلِّ فُؤَادٍ شَكْلَهُ الثَّانِيْ

---

(1) في مجلة المقتطف: اعْتَجَلَتْ.

(2) في حديث القمر: نَرَى وَقْعَةَ فِيْ سَمْعِ ظَمْآنِ.

فَلَسْــتَ تَبْــنِيْ سِــوَى دَارٍ إِذَا خَرِبَــتْ أَرْكَانُهَــا خَرِبَــتْ مِــنْ كُــلِّ عِمْــرَانِ

دَارُ السَّــعَادَةِ دَارُ الحُــبِّ دَارُ مُــنَى الــ أَحْبَــابِ دَارُ الغَــرَامِ الخَالِــدِ الهَــانِيْ

قصيدة: دموع الهرم لدموع الصبا؛ من الشيخ البائس لحفيدته

[مجلة المقتطف، 26 جمادى الأخرى 1333 - 1 حزيران 1913][1]

[على البسيط]

دَجَا الظَّلَامُ فَيَا لَيْلِيْ أَمَا فِيْنَا ... رُوْحٌ أَمِ الْمَوْتُ مِثْلَ الرِّزْقِ جَافِيْنَا

يَأْتِيْ الصَّبَاحُ عَلَيْنَا لَا يُكَفِّنُنَا ... وَيَذْهَبُ اللَّيْلُ عَنَّا لَا يُوَارِيْنَا

وَتَطْلُعُ الشَّمْسُ تُحْيِيْنَا وَلَيْسَ لَنَا ... زَادُ الحَيَاةِ فَلِمَ يَا رَبِّ تُحْيِيْنَا

تُنِيْرُ عَالَمَ سُوْءٍ كُلُّهُ ظُلْمٌ ... كَالظِّلِّ ضُمِّنَ مِنْهُ النُّوْرُ تَضْمِيْنَا

اللهُ كَوَّنَهُ تَكْوِيْنَ مَرْحَمَةٍ ... وَكَوَّنَ النَّاسُ بَعْدَ اللهِ تَكْوِيْنَا

فَأَيُّهُمْ مَا اعْتَدَى ظُلْمَاً وَهَلْ وَجَدُوا ... مِنْ أُمَّةٍ لَمْ تَقُلْ ظُلْمَاً أَعَادِيْنَا

يَا رَبِّ قَدْ عَادَ صَخْرَاً عَاتِيَاً وَقِحَاً ... مَا كُنْتَ أَنْشَأْتَهُ مِنْ قَبْلِهَا طِيْنَا

~~~

حُبُّ الأَنَامِ مُحَابَاةٌ وَقَدْ فَقَدَتْ ... عَيْنِيْ الْمُحِبِّيْنَ فِيْهِمْ وَالْمُحَابِيْنَا

كَأَنَّنِيْ لَسْتُ إِنْسَانَاً يُشَابِهُهُمْ ... وَلَا أُعَدُّ وَلَا بَيْنَ الْمُرَائِيْنَا

يَا نَفْسُ وَيْحَكِ قَرِّيْ غَيْرَ جَائِشَةٍ ... كَانُوا وَكُنَّا وَمَا شَاؤُوا وَلَا شِيْنَا

وَكُلُّنَا صَائِرٌ يَوْمَاً لِمَصْرَعِهِ ... إِنَّ الَّذِيْ هُوَ سَوَّانَا يُسَاوِيْنَا

---

(1) لم تنشر من قبل في كتاب.
~~~

هِـــيَ الرَّذِيْلَـــةُ تَبْلُـــوْهُمْ فَتُضْـــحِكُهُمْ وَهِـــيَ الفَضِـــيْلَةُ تَبْلُـــوْنا فَتُبْكِيْنَـــا

وَكُــلُّ حَسْـنَاءَ بَـيْنَ النَّـاسِ إِنْ شَـقِيَتْ فَمِـــنْ مَحَاسِـــنِهَا لَا مِـــنْ مَسَـــاوِيْنَا

~~~

لَا يَخْـــدَعَنَّكَ مِنَّـــا ظَـــاهِرٌ حَفِـــلٌ بِالابْتِسَـــامِ وَغَلْغِـــلْ فِيْ خَوَافِيْنَـــا

وَجْـــهُ الْمُنَـــافِقِ مِـــرْآةٌ مُنَافِقَـــةٌ تُحَسِّـــنُ القُـــبْحَ لِلْأَبْصَـــارِ تَحْسِـــيْنَا

فَـــإِنْ عَيِيْـــتَ بِنَـــا فَـــانْظُرْ ضَـــمَائِرَنَا فَمَـــــا ضَـــــمَائِرُنَا إِلَّا مَرَائِيْنَـــــا

~~~

مَـــاذَا ادَّخَـــرْتُ مِـــنَ الـــدُّنْيَا فَتُعْجِبُـــنِيْ وَكَيْـــــفَ تَغْـــتَرُّ بِالـــــدُّنْيَا أَمَانِيْنَـــــا

شَـيْخٌ ضَـعِيْفٌ تَنَـاهِي السِّـنّ طَـاحَ بِـهِ وَاليَــــوْمَ أَهْـــدَفَ يَرْمِـــيْ لِلثَّمَانِيْنَـــا

يَـــرَى الزَّمَـــانُ لَـــهُ مِـــنْ عَظْمِـــهِ قَلَمَـــاً مَـــا انْفَـــكَّ يُرْعِشُـــهُ خَطَّـــاً وَتَـــدْوِيْنَا

(جِلْـــدٌ) يَضُـــمُّ كِتَـــاباً حِـــيْنَ أَلَّفَـــهُ مِـــنَ الشَّـــقَا دَهْـــرُهُ سَمَّـــاهُ مِسْـــكِيْنَا

حَمَلْـــتُ مِـــنْ نَكَـــدِيْ مَـــا إِنَّ أَيْسَـــرَهُ لِيَـــــتْرُكُ العُقَـــــلَا بُلْهَـــــاً مَجَانِيْنَـــــا

تَرْمِـــيْ الحَـــوَادِثَ بِيْ فِيْ كُـــلِّ بَادِرَةٍ وَلَمْ أَزَلْ دَائِبَـــــاً أَبْقَـــــى وَيَمْضِـــــيْنَا

كَـــأَنَّ لِيْ رُوْحَ بُرْكَـــانٍ فَمَـــا بَرَحَـــتْ حَـــوْلِيْ الحَـــوَادِثُ يَفْجُـــرْنَ البَرَاكِيْنَـــا

~~~

حَـــنَى الزَّمَـــانُ قَنَـــاتِيْ بَعْـــدَ مَعْرَكَـــةٍ كَـــانَ الشَّـــبَابُ لَنَـــا فِيْهَـــا مَيَادِيْنَـــا

فَكَـــمْ لَنَـــا فَـــتَرَاتٌ فِيْ الزَّمَـــانِ جَـــرَتْ سَـــوَانِحُ الـــيُمْنِ فِيْهَـــا مِـــنْ نَوَاحِيْنَـــا

وَكَـــمْ لَنَـــا طَمَحَـــاتٌ فِيْ الْمُـــنَى نَسَـــمُوا رُوْحَ الجِنَـــانِ بِهَـــا مِـــنْ زَهْـــرِ وَادِيْنَـــا
~~~

وَكَمْ لَنَا ضَحِكَاتٌ فِيْ الصِّبَا مَلَأَتْ   فَمَ الشَّبَابِ تَغَارِيْدَاً وَتَلْحِيْنَا

إِنَّا لَنَمْضِيْ لَدُنَ يَمْضِيْ الشَّبَابُ وَلَا   يَعِيْشُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا أَسَامِيْنَا

فَهَا أَنَا اليَوْمَ نِضْوٌ رَازِحٌ لَصِقٌ   بِالأَرْضِ يَا حَشَرَاتِ الأَرْضِ وَاسِيْنَا

مُلْقَىً تَطَايَرُ حَوْلِيْ النَّاسُ لَا وَزَرٌ   مِنْهُمْ وَلَا مَلْجَأً فِيْ النَّاسِ يُؤْوِيْنَا

يُنَظِّفُوْنَ طَرِيْقَ السَّابِلِيْنَ وَلَا   يَرَوْنَ فِيْ طُرُقِ الدُّنْيَا الْمَسَاكِيْنَا

فَلَوْ رَأَوا مَوْضِعِيْ فِيْ أَرْضِهِمْ حَجَرَاً   رَأَيْتَهُمْ عَرَفُوْهُ غَيْرَ نَاسِيْنَا

يَا مَنْ تُكَبْكِبُهُ الأَقْدَامُ إِنْ كُتِبَتْ   لَكَ الحَيَاةُ فَمِنْ أَيْدِيْ الْمُعِيْنِيْنَا

~~~

لَيْلَى وَمَا أَنْتِ إِلَّا دَمْعَةٌ جَمَعَتْ   حُسْنَاً وَطُهْرَاً وَآلَامَاً وَتَحْزِيْنَا

لَيْلَى أَأَنْتِ أَغَرْتِ البَدْرَ فَابْتَسَمَتْ   لَهُ اللَّيَالِيْ وَدَاجَتْنَا لَيَالِيْنَا

لَيْلَى أَحُسْنُكِ غَاظَ الزَّهْرَ فَاحْتَفَلَتْ   بِهِ الصَّبَابَةُ تَعْطِيْرَاً وَتَلْوِيْنَا

لَيْلَى أَأَزْرَيْتِ بِالأَغْصَانِ فَانْتَسَجَتْ   لَهَا الطَّبِيْعَةُ ذِيْ الأَثْوَابَ تَزْيِيْنَا

لَيْلَى وَيَا لَهْفِيْ لَوْ أَنَّ حِلْيَتَهَا   مِنْ لُؤْلُؤٍ غَيْرُ مَا تُذْرِيْ مَآقِيْنَا

لَيْلَى وَيَا حُزْنِيْ إِنْ لَمْ تَكُنْ مَلَكَاً   إِلَى يَدِ اللهِ لَا مَا بَيْنَ أَيْدِيْنَا

النَّاسُ لِلْمَالِ دُوْنَ الدِّيْنِ قَدْ صَبَؤُوا   فَوَيْحَ مَنْ أَشْبَهَتْ فِيْ فَقْرِهَا الدِّيْنَا

مَا يَصْنَعُ الفَضْلُ وَالتَّقْوَى بِفَقْرِهِمَا   وَذِيْ (فَوَائِدُ) لَا تُغْنِيْ الْمُرَابِيْنَا

يَا حَسْرَتَا حَسْرَةً أُمْسِيْ أُجَنُّ لَهَا   مِنْ أَنَّ سَافِلَنَا بِالْمَالِ عَالِيْنَا

الفَقْرُ حُكِّمَ فِيْ الدُّنْيَا شَرَائِعِهَا   وَالْمَالُ حَكَّمَ فِيْ الفَقْرِ القَوَانِيْنَا
~~~

كَــأَنَّ هَــذَا الَّــذِيْ يَدْعُوْنَــهُ (ذَهَبَــاً) رُوْحٌ مِــنَ النَّــارِ مَــا تَنْفَــكُّ تَكْوِيْنَــا

لَــوْلَاهُ فِيْ النَّــاسِ قَــدْ صَــارُوا مَلَائِكَــةً لَكِنَّـــــهُ مَـــــلَأَ الـــــدُّنْيَا شَـــــيَاطِيْنَا

قَــدِ اسْــتَرَدْنَا لِأَمْــرِ اللهِ كَيْــفَ قَضَــى فَهَـــوِّنِيْ عَنْـــكِ يَا لَـــيْلَايَ تَهْوِيْنَـــا

~~~

أَمَّـــا الجَمِيْلَـــةُ فَارْتَاعَـــتْ مَـــدَامِعُهَا وَاسْــتَنْفَرَتْ مِــنْ عُيُــوْنِ القَلْــبِ يَجْرِيْنَــا

وَحِيْــدَةٌ مَــا لَهَــا كَهْــفٌ تَلُــوْذُ بِــهِ إِلَّا الفَضِــيْلَةُ حِيْنَــاً وَالْمُــنَى حِيْنَــا

أَوْدَى أَبُوْهَــا وَأَوْدَتْ أُمُّهَــا وَطَــوَى عَنْهَـــا تُرَابُهُمَـــا حُـــبَّ الْمُحِبِّيْنَـــا

وَجَــدُّهَا كَبَقَــايَا العُمْــرِ قَــدْ طُرِحَــتْ عَلَــى طَرِيْــقِ الــرَّدَى طَــرْحَ الْمُهِيْنِيْنَــا

فَلَــيْسَ تَعْــرِفُ غَــيْرَ الحُــزْنِ مُنْعَطَفَــاً وَلَــيْسَ تَعْهَــدُ فِيْ غَــيْرِ البُكَــا لِيْنَــا

تَبْكِــيْ وَلَا مُسْــعِدٌ يَرْثِــيْ لِأَدْمُعِهَــا فِيْ الأَكْثَـــرِيْنَ وَلَا بَـــيْنَ الأَقَلِّيْنَـــا

دَمْــعٌ يَتِــيْمٌ إِذَا عَــيْنُ الحَــزِيْنِ رَأَتْ قَرَابَـــةَ الحُـــزْنِ فِيْ دَمْـــعِ الْمُعَزِّيْنَـــا

يَا ضَـيْعَةَ الحُـبِّ أَمْسَـى الْمَـالُ يَعْرِضُـهُ عَـــرْضَ الْمَذَلَّـــةِ فِيْ وَجْـــهِ الأَذَلِّيْنَـــا

نَـدَى الشَّـبَابِ بِفَجْـرِ الحُسْـنِ رَفَّ عَلَـى رَوْضِ الهَــوَى لَا يَــرَى فِيْــهِ رَيَاحِيْنَــا

~~~

لَا تَعْجَبُـــــوا بَعْـــــدَهَا اللهُ يُنْـــــذِرُنَا مِـــنْ وَزْنِ أَعْمَالِنَـــا فِيْ يَـــوْمِ يَجْزِيْنَـــا

حُــبُّ الغِــنَى جَعَــلَ الــدُّنْيَا (مُتَــاجَرَةً) فَالعَــدْلُ أَنْ تَنْصِــبَ الأُخْــرَى (مَوَازِيْنَــا)

~~~
~~~

قَالَــتْ لَــهُ وَلِجَــاجُ الــدَّمْعِ يَغْلِبُهَــا وَمَــا تَكَــادُ تُقِــيْمُ اللَّفْــظَ تَبْيِيْنَــا

لَا تَأْسَ يَا أَبَــتِيْ إِنِّيْ أَصَــبْتُ لَنَــا مِــنْ عَــادِيَاتِ الَّــذِيْ نَخْشَــاهُ تَأْمِيْنَــا

أَصَــبْتُ قَوْمَــاً كِرَامَــاً أَهْــلَ مَرْحَمَــةٍ يَلْقَــوْنَ أَوْجُهَنَــا غُــرَّاً مَيَامِيْنَــا

(عِصَــابَةٌ) أَلَّــفَ (الإِحْسَــانُ) بَيْــنَهُمُ وَبَيْنَنَــا فَهُــمُ مِنَّــا كَأَهْلِيْنَــا

إِنْ شِــئْتَهُمْ أُخْــوَةً لَمْ يَأْنَفُــوا وَإِذَا أَرَدْتَ نُصْــرَتَهُمْ كَــانُوا الْمُحَامِيْنَــا

وَإِنْ بَغَتْــكَ صُــرُوْفُ الــدَّهْرِ غَائِلَــةً فَزَعْزَعَتْــكَ تَجِــدْ مِــنْهُمْ أَسَــاطِيْنَا

وَإِنْ دَهَتْنَــا مِــنَ الأَسْــقَامِ فَادِحَــةٌ رَأَيْــتَ مِــنْهُمْ لَهَــا خَــيْرَ الْمُــدَاوِيْنَا

قَــوْمٌ إِذَا وَلَجُــوا دَارَ الفَقِــيْرِ غَــدَوا لِأَنْعُــمِ اللهِ فِيْ البُؤْسَــى عَنَاوِيْنَــا

الحَمْــدُ للهِ أَيْــدِيْ النَّــاسِ تَهْــدِمُنَا لَكِــنَّ أَيْــدِيْهِمْ تَأْتِيْ فَتَبْنِيْنَــا

قصيدة: على الكوكب الهاوي

[1]1917 - 1335]

[على الطويل]

حَسْنَاءُ أَفْقَرَتْهَا الحَرْبُ، وَكَيْفَ تَتَلَقَّاهَا الحَقِيْقَةُ؟!

طَرِيْـدَةُ بُـؤْسٍ مَـلَّ مِـنْ بُؤْسِـهَا الصَّـبْرُ وطَالَـتْ عَلَـى الغَـبْرَاءِ أَيَّامُهَـا الغُـبْرُ

تَنَكَّـرَتِ الـدُّنْيَا لَهَـا وَرَمَـتْ بِهَـا عَلَـى الكَوْكَـبِ الهَـاوِيْ حَـوَاهُ فَضَـاً قَفْـرُ

وَكَانَـتْ كَمَـا شَـاءَتْ وَشَـاءَ جَمَالُهَـا كَمَـا اشْـتَهَتِ العَلْيَـا كَمَـا وَصَـفَ الشِّـعْرُ

تَـلأْلأُ فِي صَـدْرِ الْمَكَـارِمِ دُرَّةً يُحِـيطُ بِهَـا مِـنْ عِقْـدِ أَنْسَـابِهَا دُرُّ

وَمَـا بَرِحَـتْ تَرْقَـى السِّـنِينَ وَتَعْتَلِـيْ وَكُـلُّ الْمَعَـالِيْ فِي طُفُولَتِهَـا حِجْـرُ

فَكَانَـتْ كَزَهْـرٍ نَضَّـرَ الفَجْـرُ حُسْـنَهُ وَلَمَّـا عَلَـتْ كَـالنَّجْمِ أَطْفَأَهَـا الفَجْـرُ

~~~

رَمَـى الـدَّهْرُ أَهْلَيْهَـا بِحَـرْبٍ وَلَمْ يُـرِدْ بِهَـا الشَّـرَّ لَكِـنَّ الحُـرُوْبَ هِـيَ الشَّـرُّ

وَمَـنْ يَحْطِـمِ الكَـأْسَ الرَّوِيَّـةَ وَحْـدَهَا فَقَـدْ ذَهَـبَ اثْنَـانِ الزُّجَاجَـةُ وَالخَمْـرُ

تَقَاسَمَـتِ الحُسْـنَ الإِلَهِـيَّ وَانْثَـنَى يُقَاسِمُهَـا، فَـالأَمْرُ بَيْنَهُمَـا أَمْـرُ

(1) هي في المساكين (ص 250 - 258).
~~~

فَلِلشَّــمْسِ مِنْهَــا طَلْعَــةُ الحُسْــنِ مُشْــرِقاً ... وَفِيهَــا مِــنَ الشَّــمْسِ التَّوَقُّــدُ وَالجَمْــرُ

وَلِلزَّهْــرِ مِنْهَــا نَفْحَــةُ الحُسْــنِ عَــاطِراً ... وَفِيهَــا ذُبُــوْلٌ مِثْلَمَــا ذَبُــلَ الزَّهْــرُ

وَلِلظَّـــبْيِ مِنْهَـــا مُقْلَتَاهَـــا وَجِيْـــدُهَا ... وَفِيهَــا مِــنَ الظَّــبْيِ التَّلَفُّــتُ وَالــذُّعْرُ

وَمَــا قِيْمَــةُ الحَسْــنَاءِ يَقْــبُحُ حَظُّهَــا ... وَتَــذْوِيْ بَــرَوْضِ الحُــبِّ أَيَّامُهَــا الخُضْــرُ

مِـنَ الحُسْـنِ مَعْـنَىً يَهْلَـكُ الحُسْنُ عِنْـدَهُ ... كَمَــا أَهْلَــكَ الأَزْهَــارَ أَنْ يُؤْخَــذَ العِطْــرُ

فَمَــا الحُسْــنُ فَخْــرٌ لِلْحِسَــانِ وَإِنَّمَــا ... لِخَالِقِـــهِ فِيمَـــا يُرِيْـــدُ بِـــهِ سِـــرُّ

~~~

ضَـعِيْفَةُ أَنْفَـاسِ الْمُـنَى بَعْـدَمَا غَـدَتْ ... رِقَـــابُ أَمَانِيْهَـــا يُغَلِّلُهَـــا الفَقْـــرُ

وَبَـــيْنَ خُطَـــى أَيَّامِهَـــا كُـــلُّ عَثْـــرَةٍ ... يُزَلْـــزِلُ أَقْـــدَامَ الحَيَـــاةِ بِهَـــا العُسْـــرُ

وَزَجَّــتْ بِهَــا الأَحْــزَانُ فِي بَحْــرِ دَمْعِهَــا ... وَلَــيْسَ لِبَحْــرِ الــدَّمْعِ فِي أَرْضِــنَا بَــرُّ

يُقَاذِفُهَـــا مَـــوْجُ اللَّيَـــالِيْ وَمَـــا لَهَـــا ... سِـــوَى زَوْرَقٍ وَاهٍ يُقَـــالُ لَـــهُ العُمْـــرُ

وَمَـا الْتَمَسَـتْ رَأْسَ الرَّجَـا عِنْـدَ صَـخْرَةٍ ... فَكَـانَ سِـوَى رَأْسِ الـرَّدَى ذَلِـكَ الصَّـخْرُ

إِذَا اسْـتَنْبَئُوهَا أَرْسَـلَتْ مِـنْ دُمُوعِهَـا ... لَآلِـــئَ حُـــزْنٍ كُـــلُّ لُؤْلُـــؤَةٍ فِكْـــرُ

وَإِنْ سَــــأَلُوهَا لَجْلَجَــــتْ فَكَأَنَّمَــــا ... عَـرَا اللَّفْـظَ لَمَّـا مَـرَّ مِـنْ فَمِهَـا سُـكْرُ

مُشَـــرَّدَةٌ حَـــيْرَى تَنَـــازَعَ نَفْسَـــهَا ... فَرِيقَـــانِ ذُلٌّ لَمْ تَعـــوَّدْهُ وَالكِـــبْرُ

وَمَــا قَتَــلَ الــذُّلُّ امْــرَأً مِــنْ عَبِيْــدِهِ ... وَكَــمْ مِــنْ فَــتَىً يَرْمِــيْ بِهَامَتِــهِ الفَخْــرُ

وَلَــوْ أَنْصَــفَ الإِنْسَــانُ فِي قَــدْرِ نَفْسِــهِ ... رَأَى قَـــدْرَهَا أَنْ لَا يَهُـــوْنَ لَهَـــا قَـــدْرُ

فَــلَا تَتَسَــاءَلْ كَيْــفَ تَقْعُــدُ وَادِعَــاً ... وَلَكِـنْ تَسَـاءَلْ كَيْـفَ يَسْعَى بِـكَ الـذِّكْرُ
~~~

وَكُــنْ رَجُــلاً كَالضِّــرْسِ يَرْسُــوْ مَكَانَــهُ ... لِــيَطْحَنَ لَا يَعْنِيْــهِ حُلْــوٌ وَلَا مُـــرُّ

وَلَا تَتَوَقَّــــعْ أَيُّ جَنْبَيْـــكَ وَاقِـــعٌ ... إِذَا انْطَبَقَــتْ يَوْمَــاً حَوَادِثُهَــا النُّكْــرُ

وَلَكِـــنْ تَلَـــقَّ الـــدَّهْرَ غَـــيْرَ مُفَـــزَّعٍ ... بَصَــدْرِكَ وَلْتَعْــرُ الخُطُــوْبُ كَمَــا تَعْــرُوْ

فَعِـــزُّ الحُسَـــامِ الهِنْـــدُوَانِيِّ صَـــدْرُهُ ... وَذُلُّ العَصَــا أَنَّ العَصَــا كُلُّهَــا ظَهْــرُ

وَلَــنْ يَهِــنَ الحُــرُّ انْتَضَــى عَزَمَاتِــهِ ... وَصَــالَ بِهَــا مِــنْ صَــبْرِهِ الخُلُــقُ الحُــرُّ

وَإِنْ تُغْلَــبِ الأَبْطَــالُ فِي كُــلِّ حَوْمَــةٍ ... فَمَــا عُرِفَــتْ حَــرْبٌ بِهَــا غُلِــبَ الصَّــبْرُ

~~~

وَلَيْلَـــةِ هَـــمٍّ مَـــا يَطِـــيْرُ غُرَابُهَـــا ... وَلَا انْحَــطَّ مِــنْ وَكْــرِ الصَّــبَاحِ لَــهُ نَسْــرُ

تُطِــلُّ عَلَيْهَــا الشُّــهْبُ أَعْــيُنَ نِقْمَــةٍ ... تَطَــايَرَ فِيمَــا بَيْنَهَــا النَّظَــرُ الشَّــزْرُ

وَيَزْفِــرُ فِيهَــا اللَّيْــلُ زَفْــرَةَ مَــارِدٍ ... تَطِــيْرُ لَهَــا مِــنْ بَرْقِــهِ الشُّــعَلُ الحُمْــرُ

وَيَخْفُــقُ فِي أَحْنَائِهَــا كُــلُّ عَاصِــفٍ ... خُفُــوْقَ فُــؤَادٍ بَاتَ يَسْــلِمُهُ الصَّــدْرُ

وَيَغْضَــبُ مِــنْ آثَامِهَــا الْمَــوْتُ غَضْــبَةً ... يُــرَجُّ لَهَــا فِي كُــلِّ نَاحِيَــةٍ قَــبْرُ

دُخَانِيَّــةٌ هَوْجَــاءُ لَــوْ مُــدَّ نَقْعُهَــا ... لَقَــامَ عَلَــى وَادِيْ الجَحِــيْمِ بِهَــا جِسْــرُ

وَأَهْــوَنُ مَــا فِي أَرْضِــهَا وَسَمَائِهَــا ... عَلَــى النَّــاسِ هَاتِيْــكَ الحَزِيْنَــةُ وَالبَــدْرُ

ثَــوَتْ تَحْتَهَــا تَلْــكَ الفَتَــاةُ عَلِيْلَــةً ... تَئِــزُّ كَمَــا أَزَّتْ عَلَــى نَارِهَــا القِــدْرُ

وَفِي غُرْفَــةٍ مِمَّــا بَــنَى اللهُ لَا الــوَرَى ... فَلَـيْسَ عَلَـى مَـنْ حَـلَّ سَـاحَتَهَا أَجْـرُ

جَوَانِبُهَــا شَــرْقُ الظَّــلَامِ وَغَرْبُــهُ ... وَفِيْ سَــقْفِهَا ضَــاءَتْ كَوَاكِبُــهُ الزُّهْــرُ

مُمَــدَّدَةً كَالسَّــطْرِ فِي صَــفْحَةِ الْمُــنَى ... وَأَطْمَارُهَــا تَبْــدُوْ كَمَــا (شُــطِبَ) السَّــطْرُ
~~~

فَـإِنْ يَـكُ أَهْـلُ الأَرْضِ أَرْقَـامَ حَاسِـبٍ ... فَتِلْــكَ وَرَاءَ العَــالَمِيْنَ هِــيَ الصِّــفْرُ

~~~

رَمَــتْ عَيْنَهَـا يُمْـنَى وَيُسْـرَى فَلَـمْ تَجِـدْ ... عَلَـى الأَرْضِ خُلْقَـاً لَـيْسَ فِي جَنْبِـهِ غَـدْرُ

رَأَتْ كُــلَّ مَخْــزَاةٍ مِــنَ الشَّــرِّ تَلْتَــوِيْ ... وَيَهْــرِبُ ذُعْــرَاً مِــنْ جِنَايَتِهَــا العُــذْرُ

رَأَتْ أَثَــرَاً تَــدْمِيْ بِــهِ الأَرْضُ وَالسَّــمَا ... وَلَـيْسَ سِـوَى الإِنْسَـانِ فِي جُرْحِـهِ ظُفْـرُ

رَأَتْ ذَلِــكَ الإِنْسَــانَ يَطْغَــى بِعِلْمِــهِ ... وَيَجْهَــلُ أَنَّ العِلْــمَ عَــنْ جَهْلِــهِ زَجْــرُ

أَلَـيْسَ يَـرَى الإِنْسَـانُ فِي القِـرْدِ شِـبْهَهُ ... فَهَــلْ ذَاكَ إِلَّا مِــنْ تَكَــبُّرِهِ سُــخْرُ؟

كَمَــا عَاقَــبَ اللهُ الأُسُــودَ لِكِبْرِهَــا ... فَجَــاءَ لَنَــا فِي صُــوْرَةِ الأَسَــدِ الهِــرُّ

رَأَتْ هَــذِهِ الحَــرْبَ الضَّــرُوْسَ كَأَنَّهَــا ... مَرَاحِــلُ يَطْوِيْهَــا مِــنَ الــزَّمَنِ الحَشْــرُ

وَمَــا حَمِــدَ الشَّــيْطَانُ لِلنَّــاسِ مِثْلَهَــا ... وَلَا كَــانَ لِلشَّــيْطَانِ فِي مِثْلِهَــا شُــكْرُ

وَمَــا الحَــرْبُ إِلَّا رَجْفَــةُ الأَرْضِ رَجْفَــةً ... يَمُــوْتُ بِهَــا عَصْــرٌ لِيَحْيَــا بِهَــا عَصْــرُ

وَمَــا الحَــرْبُ إِلَّا مَطْــرَةٌ دَمَوِيَّــةٌ ... إِذَا دَنِسَــتْ رُوْحُ الــوَرَى فَهِــيَ الطُّهْــرُ

وَمَــا الحَــرْبُ إِلَّا غَضْــبَةُ اللهِ لَامَسَــتْ ... مَخَــازِيَ هَــذَا الــدَّهْرِ فَــانْفَجَرَ الــدَّهْرُ

فَيَــا رَبِّ جَلَّــتْ هَــذِهِ الحَــرْبُ مِحْنَــةً ... عَلَـى النَّـاسِ لَا الإِيْمَـانُ مِنْهَـا وَلَا الكُفْـرُ

فَفِــي كُــلِّ نَفْــسٍ غُصَّــةٌ مَــا تَسِــيْغُهَا ... وَفِي كُــلِّ قَلْــبٍ كَسْــرَةٌ مَــا لَهَــا جَــبْرُ

وَبَــيْنَ شِــفَاهِ النَّــاسِ لِلنَّــاسِ لَعْنَــةٌ ... إِذَا لَمْ يُنَزِّهَــا الحَــقُّ ثَارَ بِهَــا الخُسْــرُ

وَمَــا لَــوَتِ الأَسْـيَافُ فِي الأَرْضِ عُـرْوَةً ... مِــنَ الــبُغْضِ إِلَّا وَالــرُّؤُوْسُ لَهَــا زِرُّ

فَــلَا تَخْــدَعُوا الإِنْسَــانَ عَــنْ نَزَغَاتِــهِ ... فَمَــا النَّــاسُ إِلَّا مَــا أَسَــاؤُوا وَمَــا سَــرُّوا
~~~

وَكَـــــمْ قِيْــــلَ (إِنْسَـــــانِيَّةٌ وَمَحَبَّــــةٌ)   وَعِلْــمٌ وَتَمْـــدِيْنٌ) وَأَشْـــبَاهُهَا الكُثْـــرُ

فَيَـــا قَـــدَرَاً يَجْـــرِيْ دِمَـــاءً وَيَلْتَظِـــي   سَـعِيْرَاً أَذَاكَ الحُـبُّ أَنْـتَ أَمِ الهَجْـرُ؟

وَيَا هَـــذِهِ لَا تَجْحَـــدِيْ إِنَّمَـــا الـــوَرَى   كَمَـا خُلِقُـوا وَالْمُكْـرُ بَعْـدُ هُـوَ الْمُكْـرُ

وَأَيْـــنَ مِـــنَ النَّـــاسِ الكَمَـــالُ وَلَمْ نَـــزَلْ   نَـرَى السُّـودَ سُـوْدَاً لَـيْسَ يَغْسِـلُهُمْ بَحْـرُ

وَلَا بُـــدَّ مِـــنْ ضِـــدَّيْنِ فِي كُـــلِّ حَالَـــةٍ   وَبَيْنَهُمَـــا إِمَّـــا النَّجَـــاةُ أَوِ الأَسْـــرُ

بِـذَلِكَ يَجْـرِيْ الغَيْـبُ إِنْ طَـارَ أَوْ هَـوَى   فَـــإِنَّ جَنَاحَيْـــهِ الْمَنَـــافِعُ وَالضُّـــرُّ

فَـلَا تَطْمَعِـيْ أَنْ تُغْفِـلَ الأَرْضُ أَهْلَهَـا   وَلَا مَـــدَّ فَـــوْقَ الأَرْضِ إِلَّا لَـــهُ جَـــزْرُ

وَلَا تَطْمَعِـيْ أَنْ (يَرْفَـعَ) الْمَـالُ أَنْفُسَـاً   يُحَرِّكُهَـــا مِـــنْ ذُلِّ مَطْمَعِهَـــا (الجَـــرُّ)

وَلَا تَأْمُلِـيْ الأَيَّامَ خُضْـرَاً عَلَـى الْمَـدَى   فَفِـيْ كُـلِّ حِـيْنٍ يَسْـقُطُ الـوَرَقُ النَّضْـرُ

وَلَا تَسْـــأَلِيْ الزِّلْـــزَالَ تَـــرْقِيْصَ طِفْلَـــةٍ   وَأَصْـــغَرُ مَـــا فِيْ كَفِّـــهِ الجَبَـــلُ الـــوَعْرُ

~~~

أَلَا إِنَّمَـــا الـــدُّنْيَا سَـــلَالِيْمُ يَرْتَقِـــيْ   بِهَـــا النَّـــاسُ تُغْـــرِيْهِمْ أَوَاخِرُهَـــا الغُـــرُّ

تَـــذَرَّوْا عُلَاهَـــا لِلْكَمَـــالِ وَعِنْـــدَهُمْ   مِـنَ العِلْـمِ أَسْـبَابٌ يُقِـرُّ لَهَـا السِّـحْرُ

فَمَـــا بَرِحُـــوا يَرْقَـــوْنَ كُـــلَّ بَعِيْـــدَةٍ   وَلَمْ يَعْلَمُـــوا أَيْـــنَ الكَمَـــالُ وَلَمْ يَـــدْرُوا

فَلَمَّـــا عَلَـــوْا وَاسْـــتَحْمَقُوا وَتَتَـــابَعُوا   وَغَـــــرَّهُمُ بِاللهِ ذَلِـــــكَ فَـــــاغْتَرُّوا

تَهَـــاوَوْا عَلَـــى أَعْنَـــاقِهِمْ وَتَحَطَّمَـــتْ   بِهِـمْ دَرَجَـاتٌ كَـانَ مِـنْ فَوْقِهَـا النَّصْـرُ

كَـــذَاكَ سَـــلَالِيْمُ الحَيَـــاةِ فَكُلُّنَـــا   طَمُـوْحٌ لِأَعْلَاهَـا وَفِي الوَسَـطِ الكَسْـرُ
~~~

قصيدة: غليوم

[مجلة المقتطف، 29 ربيع الأول 1337 - 1 كانون الثاني 1919][1]

[على الطويل]

تَغَــيَّرَتِ الــدُّنْيَا فَهَــلْ هِــيَ زُوْرُ أَمِ الفُلْــكُ الــدَّوَّارُ لَــيْسَ يَــدُوْرُ

رَمَاهَــا نِفَــاقُ السَّــيْفِ فِيْ شَــرِّ غَضْـبَةٍ تَلَظَّــى بِأَحْقَــادِ الــوَرَى وَتَضُــوْرُ

تَمُــجُّ شَــرَارَاً يُضْــرِمُ الْمَــاءَ وَالثَّــرَى وَيَشْــوِيْ طُيُــوْرَ الجَــوِّ وَهِــيَ تَطِــيْرُ

شَــرَارَةُ نِــيْرَانِ العُقُــوْلِ وَإِنَّمَــا شَــرَارَةُ نِــيْرَانِ العُقُــوْلِ شُــرُوْرُ

~~~

تَجَهَّــمَ يَوْمَــاً وَجْــهُ (غَلْيُــوْمَ) وَانْــزَوَى فَمَــا فِيْ وُجُــوْهِ العَــالَمِيْنَ سُــرُوْرُ

وَلَا ضَــحِكٌ فِيْ الأَرْضِ إِلَّا ابْتِسَــامَةٌ لَهَــا القَاضِــبَاتُ اللَّامِعَــاتُ ثُغُــوْرُ

وَأَبْــرَأَ دَاءَ الحُــبِّ فِيْ كُــلِّ مَنْــزَعٍ مِــنَ الــبُغْضِ دَاءٌ لَا يُسَــاغُ مَرِيْــرُ

فَلِلشَّــعْبِ مِــنْ شَــعْبٍ وَلِـلْأَخِ مِـنْ أَخٍ وَلِلَّيْــثِ -لَا ظَــبْيَ الكُنَــاسِ- نُفُــوْرُ

وَمَـا انْبَـثَّ مَـا بَـيْنَ الـوَرَى مِـنْ عَلَائِـقٍ فَفِــيْهِنَّ لَا فِيْ الغَانِيَــاتِ فُتُــوْرُ

أَئِـنْ أَظْلَمَـتْ فِيْ وَجْـهِ (غَلْيُـوْمَ) عَبْسَـةٌ تَغَشَّــتْ بِهَــا الــدُّنْيَا فَلَــيْسَ تُنِــيْرُ

وَعَــادَتْ حِــدَادَاً لِلثَّوَاكِــلِ دَاجِيَــاً وَمِنْهَــا عَلَــى أَقْمَــارِهِنَّ سُــتُوْرُ

---

(1) لم تنشر من قبل في كتاب.
~~~

وَفِيْ كُــــلِّ أَرْضٍ يَقْشَـــــعِرُّ تُرَابُهَـــــا عَلَـــى ظِلِّهَــا فَـــالكَوْنُ أَجْـــرَدُ بُـــوْرُ
فَيَــا سُــوْرَةً لَــوْ أَنَّ (غَلْيُــوْمَ) زَارَهَــا وَلَكِـــنَّ شَـــيْطَانَ الْمُلُـــوْكِ جَسُـــوْرُ
أَزَاحَــتْ عَمُــوْدَ الأَرْضِ عَــنْ مُسْـتَقَرِّهِ فَكَــادَتْ إِلَى مَهْـــوَى الفَنَـــاءِ تَصِـــيْرُ
بِضَــرْبٍ كَهَــدِّ الطَّــوْدِ مِـــنْ قَذَفَاتِـــهِ نَكِـــيْرٍ فَلَـــمْ يَعْظُـــمْ عَلَيْـــهِ نَكِـــيْرُ
يَفْلِـــقُ هَامَـــاتِ الجِبَـــالِ فَصَــــخْرُهَا فَتِيْــــتٌ عَلَـــى وَجْـــهِ الـــتُّرَابِ نَثِـــيْرُ
فَكَيْـــفَ بِهَامَـــاتِ الْمَغَـــاوِيْرِ عِنْـــدَهُ أَهُــــنَّ حَدِيْـــدٌ أَمْ فَهُـــنَّ صُـــخُوْرُ
وَنَارٍ يُحَـــمُّ الـــدَّهْرُ مِـــنْ لَفَحَاتِهَـــا فَلِلـــــدَّهْرِ مِنْهَـــا رَعْـــدَةٌ وَحُـــرُوْرُ
بِهَــا اخْــتَرَعَ الخَلْــقُ الضِّـعَافُ جَهَنَّمَــاً لِأَنْفُسِــــهِمْ بِـــئْسَ الغُـــرُوْرُ غُـــرُوْرُ
لَقَــدْ صَــهَرَ الإِنْسَــانُ مِــنْ كُــلِّ مَعْـدَنٍ وَبَاءَ بِسِـــــرِّ النَّـــــارِ وَهُـــــوَ خَبِـــيْرُ
وَنَاظَـرَ مِـنْ صُـنْعِ الطَّبِيْعَـةِ مَـا ابْتَغَـى وَأَبْـــدَعَ صُـــنْعَاً لَـــيْسَ مِنْـــهُ نَظِـــيْرُ
فَلَـــمْ يَـــرَ إِلَّا مَعْـــدِنَ الـــرُّوْحِ مَعْـــدِنَاً لِصُـــنْعِ حِلَـــى الأَمْـــلَاكِ حِـــيْنَ تَجُـــوْرُ

~~~

فَوَيْلَتُهَـــــا حَـــــرْبَاً ضِـــــرَارَاً زَرِيَّـــــةً بِهَـــا كُـــلُّ دِيْـــنٍ لِـــلْأَنَامِ كَفُـــوْرُ
تَـرَى الْمَوْتَ غَـيْرَ الْمَوْتِ فِيْهَـا وَكَيْـفَ لَا وَأَوَّلُ مَقْتُــــــوْلٍ هُنَــــــاكَ ضَــــــمِيْرُ
قَلِيْـلٌ لَعَمْـرِيْ مَـا جَـنَى النَّـاسُ بَيْـنَهُمْ وَلَكِنَّمَــــا قَتْــــلُ الضَّـــــمِيْرِ كَثِــــيْرُ
وَزَادَتْ بُحُـــوْرُ الأَرْضِ بَحْـــرَاً مُلَـــوَّنَاً مِـــنَ الـــدَّمِ جَمْـــرٌ قَاعُـــهُ وَسَـــعِيْرُ
تَـــــدَفَّعَ فِيْ تَيَّـــــارِهِ وَعُبَابِـــــهِ يَمُـــــدُّ عَلَـــــى أَمْطَارِهَـــــا وَيَمُـــــوْرُ
وَكَـــمْ صَـــبَّ فِيْـــهِ لِلْمَـــدَامِعِ جَـــدْوَلٌ وَكَـــمْ هَـــبَّ فِيْـــهِ لِلْقُلُـــوْبِ زَفِـــيْرُ
~~~

وَتَجْــرِيْ بِــهِ سُــفُنٌ مِــنَ الهَــامِ عُــوَّمٌ   مَرَافِئُهَــــا فِيْ السَّــــاحِلَيْنِ قُبُـــوْرُ
تَمُــــدُّ عَلَيْهَــــا كَالْمَجَــــاذِيْفِ أَذْرُعٌ   وَكُــــلُّ سَــــوَارِيْهَا هُنَــــاكَ نُحُــــوْرُ

~~~

أَ(غَلْيُــوْمُ) أَذْلَلْــتَ الْمَعَــالِيْ فَلَــمْ تَــزَلْ   عَلَــى بَابِــكَ العَــالِيْ لَهُــنَّ عُثُــوْرُ
إِذَا جَنَحُــوا لِلسِّــلْمِ زَلْزَلْتَهَــا لَهُــمْ   زَئِــيْراً بِــهِ حَلْــقُ اللُّيُــوْثِ جَــدِيْرُ
عَلَــى خُطَــبٍ يَنْــدَى لِــرَوْضِ بَيَانِهَــا   ضَــبَابٌ مِــنَ البَــارُوْدِ فَهُــوَ مَطِــيْرُ
قَــوَارِعُ سُــوْءٍ يُشْــعِرُ الْمَــوْتَ لَــذْعُهَا   وَلَــيْسَ لِمَــنْ يَرْمِــيْ بِهِــنَّ شُــعُوْرُ
كَأَنَّــكَ لِلْمَــرِّيْخِ فِيْ الأَرْضِ مَرْصَــدٌ   بِــهِ كُــلَّ حِــيْنٍ لِلْحُــرُوْبِ نَــذِيْرُ
وَقَــدْ يُبْــدِعُ اللهُ الْمُلُــوْكَ بِقُــوَّةٍ   لِتَهْلِــكَ مِمَّــا يُبْــدِعُوْنَ عُصُــوْرُ

~~~

أَلَــيْسَ عَجِيْبَــاً أَنْ نَــرَى الحُسْــنَ زِيْنَــةً   وَمَــا كَــانَ لَــوْلَا الحُسْــنِ قَــطُّ فُجُــوْرُ
تُصَرْصِــرُ كَالبَــازِيْ وَمِــنْ سَاسَــةِ الــوَرَى   لَــــدَيْكَ عَصَــــافِيْرٌ لَهُــــنَّ صَــــفِيْرُ
حَوَالَيْهِمُــــو ظِــــلُّ السَّــــلَامِ وَبَــــرْدُهُ   وَحَوْلَــــكَ لَفْــــحٌ مُحْــــرِقٌ وَهَجِــــيْرُ
وَغَــرَّكَ مِــنْ لَهْــوِ الشُّــعُوْبِ تَغَافُــلٌ   رَخِــــيٌّ عَلَــــى لَــــذَّاتِهِنَّ طَرِيْــــرُ
رَيَاحِــــيْنُ فِيْ جِــــدِّ الحَيَــــاةِ وَهَزْلِهَــــا   لَهُــمْ رَوْضَــةٌ مِــنْ عَيْشِــهِمْ وَغَــدِيْرُ
أَنَافَــتْ عَلَــيْهِمْ مِنْــكَ دَوْحَــةُ نِقْمَــةٍ   بِهَــا لِلْمَنَــايَا الحَائِمَــاتِ وُكُــوْرُ
وَأَثْمَارُهَــا هَــامٌ وَأَغْصَــانُهَا الظِّــبَى   وَمِــنْ زَهْرِهَــا ذَاكَ الرَّصَــاصُ نَثِــيْرُ
وَكُــلُّ الَّــذِيْ فِيْ أَرْضِــهِمْ مِــنْ مَــدَافِعٍ   لِجِــــذْعِكَ يَا رُوْحَ القِتَــــالِ جُــــذُوْرُ

~~~

فَلَمَّا اسْتَطَارَ الشَّرُّ طَارَ جُنُوْنُهُمْ وَعَقَّتْ عَلَى تِلْكَ الأُمُوْرِ أُمُوْرُ

وَكَمْ مِنْ شُعُوْبٍ كُلَّمَا مَسَّهَا الصَّدَا جَلَاهُنَّ مِنْ نَارِ الحَوَادِثِ كَيْرُ

وَأَضْرَمْتَهَا فِيْ الأَرْضِ حَتَّى تَلَاطَمَتْ عَلَيْكَ بِهَاتِيْكَ الجُيُوْشِ بُحُوْرُ

وَرَى الغَيْظُ مِنْهَا كُلَّ صَدْرٍ فَأَقْبَلَتْ وَلَيْسَ بِهَا قَلْبٌ عَلَيْكَ صَبُوْرُ

فَجَعْتَهُمُو فِيْ العِزِّ وَالخِدْرِ وَالهَوَى وَجَيْشُكَ فِيْ هَذِيْ الفِعَالِ شَهِيْرُ

هُوَ الجَيْشُ لَوْلَا أَنَّ فِيْهِ شَجَاعَةً تَسَاوَتْ حُصُوْنٌ عِنْدَهَا وَخُدُوْرُ

يَزِفُّ زَفِيْفَ الجِنِّ فِيْ فَلَوَاتِهَا لَهُنَّ هَرِيْرٌ مُنْكَرٌ وَهَدِيْرُ

وَيَقْتُلُ حَتَّى العَهْدَ مِنْهُ مُجَنْدَلٌ وَيَأْسُرُ حَتَّى الحَقَّ فِيْهِ أَسِيْرُ

وَأَحْمَيْتَهُمْ بِالظُّلْمِ حَتَّى تَوَقَّدُوا وَمَا مِنْهُمُو إِلَّا أَشَمُّ فَخُوْرُ

إِذَا اسْتَنْجَدَ القَلْبَ الحَمِيَّ ابْنُ هِمَّةٍ لِمَا هَمَّ لَمْ يَعْسُرْ عَلَيْهِ عَسِيْرُ

فَجَاؤُوا يُرَجُّوْنَ البِلَادَ كَأَنَّهُمْ زَلَازِلُ وَالْمُدْنُ الحَصِيْنَةُ دُوْرُ

بِكُلِّ كَمِيٍّ عِنْدَهُ الْمَوْتُ مَيِّتٌ وَفِيْ هَمِّهِ أَمْرُ الحَيَاةِ حَقِيْرُ

جُنُوْدٌ يَرَوْنَ الحَقَّ بَعْضَ سِلَاحِهِمْ فَمِنْ حَرْبِهِمْ نَارٌ عَلَيْكَ وَنُوْرُ

مَدَافِعُهُمْ فِيْهَا سَعِيْرُ صُدُوْرِهِمْ فَكُلٌّ حَدِيْدٌ مُضْرَمٌ وَصُدُوْرُ

وَأَسْيَافُهُمْ غَضْبَى يَطِيْرُ فِرِنْدُهَا كَأَلْحَاظِهِمْ فِيْ البَأْسِ حِيْنَ تَدُوْرُ

وَمِنْهُمْ عَلَى ظَهْرِ التُّرَابِ ضَرَاغِمٌ وَمِنْهُمْ عَلَى مَتْنِ السَّحَابِ نُسُوْرُ

جَرَى الحِقْدُ فِيْ مَجْرَى الدِّمَا مِنْ عُرُوْقِهِمْ وَثَارَتْ بِهِمْ غُلْفَ القُلُوْبِ ثُؤُوْرُ
~~~

فَـإِنْ جَرَحَـتْ مِـنْهُمْ سُـيُوْفُ عِـدَاتِهِمْ فَبِالشُّـــعَلِ الحُمْـــرِ الجَـــرِاحُ تَفُـــوْرُ

~~~

وَبَـــدْأَةُ شَـــرٍّ لَمْ تَكُـــنْ فَابْتَـــدَأْتَهَا كَأَنَّـــــكَ فِيْهَـــــا أَوَّلٌ وَأَخِـــــيْرُ

وَأَصْـــغَرْتَهَا وَالشَّـــرُّ فِيْ بَطْـــنِ أُمِّـــهِ وَلَمَّـــا تَلِـــدُهُ لَـــوْ عَلِمْـــتَ كَبِـــيْرُ

وَلَمْ تَخْـشَ مَـا يَخْشَـى اللَّبِيْـبُ فَرَاسَـةً وَلَمْ تَتَبَصَّـــــرْ وَاللَّبِيْـــــبُ بَصِـــــيْرُ

مَطَـامِعُ خِلْـتَ الـدَّهْرَ فِـيْهِنَّ خَادِمَـاً كَأَنَّـــكَ مَـــوْلَىً وَالزَّمَـــانُ أَجِـــيْرُ

زَعَمْـــتَ لَهَـــا فِيْ غَيْـــبِ رَبِّـــكَ أَعْيُنَـــاً فَلَمَّـــا اجْتَلَيْنَاهَـــا إِذَا هِـــيَ عُـــوْرُ

وَتَحْسَـــبُ سَـــيْفَ اللهِ سَـــيْفَكَ ضَـــلَّةً وَللهِ سَـــــيْفٌ لَـــيْسَ مِنْـــهُ مُجِـــيْرُ

وَقُلْـتَ رَسُـوْلٌ لِلزَّمَـانِ وَمَـنْ تَـرَى مِـــنَ الأَنْبِيَـــا ذُوْ لِبْـــدَتَيْنِ هَصُـــوْرُ

رَسُـــوْلٌ وَلَكِـــنْ بِالعَـــذَابِ لِـــدَهْرِهِ وَعِزْرِيْـــلُ مِنْـــهُ صَـــاحِبٌ وَسَـــفِيْرُ

وَوَحْيُـــكَ تَتْلُـــوْهُ الْمَـــدَافِعُ إِذْ لَهَـــا أَصَـــابِعُ مِـــنْ تِلْـــكَ السُّـــيُوْفِ تُشِـــيْرُ

وَمَزَّقْـــتَ لِلْإِسْـــلَامِ وَالشَّـــرْقِ دَوْلَـــةً تَمَلَّـــى بِهَـــا مَلِـــكٌ وَسَـــرَّ سَـــرِيْرُ

لَقَـــدْ كَـــانَ عَـــوْنُ اللهِ فِيْهَـــا وَنَصْـــرُهُ فَفَارَقَهَـــا مُـــذْ قِيْـــلَ أَنْـــتَ نَصِـــيْرُ

تَمَكَّنْـــتَ مِـــنْ عِزْنِيْنِهَـــا فَاسْـــتَقَدْتَهَا بِجَبْلَـــيْ بَـــلَاءٍ (قَائِـــدٌ وَوَزِيْـــرُ)

وَأَطْفَـأْتَ مَاضِـيْهَا (بِطَلْعَـةِ أَنْـوَرِ) أَفَيَـا أَنْـوَرُ لَمْ يَبْـقَ فِيْ اسْمِـكَ نُـوْرُ

~~~

وَحِـيْنَ سَمَـا لِلْحَـقِّ جَـيْشٌ مُرَفْـرِفٌ وَجَيْشُـــكَ ذَيَّالُ الجَنَـــاحِ كَسِـــيْرُ

فَـــرَرْتَ فَـــرَارَاً كُـــلُّ ذَنْبِـــكَ عِنْـــدَهُ وَإِنْ كَـــانَ مِـــلْءَ الْمَغْـــرِبَيْنِ صَـــغِيْرُ

عَسَاكَ طِوَالَ الحَرْبِ قَدْ كُنْتَ نَائِمَاً　　وَلَمْ تَرَ لَيْلاً فِيْ الصَّبَاحِ يَغُوْرُ

وَأَوْفَيْتَهَا خَمْسِيْنَ شَهْرَاً وَنَيِّفَاً　　وَأَنْتَ عَلَى عَرْشِ الوِسَادِ أَمِيْرُ

وَلَمْ تُخْرِبِ الدُّنْيَا وَلَكِنْ رَأَيْتَهَا　　كَذَلِكَ فِيْ حُلْمٍ وَأَنْتَ قَرِيْرُ

فَلَمَّا مَسَحْتَ النَّوْمَ قُمْتَ مُهَنِّئَاً　　يُلَاقِيْكَ مِنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ بَشِيْرُ

~~~

فَيَا عَبْرَةً لَمْ تَشْهَدِ الأَرْضُ مِثْلَهَا　　وَلِلْأَرْضِ أَجْيَالٌ خَلَتْ وَدُهُوْرُ

بِغَلْيُوْمَ، بِالأَلْمَانِ، بِالعِلْمِ، بِالغِنَى　　أُضِيْفَتْ لِتَارِيْخِ الخَرَابِ سُطُوْرُ
~~~

قصيدة: ويلسون

[مجلة المقتطف، 1 جمادى الأولى 1337 – 1 شباط 1919][1]

[على الكامل]

هَـــدَمَ الأَنَامُ وَجِئْـــتَ أَنْـــتَ تَشِـــيْدُ فَـــانْهَضْ إِلَى مِحْـــرَابِ دَهْـــرِكَ يَقْتَـــدُوا
النَّـــاسُ مَـــا طَلَبُـــوا الضَّـــلَالَ وَإِنَّمَـــا ضَـــــلُّوا لِأَنَّ هُـــــــدَاتَهُمْ لَمْ يَهْتَـــــــدُوا
(وِيلْسُـــوْنُ) قُـــمْ فِـــيْهِمْ مَقَامَـــكَ إِنَّهُـــمْ لَـــوْ سَـــادَ فِـــيْهِمْ مُصْـــلِحٌ لَمْ يَفْسُـــدُوا
بَلَغُـــــوا بِـــــدَهْرِهِمُو نِهَايَـــــةَ فَجْعَـــــةٍ مَشْـــــؤُوْمَةٌ فَابْـــــدَأْ طَرِيْقَـــاً يَبْتَـــدُوا
مِـــنْ شَـــرِّ مَـــا عَـــابَ السِّيَاسَـــةَ أَنَّهَـــا وُجِـــدَتْ وَمَـــنْ يَرْضَـــوْنَهَا لَمْ يُوْجَـــدُوا
إِنْ لَمْ تَكُـــنْ قَيْـــدَاً تَجِـــدْهَا مِقْـــوَدَاً كُـــلُّ الـــوَرَى قُيِّـــدُوا بِهَـــا أَوْ قَيَّـــدُوا
حُرِّيَّـــــةٌ فِيْ مَـــــا يُقَـــــالُ وَإِنَّمَـــــا فِيْمَـــــا نَـــــرَى حُرِّيَّـــــةٌ تُسْـــــتَعْبَدُ
نَارِيَّـــــةٌ أَوْ مَـــــا رَأَيْـــــتَ رِجَالَهَـــــا أَعْمَـــــالَهُمْ أَنْ يُوْقِـــــدُوا أَوْ يُخْمِـــــدُوا
فَـــإِذَا أَرَدْتَ بِهَـــا مَظِنَّـــةَ رَحْمَـــةٍ فَكُـــنِ الحَدِيْـــدَ الصُّـــلْبَ فَهِـــيَ الجَلْمَـــدُ
ظَـــنَّ السُّـــيُوْفَ إِذَا اشْـــتَبَكْنَ أَضَـــالِعَاً أَتَـــرَى لَهَـــا قَلْبَـــاً يَـــرِقُّ وَيُسْـــعِدُ
وَالـــدَّمْعُ لَمْ يُنْبِـــتْ نَبَـــاتَاً فِيْ الثَّـــرَى فَـــإِذَا سَـــقَى زَرْعَـــاً فَمَـــاذَا تَحْصُـــدُ
(وِيلْسُـــوْنُ) قَـــدْ بَيَّنْتَهَـــا وَجَلَوْتَهَـــا لِلنَّـــاسِ مَـــنْ يَسْـــهُوْ وَمَـــنْ يَتَعَمَّـــدُ

---

(1) لم تنشر من قبل في كتاب.

وَصَدَمْتَ بَاطِلَ ذِيْ السِّيَاسَةِ صَدْمَةً ... قَدْ لَانَ فِيْهَا كُلُّ مَنْ يَتَشَدَّدُ

وَلَقَدْ عَلَمْتَ وَلَا مُحَالَةَ أَنَّهَا ... ضَرَمٌ عَلَى أَكْبَادِهِمْ لَا يَبْرُدُ

هَذَا يُصَاوِلُ ذَا وَذَاكَ مُرَاوِغٌ ... وَجَمِيْعُهُمْ مُتَثَعْلِبٌ مُسْتَأْسِدُ

مَا كَانَ (غَلْيُوْمُ) لِيَأْتِيَ مَا أَتَى ... لَوْ لَمْ يَكُنْ (غَلْيُوْمُ) آخَرُ أَنْكَدُ[1]

كَيْفَ السَّلَامُ وَكُلُّهُمْ مُسْتَوْفِزٌ ... طَمَعَاً وَكُلٌّ مِنْ سِوَاهُ مُكْمَدُ

ظُفُرٌ عَلَى ظُفُرٍ وَنَابٌ يَنْتَحِيْ ... نَابَاً فَأَيْنَ تَرَى التَّوَحُّشَ يَبْعُدُ

الحَقُّ مَا بَيَّنْتَ غَيْرَ مُلَجْلَجٍ ... مَنْ يُمْضِ فِيْ حَقٍّ فَلَا يَتَرَدَّدُ

أَفْصَحْتَ إِفْصَاحَ الْمُهَنَّدِ يُنْتَضَى ... وَلَأَنْتَ فِيْ كَفِّ الزَّمَانِ مُهَنَّدُ

وَأَتَيْتَهُمْ بِسِيَاسَةٍ مَكْشُوْفَةٍ ... وَبَلَاغَةُ السُّوَّاسِ أَنْ يَتَعَقَّدُوا

هِيَ عَادَةٌ فَلْيَبْتَغُوا بَدَلَاً بِهَا ... إِنَّ الخَلَائِقَ فِيْ الأَنَامِ تَعَوَّدُ

حَارَبْتَ حَرْبَ الأَنْبِيَاءِ لِغَايَةٍ ... مَا نَالَهَا إِلَّا النَّبِيُّ مُحَمَّدُ

اللهُ فِيْهَا ضَامِنٌ تَأْيِيْدَهُ ... وَلِذَاكَ فَازُوا مُذْ نَزَلْتَ وَأَيَّدُوا

لَا لِلْبِلَادِ نَزَلْتَ كَيْ تَبْتَزَّهَا ... أَبْنَاءَهَا وَتَقُوْلُ قُوْمُوا وَاقْعُدُوا

أَوْ لِلْمَطَامِعِ فِيْ الضِّعَافِ تَنَالُهَا ... فَتُذِلُّهُمْ وَتَقُوْلُ عِيْشُوا وَارْغُدُوا

بَلْ لِلْعَدَالَةِ فِيْ الطُّغَاةِ تُقِيْمُهَا ... مِنْ بَعْدِ مَا سَخِرُوا بِهَا وَتَمَرَّدُوا

جَعَلُوا العَدَالَةَ لِلضِّعَافِ مَذَلَّةً ... مَا بِالضَّعِيْفِ فَضِيْلَةٌ تَتَمَجَّدُ

دَعْوَى هُنَالِكَ لَا تُرَدُّ إِذَا ادَّعَى ... بَطَلٌ وَجَاءَ السَّيْفُ فِيْهَا يَشْهَدُ

---

(1) إِمْبَرَاطُوْرُ النَّمْسَا وَكُلُّ إِمْبَرَاطُوْرٍ فِيْ جَمْعِيَّةِ الاتِّحَادِ وَالتَّرَقِّيْ.

مَـــا نَالَهَـــا شَـــعْبٌ ضَـــعِيْفٌ يَـــدَّعِيْ مَـــا دَامَ فِيْهَـــا مُسْـــتَبِدٌّ يَجْحَـــدُ

أَنْزَلْـــتَ قَوْمَـــكَ لِلْجِـــلَادِ فَـــدَافَعُوا فِيْ ذِمَّـــةِ الحَـــقِّ الْمُبَـــاحِ وَأَنْجَـــدُوا

كَـــانُوا مَلَائِكَـــةَ السَّـــلَامِ بِحَـــرْبِهِمْ ذُعِـــرَتْ شَـــيَاطِيْنُ العِـــدَى فَتَبَـــدَّدُوا

لَمْ يَضْـــرِبُوا بِسُـــيُوْفِهِمْ كَـــيْ يَكْسِـــرُوا هَامَـــاً وَلَكِـــنْ قَيْـــدَ مَـــنْ يَتَقَيَّـــدُ

حَطَّمُـــوا بِهَـــا اسْـــتَبْدَادَ جَبَّـــارِ الـــوَرَى وَالأَرْضُ لِاسْـــــــتِبْدَادِهِ تَتَجَلَّـــــــدُ

وَاسْـــــــتَهْدَفُوا يَفْـــــــدُوْنَهَا حُرِّيَّـــــــةً بِنُفُوْسِـــــهِمْ وَكَـــذَا يَسُـــوْدُ السَّـــيِّدُ

مَـــوْتَ الْمُجَاهِـــدِ فِيْ سَـــبِيْلِ فَضِـــيْلَةٍ هُـــوَ لِلْفَضِـــيْلَةِ فِيْ سِـــوَاهُ مَوْلِـــدُ

أَبْنَـــاءُ أَمْرِيْكَـــا وَكَـــمْ مِـــنْ مُعْجِـــزٍ فِيْ الأَرْضِ أَمْرِيْكَـــا بِـــهِ تَتَفَـــرَّدُ

صَـــنَعُوا لِأَهْـــلِ الأَرْضِ كُـــلَّ بَدِيْعَـــةٍ مَشْـــــهُوْرَةٍ فِيْ الاخْـــــتِرَاعِ وَجَـــــوَّدُوا

وَاليَـــوْمَ قَـــامُوا يَصْـــنَعُوْنَ لِـــدَهْرِهِمْ مُسْـــــتَقْبَلَاً يَزْهُـــوْ بِرَوْنَقِـــهِ الغَـــدُ

مَـــا بَعْـــدَ أَمْرِيْكَـــا وَأَقْيَانُوْسِـــــهَا فِيْ الـــبَرِّ أَوْ فِيْ البَحْـــرِ هَـــوْلٌ يَشْـــهَدُ

~~~

(وِيلْسُـــوْنُ) إِنَّ الْمَـــالَ أَصْـــلُ شُـــرُوْرِنَا وَالأَصْـــــلُ مِنْـــــهُ فُرُوْعُـــــهُ تَتَمَـــدَّدُ

فَـــإِذَا أَرَدْتَ الخَـــيْرَ لِلـــدُّنْيَا وَمَـــا لِلْخَـــيْرِ إِلَّا مَـــا قَصَـــدْتَ وَتَقْصُـــدُ

فَضَـــعِ الغَـــنِيَّ بِمَوْضِـــعٍ لَا يَشْـــتَفِيْ وَضْـــعِ الفَقِـــيْرَ بِمَوْضِـــعٍ لَا يَحْقِـــدُ

عَلِّمْهُمُـــــو أَنَّ السِّيَاسَـــــةَ رَحْمَـــــةٌ وَأُبُـــــــوَّةٌ لَا نَقْمَـــــــةٌ وَتَعبُّـــــــدُ

وَاذْكُـــرْ لِأَهْـــلِ الغَـــرْبِ أَنَّ النَّـــاسَ فِيْ ذِيْ الأَرْضِ نَاسٌ لَا أَقَـــــلُّ وَأَزْيَـــــدُ

وَاللهُ مَـــا أَعْطَـــى الـــوَرَى أَلْـــوَانَهُمْ لِيُلَوِّنُـــــوا فِيْ رَسْمِـــــهِ وَيُحَـــــدِّدُوا
~~~

البِـــيْضُ مَــــا غُسِــــلُوا بِجَنَّــــةِ رَبِّهِـــمْ ... فَعَـــلَامَ خَصُّـــوا جِنْسَـــهُمْ وَتَسَـــوَّدُوا

بَعْــضُ العُقُــوْلِ عَلَــى العُقُــوْلِ بَلِيَّــةٌ ... وَلِضُــــرِّ شَــــيْءٍ نَفْــــعُ شَــــيْءٍ يُفْقَــــدُ

قصيدة: التبرج

[جريدة الحال، العدد 196، 19 جمادى الأولى 1337 - 20 شباط 1919][1]

قال الرافعي[2]: قَصِيْدَةُ التَّبَرُّجِ لَيْسَ عِنْدِيْ مِنْهَا إِلَّا نُسْخَتِيْ فَقَطْ، وَهَذِهِ القَصِيْدَةُ طُبِعَ مِنْهَا عَشْرَةُ آلَافِ نُسْخَةٍ، وَكَانَ لَهَا دَوِيٌّ وَرَوَاجٌ عَجِيْبٌ، وَدُرِّسَتْ فِيْ مَدَارِسَ كَثِيْرَةٍ.

قال محمود أبو ريه في رسائله: هِيَ قَصِيْدَةٌ عَصْمَاءُ نَظَمَهَا عَلَى رَوْيٍ لَطِيْفٍ يُوَافِقُ مِزَاجَ النِّسَاءِ، وَمَطْلَعُهَا:

دَلَالُــكِ فِيْ التَّــبَرُّجِ مِــنْ ضَــلَالِكْ وَمَــا عَــابَ الــدَّلَالَ سِــوَى دَلَالِــكْ

ثم نشرها محمود أبو ريه في مجلة الرسالة، فقال[3]: عَثَرْنَا عَلَى قَصِيْدَةٍ عَصْمَاءَ مِنْ شَعْرِ نَابِغَةِ الأَدَبِ مُصْطَفَى صَادِقٍ الرَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللهُ وَصَفَ فِيْهَا تَبَرُّجَ النِّسَاءِ وَصْفَاً بَلِيْغَاً لَاذِعَاً، وَقَدْ أَخْرَجَهَا عَلَى هَذَا الرَّوْيِّ اللَّيِّنِ النَّاعِمِ الظَّرِيْفِ حَتَّى يَكُوْنَ خِطَابُهُ لِلْجِنْسِ اللَّطِيْفِ فِيْ أُسْلُوْبٍ رَقِيْقٍ يُوَافِقُ مِزَاجَهُنَّ وَرِقَّتَهُنَّ، وَهِيَ مِنَ القَصَائِدِ الَّتِيْ لَمْ تُنْشَرْ فِيْ دِيْوَانِهِ. **[على الوافر]**

دَلَالُــكِ فِيْ التَّــبَرُّجِ مِــنْ ضَــلَالِكْ وَمَــا عَــابَ الــدَّلَالَ سِــوَى دَلَالِــكْ

---

(1) لم تنشر من قبل في كتاب.

(2) من رسائل الرافعي (ص 104).

(3) مجلة الرسالة (العدد 881)، بتاريخ: [5 شعبان 1369 - 22 أيار 1950].

كَمُلْـــتِ تَبَرُّجَـــاً فَكَمُلْـــتِ حُسْـــنَاً   وَلَكِـــنْ جَـــاءَ نَقْصُـــكِ مِـــنْ كَمَالِـــكْ
لِمَـــــنْ تَتَبَرَّجِـــــيْنَ وَذِيْ سَـــــبِيْلٌ   وَمَـــا هِـــيَ أُفْـــقُ شَمْسِـــكِ أَوْ هِلَالِـــكْ
أَمَـــا تَخْشَـــيْنَ أَنَّـــكِ فِيْ طَرِيْـــقٍ   يَـــرُفُّ بِهَـــا الحَـــرَامُ عَلَـــى حَلَالِـــكْ
وَأَنَّ ذِئَابَ هَـــذَا الحُسْـــنِ تَمْشِـــيْ   مُسَـــعَّرَةُ اللِّحَـــاظِ عَلَـــى غَزَالِـــكْ
وَأَنَّ النَّـــاسَ قَـــدْ شَـــهِدُوا نِسَـــاءً   سَـــوَاقِطَ كُلُّهُـــنَّ عَلَـــى مِثَالِـــكْ
عَرَضْـــتِ لِكَـــيْ نَـــرَى فَلَقَـــدْ رَأَيْنَـــا   هُنَـــاكَ الحُسْـــنَ إِلَّا فِيْ فِعَالِـــكْ
أَهَـــذِيْ مِشْـــيَةُ الخَفِـــرَاتِ أَمْ قَـــدْ   غَـــدَا الشَّـــرَفُ الْمُفَـــدَّى فِيْ فِعَالِـــكْ
كَأَنَّـــكِ لَسْـــتِ بِنْـــتَ أَبٍ وَإِلَّا   فَمَـــا لِأَبِيْـــكِ لَمْ يَخْطُـــرْ بِبَالِـــكْ
أَأُخْـــتٌ أَنْـــتِ أَمْ زَوْجٌ وَأُمٌّ   فَمَـــا مِـــنْهُنَّ وَاحِـــدَةٌ كَـــذَلِكْ
وَحَالُـــكِ لِلْأُبُـــوَّةِ كُـــلُّ عَـــارٍ   وَعَـــارٌ لِلْبُنُـــوَّةِ كُـــلُّ حَالِـــكْ
(بَـــرَزْتِ) لِقَتْـــلِ ذَلِـــكَ أَمْ لِهَـــذَا   فَمَـــا هَـــذَا وَذَلِـــكَ (مِـــنْ رِجَالِـــكْ)
وَمَـــاذَا فِيْ اخْتِيَالِـــكِ مِـــنْ مَعَـــانٍ   يُصَـــوِّرُهَا شَـــبَابُكِ فِيْ اخْتِيَالِـــكْ
أَيَثْبُـــتُ ذَا الحَيَـــاءُ عَلَـــى أَسَـــاسٍ   وَقَـــدْ مَلَكَتْـــهُ زَلْزَلَـــةُ اخْتِبَالِـــكْ
قَبِـــيْحٌ أَنْ تَسِـــيْرِيْ فِيْ اعْوِجَـــاجٍ   عَلَـــى أَنَّ العَدَالَـــةَ كَاعْتِـــدَالِكْ
نِقَـــابٌ ذَلِـــكَ أَمْ لَـــوْنٌ رَقِيْـــقٌ   نَـــرَاهُ بَـــيْنَ أَلْـــوَانِ احْتِيَالِـــكْ
كَأَنَّـــكِ إِذْ صَـــبَغْتَ الوَجْـــهَ رَوْضَـــاً   جَعَلْـــتِ لَنَـــا نِقَابَـــكِ مِـــنْ ظِلَالِـــكْ
وَمَـــا هَـــذَا (الـــدِّهَانُ) لِنَاظِرَيْـــهِ   سِـــوَى رُوْحِ التَّلَـــوُّنِ فِيْ خِلَالِـــكْ
أَلَا إِنَّ الغُبَـــارَ أَذَىً فَمَـــنْ ذَا   يَظُـــنُّ (غُبَـــارَ وَجْهِـــكِ) مِـــنْ جَمَالِـــكْ

عَلَيْــــكِ حِجَـــابُ دِيْنِــــكِ فَالْزَمِيْــــهِ فَإِنَّــــكِ فِيْ الحَيَـــاةِ حَيَـــاةَ آلِـــــكْ
وَقَـــــارُ أَبٍ وَعِـــــــرْضُ أَخٍ وَزَوْجٍ وَمِـــــرْآةُ السَّـــــجَايَا فِيْ (عِيَالِــــكْ)
وَأَنْـــــتِ إِذَا هَفَـــوْتِ فُكُــــلُّ مَجْــــدٍ لَهُـــــمْ طُــــرّاً يَــــؤُوْلُ إِلَى مَآلِـــــكْ
وَلَمْ يَحْجَبْـــــــــكِ دِيْـــــــــنُ اللهِ إِلَّا لِيَحْجَـــبَ كُــلَّ سُــوْءٍ عَــنْ جَلَالِــكْ
فَـــإِنَّ النَّـــاسَ نَاسٌ حَيْـــثُ كَـــانُوا وَأَعْيُـــــــنُهُمْ وَأَلْسُـــــنُهُمْ مَهَالِـــــكْ
وَمَـــا لَـــكِ تَسْـــأَلِيْنَ الحَـــقَّ مِنَّـــا وَخِلْقَتُـــكِ الجَـــوَابُ عَلَـــى سُـــؤَالِكْ
يُرِيْــــــدُ اللهُ مِنْــــــكِ الأُمَّ أُمَّـــــاً سَـــــوَاءً فِيْ رِضَـــاكِ وَفِيْ مِلَالِـــــكْ
وَخَصَّــــكِ فِيْ الطَّبِيْعَــــةِ بَالْمَـــــزَايَا تُعِـــيْنُ كُـــلَّ مَـــا هُـــوَ فِيْ احْتِمَالِـــكْ
فَـــــلَا تَتَعَلَّقِـــــيْ بِمُحَـــــالِ أَمْــــــرٍ سَـــــيُذْهِبُ مُمْكِنَاتِـــــكِ فِيْ مُحَالِــــكْ
سُـــهُوْلُ الخَصْـــبِ أَنْـــتِ لِـــذَا سُـــهُوْلٌ أَلَا فَـــــدَعِيْ التَّخَشُّـــــنَ فِيْ جِبَالِــــكْ
أَغَـــرَّكِ فِتْيَـــــةٌ هُـــــمْ عَـــارُ قَـــوْمٍ إِذَا قِيْسُـــــوا بِفِتْيَـــــانِ الْمَمَالِـــــكْ
حِبَـــــــالُهُمُو مُهَيَّــــــأَةٌ لِكَيْـــــــدٍ فَكَيْـــفَ إِذَا الْـــتَفَفْنَ عَلَـــى حِبَالِـــكْ
تَـــــرَاهُمْ هَهُنَـــــا وَهُنَـــــاكَ دَعْـــــوَى وَهُـــــمْ لَيْسُـــوا هُنَـــاكَ وَلَا هُنَالِـــكْ
وَكُــــــلُّ قَائِـــــلٍ فَـــــالقَوْلُ حَــــيٌّ وَكُــــلُّ عَـــاجِزٍ فَالفُعْــــلُ هَالِـــــكْ
وَظَنُّـــوا الـــدِّيْنَ قَـــدْ أَمْسَـــى (طَرِيْقَـــاً) فَكُـــلُّ (شَـــارِعٍ) فِيْ الـــدِّيْنِ (سَـــالِكْ)
وَفِقْـــــهُ (الشَّـــــافِعِيِّ) بِـــــلَا شَـــــفِيْعٍ وَلَا نُعْمَـــــى (لِنُعْمَــــــانَ) بِـــــذَلِكْ
أَهُـــمْ أَحْـــرَارُ هَـــذَا الـــدِّيْنِ فِيْنَـــا وَمَـــا بَلَغُـــوا عَبِيْـــدَاً عِنْـــدَ (مَالِـــكْ)
أَأَعْمَــــــى ثُمَّ يُفْــــــتِيْ فِيْ طَرِيْــــــقٍ بِفَتْـــوَى (عَـــنْ يَمِيْنَـــكَ عَـــنْ شِمَالِـــكْ)

بِرَبِّـــــكَ يَا مُهَنْــــدِسُ إِنْ حَمَــــدْنَا حِسَـــــابَكَ وَافْتِنَانِـــــكَ فِيْ مَجَالِـــــكْ

[وَقَبْــلُ الـــدِّيْنُ ضَـــاقَ بِسَـــالِكِيْهِ][1] فَـــلَا تَقُـــلْ افْتَحُـــوا فِيْـــهِ مَسَـــالِكْ

(1) هكذا استطعت قراءتها (أبو عبد الله).

قصيدة: التخنث

[جريدة الحال، العدد 221، ؟؟؟ – 10 حزيران 1919][1]

[على الوافر]

أَفِيْ الشُّبَّانِ قَدْ مُسِخَ الشَّبَابُ
أَمِ الدُّنْيَا اعْتَرَاهَا الانْقِلَابُ

غُصُوْنٌ فِيْ رِيَاضِ العِلْمِ تَنْمُوْ
وَتُثْمِرُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا يُعَابُ

فَلَا يَغْرُرْكَ شَكْلُ العُوْدِ وَانْظُرْ
فَإِنَّ لِنَارِهِ صُنِعَ الثِّقَابُ

أُمَمَاً عَلِمُوا أَنْ يَسْتَكِيْنُوا
لِدَهْرِهِمْ وَدَهْرُهُمْ غَلَّابُ

أُمَمَاً عَلِمُوا أَنْ يَسْتَمِيْتُوا
عَلَى كَسَلٍ وَدُنْيَانَا اكْتِسَابُ

أُمَمَاً عَلِمُوا أَنْ يَسْتَهِيْنُوا
بِمَا قَدْ أَخْطَؤُوا وَبِمَا أَصَابُوا

لَنَا دِيْنٌ يَقُوْمُ بِهِ كِتَابٌ
وَفِيْهِمْ كُلُّ ذِيْ رَأْيٍ كِتَابُ

وَقَدْ جَمَعُوا العُلُوْمَ وَقَدْ أُجِيْزُوا
وَقَدْ زَارُوا مَوَاطِنَهَا وَآبُوا

وَمِنْهُمْ مَنْ أَتَانَا مُسْتَضِيْئَاً
كَمَا يَهْوِيْ لِيَحْتَرِقَ الشِّهَابُ

(شَهَادَاتٌ) وَلَا عَمَلٌ يُزَكَّى
كَأَنَّ حُضُوْرَ حَاضِرِهِمْ غِيَابُ

وَإِنْ خَبِرَتْهُمُ الأَعْمَالُ يَوْمَاً
رَأَيْنَا السَّيْفَ تَكْسِرُهُ الرِّقَابُ

---

(1) لم تنشر من قبل في كتاب. وقد نشرها محمود أبو رية في: (مجلة الرسالة، العدد 884)، بتاريخ: [26 شعبان 1369 – 12 حزيران 1950].

أَرَى قُفْلاً عَلَى بَابٍ كَبِيْرٍ … وَلَكِنَّ خَلْفَهُ أَرْضٌ خَرَابُ

فَمَا عَلْمُ الحِسَابَ وَهُمْ قُعُوْدٌ … وَمَا لِلْوَقْتِ عِنْدَهُمْ (حِسَابُ)

وَمَا عِلْمُ اللُّغَاتِ وَهُمْ بَلَاءٌ … عَلَى اللُّغَةِ الكَرِيْمَةِ بَلْ مُصَابُ

وَمَا نَفْعُ اليَقِيْنِ بِمَا عَلِمْنَا … وَفِيْ الآدَابِ شَكٌّ وَارْتِيَابُ

وَأَفْضَلُ مِنْ عُلُوْمِ الْمَرْءِ خُلْقٌ … تُحَبُّ بِهِ الفَضِيْلَةُ أَوْ تُهَابُ

بِأَيِّ مَعْلَمٍ فِيْ الطَّيْرِ هَذَا … حَمَامٌ يَسْتَمِرُّ وَذَا غُرَابُ

بِنَفْسِكَ لَا بِعِلْمِكَ أَنْتَ مِنَّا … وَأَنْتَ لَنَا ثَوَابٌ أَوْ عِقَابُ

أَلَا إِنَّ الشَّرَابَ لَهُ إِنَاءٌ … فَإِنْ دَنَّسْتَهُ دَنُسَ الشَّرَابُ

وَأَلْيَنُ مَا يَكُوْنُ زَمَانُ قَوْمٍ … إِذَا احْتَمَلَتْهُ أَخْلَاقٌ صِلَابُ

لَكَانَ اللَّيْثُ أَسْهَلَ مَا رَكِبْنَا … إِذَا لَمْ يَحْمِهِ ظِفْرٌ وَنَابٌ

~~~

أَلَا يَا قَوْمُ لِلْفِتْيَانِ فِيْنَا … وَزِيْنَتُهُمْ وَمَا حَمِدُوا وَعَابُوا

رَأَيْتُ لِبَعْضِهِمْ أَمْرَاً عُجَابَاً … وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ أَمْرٌ عُجَابُ

يَسِيْلُ تَخَنُّثَاً وَيَذُوْبُ لُطْفَاً … فَهَلْ فِيْ أَرْضِنَا رَجُلٌ مُذَابُ

(وَلَانَ) كَأَنَّهُ فِيْنَا اعْتِذَارُ … تُقَدِّمُهُ حَوَادِثُنَا الصِّعَابُ

(وَهَذَّبَهُ) الزَّمَانُ لِمِصْرَ شِعْرَاً … رَقِيْقَاً مِنْهُ بَيْنَهُمَا عِتَابُ

عَلَى خَدَّيْهِ لِلْمِرْآةِ نُوْرٌ … فَهَلْ فِيْ الحُسْنِ بَيْنَهُمَا انْتِسَابُ

وَيَحْمِلُهَا الْمُخَنَّثُ أَيْنَ يَمْشِيْ … وَبَيْنَ الشَّكْلِ وَالشَّكْلِ اصْطِحَابُ
~~~

وَيَطْـرَحُ وَجْهَـهُ فِيْهَـا سُـؤَالاً ... لِيَأْتِيَـهُ (عَلَـى الوَجْـهِ) الجَـوَابُ

وَفِيْـهِ مِـنَ الـذُّكُوْرَةِ نَـوْعُ حُسْـنٍ ... يُـتِمُّ بِـهِ أُنُوْثَتَهَـا الكِعَـابُ

وَمَطْمَحُـهُ الَّـذِيْ يَرْنُـوْ إِلَيْـهِ ... مِـنَ (العَلْيَـاءِ) نَافِـذَةٌ وَبَابُ...

وَهِمَّتُـهُ الثِّيَـابُ فَلَـيْسَ يَمْشِـيْ ... إِذَا مَـا سَـارَ بَـلْ تَمْشِـيْ الثِّيَـابُ...

مُلَوَّنَـةٌ مُصَـبَّغَةٌ لِوَجْـهٍ ... لَـهُ فِيْ لَوْنِـهِ مِنْهَـا اقْـتِرَابُ

وَلَا عَجَـبٌ فَـذَا قَمَـرُ الْمَعَـالِيْ... ... (تَسْـفُلُ) وَالثِّيَـابُ لَـهُ سَـحَابُ

يُسَـائِلُنِيْ أَتَمَّ الـزِّيُّ حُسْـناً ... وَظُرْفَـاً قُلْـتُ بَـلْ نَقُـصَ النِّقَـابُ..

كَـأَنَّ بِـلَادِنَا قَفْـرٌ فَمِـنْهُمْ ... وَمِـنْ أَثْـوَابِهِمْ فِيْهَـا سَـرَابُ

كَـأَنَّ فَخَـارَ مِصْـرَ عَـادَ أُنْثَـى ... قَعِيْـدَةُ بَيْتِهَـا وَلَهَـا حِجَـابُ

فَأَسْـوَدُهُمْ.. وَأَحْمَـرُهُمْ جَمَـالٌ ... فَـذَا كِحْـلٌ لِمِصْـرَ وَذَا خِضَـابُ

~~~

وَمَـا يَمْشِـيْ الفَـتَى الْمَغْـرُوْرُ مِـنْهُمْ ... لِأَمْـرٍ فِيْ عَوَاقِبِـهِ ثَـوَابُ

تَـرَاهُمْ تَابِعِـيْنَ لِكُـلِّ أُنْثَـى ... وَبَـيْنَ الشَّـبَهِ وَالشَّـبَهِ انْجِـذَابُ...

إِذَا طَلَعَـتْ طُلُـوْعَ الصُّـبْحِ فِـيْهِمْ ... بَـدَا مِـنْ بَـرْدِ وُجُـوْهِهِمْ ضَـبَابُ

وَمَـدُّوا فِيْ (حَلَاوَتِهَـا) لِحَاظَـاً ... أَخَـفُّ طَبِيْعَـةً مِنْهَـا الـذُّبَابُ

وَفِيْ أَفْـوَاهِهِمْ لَفْـظٌ خَبِيْـثٌ ... وَهَـلْ أَفْعَـى وَلَـيْسَ لَهَـا لُعَـابُ

إِذَا كَـانَ الـتُّرَابُ قَـذَىً لِعَيْـنِيْ ... فَـبَعْضُ القَـوْلِ فِيْ أُذُنِيْ تُـرَابُ

~~~

أَذِيْ أَفْعَـــالُ مَـــنْ وَلَدَتْـــهُ أُمٌّ وَهَـــلْ أُخْطِـــيْ وَفِيْ بَيْـــتِيْ الصَّـــوَابُ

أَمَـــا فِيْ هَــــذِهِ الـــدُّنْيَا أُمُـــوْرٌ سِـــوَى الشَّـــهَوَاتِ تُحْرِزُهَــا الطُّــلَابُ

أَمَـــا فِيْ هَــــذِهِ الـــدُّنْيَا أُسُـــوْدٌ كَمَـــا فِيْ هَــــذِهِ الـــدُّنْيَا كِــلَابُ

أَمَـــا خَـــافُوا الطَّبِيْعَـــةَ فِيْ صَـــغَارٍ سَـــتُوْرِثُهَا الطَّبِيْعَـــةُ مَـــا اسْـــتَعَابُوا

وَكَـــمْ طِفْـــلٍ يُعَاقِـــبُ عَـــنْ ذَوِيْـــهِ وَلَمْ يَنْفَعْـــهُ أَنَّ ذَوِيْـــهِ تَابُـــوا

كَمَـــا خَبُثَـــتْ أُصُـــوْلٌ وَاسْـــتَطَابَتْ كَـــذَلِكَ فُـــرُوْعُهُمْ خَبُثُـــوا وَطَـــابُوا

وَأَيَّـــةُ ذِئْبَـــةٍ وَلَـــدَتْ خِرَافَـــاً وَمِـــنْ أَيِّ النِّعَـــاجِ أَتَـــتْ ذِئَابُ

رُوَيْـــدَاً يَا بَـــنِيْ مِصْـــرٍ رُوَيْـــدَاً وَكُوْنُـــوا خَـــيْرَ مَـــنْ شَـــبُّوا وَشَـــابُوا

مَـــتَى ذَهَـــبَ الشُّـــبَّانُ سُـــدَىً أَقَامَـــتْ مَعَائِبُـــهُ فَلَـــيْسَ لَهَـــا ذَهَـــابُ

طُفُـــوْلَتُكُمْ لِمِصْـــرِكُمْ دُيُـــوْنٌ وَعَهْـــدُ وَفَائِهَـــا هَـــذَا الشَّـــبَابُ

قصيدة: أبي[1]

[مجلة المقتطف، 6 ذي الحجة 1337 - 1 أيلول 1919][2]

[على الطويل]

مَضَى وَالْتَقَى نَجْمَيْنِ فِيْ أُفُقٍ جَدًّا ... وَخَلَّفَنِيْ مِنْ نُوْرِهِ أَنَا وَالْمَجْدَا

فَإِنْ أَبْكِهِ تَنْهَلُّ لِلشِّعْرِ مَطْرَةٌ ... عَلَى كُلِّ أَرْضٍ تَفْجُرُ البَرْقَ وَالرَّعْدَا

وَإِنْ أَرْثِ مِنْ أَوْصَافِهِ هَبَّتِ الصِّبَا ... مَعَ الشَّمْسِ تَرْمِيْ فِيْ أَشِعَّتِهَا وَرْدَا

ثَكَلْتُ يَرَاعِيْ إِنْ تَرَكْتُ عَلَى الشَّجَى ... ضَنَى كَبِدٍ لَمْ اسْتَجِدْ لَهُ وَجْدَا

وَمَا هُوَ شِعْرِيْ يَوْمَ يُنْتَثَرُ البُكَا ... إِذَا لَمْ أُسَاقِطْ مِنْ لَآلِئِهِ عِقْدَا

وَلَا هُوَ شِعْرِيْ يَا أَبِيْ إِنْ تَرَكْتُهُ ... وَلَمْ تَحْفَظِ الأَيَّامُ مَنْ لَكَ (الحَمْدَا)

بَكَيْتُكَ بَلْ نَفْسِيْ فَوَاللهِ إِنْ أَرَى ... بِيَوْمِكَ إِلَّا رُكْنَ نَفْسِيْ قَدِ انْهَدَّا

بِمَوْتِكَ قَدْ مَاتَتْ لِقَلْبِيْ مَوَاعِدٌ ... مِنَ الدَّهْرِ كَانَ الصَّبْرُ مِنْ بَيْنِهَا وَعْدَا

فَيَا مُوْثِقَ الدُّنْيَا بِآمَالِهِ اتَّئِدْ ... فَمَا غَيْرُ هَذِيْ النَّفْسِ تُحْكِمُهَا شَدَّا

وَيَا طَالِبَ الأَيَّامِ صَفْوَاً أَمَا تَرَى ... لِيَوْمِكَ مَا يَبْيَضُّ إِلَّا لِيَسْوَدَّا

---

(1) هُوَ فَضِيْلَةُ الأُسْتَاذِ العَلَّامَةِ الكَبِيْرِ الْمَرْحُوْمِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الرَّافِعِيّ، كَبِيْرُ القُضَاةِ الشَّرْعِيِّيْنَ فِيْ مُدِيْرِيْاتِ القُطْرِ الْمِصْرِيّ. وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ أَفْرَادِ الدُّنْيَا فِيْ الفِقْهِ الإِسْلَامِيّ عَلَى مَذْهَبِ أَبِيْ حَنِيْفَةَ، وَيَجْمَعُ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الأَخْلَاقِ وَالوَرَعِ وَالتَّقْوَى أَمْثَالَاً. وَتُوُفِّيَ فِيْ شَهْرِ يُوْنْيُوْ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

(2) لم تنشر من قبل في كتاب.

تُجَزِّئُنَـــــــــا الأَيَّامُ فِيْ حَرَكَاتِهَـــــــــا فَــإِنْ تَرَكَــتْ فَــرْدَاً فَقَــدْ أَخَــذَتْ فَــرْدَا
فَيَــا لَيْــتَ هَــذَا الْمَــوْتَ يَأْتِيْ بِمَــرَّةٍ وَلَكِــنْ لِأَمْــرٍ مَــا أَعَــادَ وَمَــا أَبْــدَى
وَأَوَّلُ مَــــوْتِ الحَــــيِّ مَــــوْتُ حَبِيْبِـــهِ وَكَالفَقْــدِ وِجْــدَانٌ طَــوَى تَحْتَــهُ فَقْــدَا
يَعِــيْشُ الفَــتَى بَعْــدَ الحَبِيْــبِ كَأَنَّــهُ بَقِــيَ خَطَــأً مِمَّــا يَــرَى نَكَــدَاً عَمْــدَا
وَمَــا يَعْــرِفُ الْمَفْجُــوْعُ طَالَــتْ حَيَاتُــهُ أَفِيْ عَيْشِــهِ مَــا امْتَــدَّ أَمْ مَوْتُــهِ امْتَــدَّا
كَــأَنَّ هُمُــوْمِيْ عَلَــى فِــرَاقِ أَحَبَّــتِيْ عَلَــى قَــدْرِ مَــا بَيْــنِيْ وَبَيْــنَهُمْ بُعْــدَا

~~~

أَبِيْ مَــا أَبِيْ لَــوْ أَسْــكَنَ اللهُ فِيْ الثَّــرَى مَلَائِكَـــــةً لَاسْــــتَحْدَثُوا عِنْـــــدَهُ وُدَّا
وَلَــوْ طَلَبَــتْ عَيْنَــاكَ فِيْ الأَرْضِ مُشْــبِهَاً مِثَالِيًّـــــاً سَمَـــــاوِيًّاً لَأَشْـــــبَهَهُ جِـــــدَّا
هُــدَىً يُفَجِّــرُ اللَّيْــلَ الــدَّجُوْجِيَّ سَمْتُــهُ فَمَــا كَــانَ إِلَّا طَلْعَــةَ الفَجْــرِ أَوْ أَهْــدَى
وَعِلْـــــمٌ إِذَا رَجَّافُـــــهُ انْحَـــــلَّ نَـــــوْءُهُ رَأَيْــتَ بِــهِ بَحْــرَ الشَّــرِيْعَةِ قَــدْ مُــدَّا
وَخَلْـــــقٌ لَـــــوْ أَنَّ اللهَ سَـــــوَّاهُ قَائِمَـــــاً رَأَى النَّــاسَ مَعْــنَى مَــا يُسَــمُّوْنَهُ رُشْــدَا
وَمِـــنْ زَهْـــرِ نُـــوْرِ اللهِ فِيْ رَوْضِ قَلْبِـــهِ حَـــدِيْثٌ لَـــهُ لَا إِثْمَ فِيْـــهِ وَلَا حِقْـــدَا
يَـــرَى حَاضِـــرُوْهُ أَنَّمَـــا هُـــوَ مَسْـــجِدٌ بِمَــا أُلْبِسَــتْ أَخْلَاقُــهُ الطُّهْــرَا وَالزُّهْــدَا
فَيَــا مَــوْتُ مَــا قَــدَّمْتَ مِنْــهُ لِرَبِّــهِ سِــوَى زَهْــرَةٍ فِيْ كَــفِّ خَالِقِهَــا تَنْــدَى

~~~

وَأَرْوَعُ فِيْ عُلْيَــــا مَعَــــدٍّ إِذَا اعْتَــــزَى وَفِيْ النَّفَــرِ الغُــرِّ الكِــرَامِ إِذَا عُــدَّا[1]

(1) مَعَدُّ بْنُ عَدْنَانَ أَبُو العَرَبِ.

تَــرَى الجَبَــلَ الرَّاسِــيْ بِمِثْــلِ وَقَــارِهِ ... رَسَــا فَسَـمَا فَاسْـتَجْمَعَ الخُلُـقَ الصَّـلْدَا

تَرُوْعُـــكَ مِنْـــهُ هَيْبَـــةٌ عُمَرِيَّـــةٌ ... وَحَسْـبُكَ مَـنْ أَمْسَـى لَـهُ عُمَـرُ جَـدَّا[1]

وَمَــا هِــيَ إِلَّا عَــنْ نِــزَارٍ وَيَعْــرُبٍ ... حَبَـا بَطَـلٌ جَعْـدٌ بِهَـا بَطَـلاً جَعْـدَا[2]

فَجَـاءَ كَنَصْـلِ السَّـيْفِ يَهْتَـزُّ مُصْـلَتاً ... يَــدُ اللهِ مِنْــهُ وَحْــدَهَا سَــنَّتِ الحَــدَّا

كَمَــا اعْتَصَــرَتْهُ أَنْفُــسٌ عَرَبِيَّــةٌ ... رِمَاحَــاً وَأَسْــيَافاً وَأَلْسِــنَةً لُــدَّا[3]

فَمَــنْ يَلْقَــهُ يَلْــقَ الزَّمَــانَ بِمِلْئِــهِ ... جَحَاجِحَــةً بَــلْ مِلْئِــهِ حَسَــباً عَــدَّا[4]

وَمَــــنْ يَتَأَمَّلْــــهُ يَمِيْنَــــاً وَشَمْــــأَلاً ... رَأَى هَهُنَــا مَجْــدَاً وَمِــنْ هَهُنَــا مَجْــدَا

وَمَــنْ كَــانَ فِيْ التَّــارِيْخِ لَحْـدُ جُـدُوْدِهِ ... تَجِـدْهُ مِـنَ التَّـارِيْخِ قَـدْ وَرِثَ الْمَهْـدَا

وَكَـمْ شِـيْمَةٍ كَالعَضْـبِ مِنْـهُ انْتَضَـيْتَهَا ... وَأَلْغَيْتَهَـــا فِيْ غَــــيْرِهِ طُبِعَـــتْ غِمْـــدَا

بِمَـا بَلَغَـتْ نَفْـسُ الفَـتَى يَعْـرِفُ الفَـتَى ... وَذُوْ الجِـدِّ أَنْ يَهْـزَلَ فَمَـا أَنْ عَـدَا جَـدَّا

وَفِيْ النَّــاسِ أَبْطَــالٌ تَــرَى الفَــرْدَ مِــنْهُمُ ... وَحِيْــدَاً وَمِــنْ أَخْلَاقِــهِ حَشَــدَ الجُنْــدَا

وَلَـنْ تُبْصِـرَ اللَّيْـثَ الغَضَـنْفَرَ فِيْ امْـرِئٍ ... إِذَا لَمْ تُشَــاهِدْ أَنْفُسَــاً خُلِقَــتْ أُسْــدَا

~~~

عَلَـى أَنَّـهُ أَنْـدَى حَنَـاناً مِـنَ النَّـدَى ... وَأَعْطَــــفُ مِــــنْ رَدِّ النَّسِــــيْمِ إِذَا رَدَّا

وَمَاكُنْــتُ أَدْرِيْ أَهُــوَ فِيْ بُــرْدِهِ اغْتَـدَى ... أَمِ الْمَلِــكُ البَسَّــامُ قَــدْ لَــبِسَ الــبُرْدَا

---

(1) يَنْتَهِيْ نَسَبُ الأُسْتَاذِ رَحِمَهُ اللهُ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ثَانِيْ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ رضي الله عنهم.

(2) الجَعْدُ: الكَرِيْمُ.

(3) الأَلْسِنَةُ اللُّدُّ: الَّتِيْ تَغْلُبُ أَبَدَاً فِيْ خُصُوْمَتِهَا لِقُوَّةِ بَيَانِهَا.

(4) الجَحَاجِحَةُ: السَّادَةُ. وَالحَسَبُ العَدُّ: القَدِيْمُ الكَرِيْمُ الَّذِيْ يُكَافِئُ مَا شِئْتَ مِنْ حَسَبٍ.
~~~

وَمَــا قَبْلَــهُ لِلْحُــبِّ قَبْــلٌ عَرَفْتُــهُ ... وَلَا بَعْــدَهُ أُلْفِــيْ لِــذَاكَ الرِّضَــا بَعْــدَا

وَلِلــرُّوْحِ عَــيْشٌ مِــنْ وُجُــوْهٍ تُحِيْطُهَــا ... فَوَجْــهٌ يَــرَى بُؤْسَــاً وَوَجْــهٌ يَــرَى رَغْــدَا

وَأَشْــهَدُ مَــا فِيْ الأَرْضِ مِــنْ صُــنْعِ رَبِّهَــا ... كَقَلْــبِ أَبٍّ بَــرٍّ يُحِــبُّ بِــهِ الوَلْــدَا

فَلَــوْلَا حَنَــانُ الوَالِــدَيْنِ لَمَــا رَأَى ... بَنُــوْ الأَرْضِ شَــيْئَاً يَعْقِلُــوْنَ بِــهِ الخُلْــدَا

وَمِــنْ حُــبِّ آبَاءِ الصِّــغَارِ صِــغَارَهُمْ ... تَعُــوْدُ رُوْحُ الطِّفْــلِ أَنْ تَسْــكُنَ الجِلْــدَا

وَلَــوْ نَظَــرَ القَــوْمُ الغُــلَاةُ لَأَيْقَنُــوا ... مَعَــادَهُمْ مَــا دَامَ آبَاؤُهُــمْ مَبْــدَا

~~~

نَعَـاكَ لِسَـانُ الغَيْـبِ فِيْ مَسْـمَعِ التُّقَـى ... مِـنَ البِضْـعَةِ الغَـرَّاءِ يَقْصِـدُهَا قَصْـدَا[1]

يُؤْذِنُهَــا فِيْ مَطْلَــعِ الفَجْــرِ مُخْــبِراً ... بِمَـوْتِ أَبِيْهَـا وَهِـيَ تَسْـمَعُ مَـا أَهْـدَى

الأَوْلَادُ لَمْ تَرْجِــعْ إِلَى الأَرْضِ رَجْعَــةً ... تُــذَكِّرُهَا جِبْرِيْــلَ وَالــوَحْيَ وَالعَهْــدَا

وَإِنْ ذَكَــرُوا نِــدًّا لِعِلْمِــكَ فِيْ الــوَرَى ... فَلَــنْ يَــذْكُرُوا فِيْ هَــذِهِ أَبَــدَاً نِــدًّا

عَلَى فَضْلِكَ البُرْهَانُ جَاءَتْ بِهِ السَّمَا ... فَفِـيْ الأَرْضِ مَـنْ هَـذَا يُطِيْـقُ لَـهُ جَحْـدَا

وَيَا أَبَــتِيْ إِنَّ الــوَدَاعَ لَغَايَــةٌ ... أَكَـدَّ إِلَيْهَـا الـدَّهْرُ فِيْ سَـيْرِهِ كَـدًّا

وَمَــنْ أَرْكَبَتْــهُ الأَرْضُ أَنْعُمَهَــا انْتَهَــى ... بِحَيْـثُ انْتَهَـى مَـنْ يَرْكَـبُ العِيْشَـةَ النَّكْـدَا

بِــدَائِرَةِ الأَعْمَــارِ شَــرْقٌ وَمَغْــرِبٌ ... وَلَكِــنْ يُسَــمَّى ذَاكَ نَحْسَــاً وَذَا سَــعْدَا

وَمِــنْ حَيْثُمَــا يَمَّمْــتَ نَحْــوَ مُحِيْطِهَــا ... تَــرَاهُ عَلَــى كُــلِّ الجِهَـاتِ ارْتَمَـى سَـدًّا

---

(1) يُشِيْرُ إِلَى الهَاتِفِ الَّذِيْ هَتَفَ بِكَرِيْمَةِ الأُسْتَاذِ وَهِيَ بِمَدِيْنَةِ الجِيْزَةِ لَيْلَةَ وَفَاتِهِ يُنْبِئُهَا بِمَوْتِهِ، وَقَدْ نُشِرَ ذَلِكَ فِيْ الْمُقْتَطَفِ.
~~~

خُلِقْنَـــــا بِأَرْضٍ كُـــــوِّرَتْ وَتَقَلَّبَــــتْ فَمَهْمَــا يَــدُرْ فِيْهَــا فَمُنْقَلِــبٌ ضِــدَّا

~~~

عَلَيْــكَ سَــلَامُ اللهِ مَــا بَــيْنَ رُوْحِــهِ وَقَــبْرِكَ يَمْضِــيْ مِــنْ رَوَاحٍ إِلَى مَغْــدَى

وَيَا خَــيْرَ مَــوْلًى أَنْــتَ أَرْحَــمُ رَحْمَــةً وَأَكْــرَمُ مَــنْ تَجْــزِيْ مَكَارِمُــهُ (عَبْــدَا)
~~~

قصيدة: مصر والشام

[14 شعبان 1339 – 22 نيسان 1921][1]

قال محمد سعيد العريان[2]: أَلْقَاهَا فِيْ الحَفْلَةِ السَّنَوِيَّةِ لِجَمْعِيَّةِ الاتِّحَادِ وَالإِحْسَانِ السُّوْرِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ بِطَنْطَا. **[على البسيط]**

يَا نَسْـمَةَ النِّيْـلِ مُـرِّيْ بِالسَّـلَامِ إِلَى ... نَسِـيْمِ وَادِيْ الهَـوَى فِيْ أَرْضِ لُبْنَـانِ

إِلَى النَّسِـيْمِ الَّـذِيْ رَفَّـتْ نَضَـارَتُهُ ... كَدَمْعَـةِ الفَجْـرِ رَفَّـتْ فَـوْقَ رَيْحَـانِ

إِلَى النَّسِيْمِ الَّذِيْ يَنْدَى[3] عَلَى كَبِدِيْ ... نَـدَى السُّـرُوْرِ عَلَـى آفَـاقِ أَحْـزَانِيْ[4]

إِلَى النَّسِـيْمِ الَّـذِيْ مِـنْ طُـوْلِ أُلْفَتِـهِ ... لِلزَّهْـرِ أَحْيَـا بِـرُوْحِ الزَّهْـرِ أَغْصَـانِيْ

بِاللهِ يَا نَسَـمَاتِ النِّيْـلِ طِـرْنَ إِلَى ... ذَاكَ النَّسِـيْمِ بِأَشْـوَاقٍ وَتَحْنَـانِ[5]

قَلْـبِيْ يَـرُفُّ رَفِيْـفَ الطَّـيْرِ بَيْنَكُمَـا ... كَأَنَّمَـا أَنْتُمَـا فِيْـهِ جَنَاحَـانِ

---

(1) لم تنشر من قبل في كتاب. نشرت في مجلة الهلال –نقلا عن مجلة سركيس–، بتاريخ: [25 رمضان 1339 – 1 حزيران 1921].

(2) نشرها محمد سعيد العريان في مجلة الرسالة (العدد 213)، بتاريخ: [25 جمادى الأولى 1356 – 2 آب 1937].

(3) في الهلال: يُنْدِيْ.

(4) في الرسالة: آفَاقِ أَحْزَانِ.

(5) في الرسالة: بِأَشْوَاقِيْ وَتَحْنَانِيْ.

لِمِصْـرٍ فِيْ حَقِّهَـا الأَدْنَى عَلَـيَّ هَـوَىً وَلِلشَّـــامِ هَـــوَىً فِيْ حَقِّهَـــا الـــدَّانِيْ

لَسْـتُ الكَـرِيْمَ بِـدَارِيْ إِنْ رَعَيْـتُ لَهَـا عَهْـــدَاً وَلَمْ أَرْعَ فِيْـــهِ عَهْـــدَ جِـــيْرَانِيْ

~~~

يَا مِصْـرُ أَرْضُـكِ مَهْـدُ العَقْـلِ كَـانَ بِهَـا وَالشَّـــــــامُ مَنْبَـــــــتُ أَرْوَاحٍ وَأَدْيَانِ

نُبُّـــوَةُ العَقْـــلِ فِيْ مِصْـــرٍ، وَجَارَتُهَـــا نُبُـــوَّةُ الـــرُّوْحِ فِيْهَـــا مُنْـــذُ أَزْمَـــانِ

كِلْتَاهُمَـــا تَرَكَـــتْ فِيْ الـــدَّهْرِ مُعْجِـــزَةً إِيْمَـــانُ عَقْلِـــيٌّ فِيْهَـــا عَقْـــلُ إِيْمَـــانِيْ

مَعْـــنَىً مِـــنَ الحُسْـــنِ أَعْيَـــانِيْ تَفَهُّمُـــهُ لَكِنَّـــهُ هُـــوَ مَعْـــنَى الخَالِـــدِ الفَـــانِيْ

الشَّـامُ مِـنَ مِصْـرَ، لَكِـنْ قَـدْ تَجَـاوَرَتَا لِتُصْـــبِحَا لِلْمَعَـــالِيْ شِـــبْهَ مِيْـــزَانِ

أَلَمْ تَـــرَ الـــدَّهْرَ وَزَّانَاً بِمَجْـــدِهِمَا مُلْكَـــاً بِمُلْـــكٍ وَتِيْجَـــانَاً بِتِيْجَـــانِ

الشَّـامُ مِـنْ مِصْـرَ لَكِـنْ قَـدْ تَبَايَنَتَـا لِأَنَّ حُسْـــنَهُمَا فِيْ الأَرْضِ حُسْـــنَانِ

لَـــوْنَانِ فِيْ وَاحِـــدٍ كَالغُصْـــنِ تَنْظُـــرُهُ لَـــوْنَاً وَبِالـــوَرْدِ غُصْـــنُ الـــوَرْدِ لَـــوْنَانِ

وَالشَّـرْقُ وَجْـهٌ مِـنَ الـدُّنْيَا تُطِـلُّ بِـهِ وَمِصْـــرُ وَالشَّـــامُ فِيْ ذَا الوَجْـــهِ عَيْنَـــانِ

اِثْنَـانِ كَالنَّـاظِرِيْنَ اسْـتَمْجَدَا كَرَمَـاً لَا يَعْـرِفُ الْمَـرْءُ أَيُّ اثْنَيْهِمَـا الثَّـانِيْ[1]

~~~

يَا مِصْـرَ يَا سُـوْرِيَّا، أَلْمَجْـدُ (دَائِـرَةٌ) وَأَنْتُمَـــا فِيْ مُحِـــيْطِ الْمَجْـــدِ (قُطْـــرَانِ)

كِلَاكُمَـا مُشْـبِهٌ فِيْ الحُسْـنِ صَـاحِبَهُ أَأَنْتُمَـــا وَاحِـــدٌ أَمْ أَنْتُمَـــا اثْنَـــانِ

أَرَى الْمَمَالِـــكَ إِخْـــوَانَاً مُعَلَّلَـــةً لَكِنَّمَـــا مِصْـــرُ وَالشَّـــامُ الشَّـــقِيْقَانِ

---

(1) لم يرد هذا البيت في الرسالة.

لَـوْ تُسـأَلُ الأَرْضُ: أَيْـنَ ابْنَـاكِ؟ لاَلْتَفَتَتْ   إِلَيْهِمَـــــا ثُمَّ قَالَـــتْ: هَـــا هُمَـــا ذَانِ

قصيدة: حديث الهوى

[جريدة الأهرام، 19 شعبان 1341 - 5 نيسان 1923][1]

[على مجزوء الرجز]

يَا قَلْـــــبُ مَـــــا لَـــــكَ وَالهَـــــوَى	أَوْ مَـــــا اكْتَفَيْـــــتَ أَسَـــــىً وَهَـــــمْ؟!
تَهْـــــوَى بِهَـــــا القَمَـــــرَ الَّـــــذِيْ	مَـــــا حَوْلَـــــهُ إِلَّا الظُّلَـــــمْ
تَهْـــــوَى بِهَـــــا كَـــــالعُمْرِ مَـــــا	فِيْـــــهِ سِـــــوَى طُـــــرْقِ العَـــــدَمْ

~~~

فِيْ سُـــــقْمِهَا عِـــــزُّ الـــــدَّوَا	وَتَعُـــــوْدُ صِـــــحَّتُهَا سَـــــقَمْ
وَالعُمْـــــرُ يَتْعَـــــبُ فِيْ البِنَـــــا	فَـــــإِذَا البِنَـــــا تَمَّ انْهَـــــدَمْ
وَالحُـــــبُّ كُـــــلُّ الحُـــــبِّ يَأْ	تِيْ بَعْـــــدَهُ كُـــــلُّ النَّـــــدَمْ

~~~

يَا قَلْـــــبُ تَشْـــــكُوْ ظَالِمَـــــاً	مِـــــنْ عَذْلِـــــهِ مَـــــا قَـــــدْ ظَلَـــــمْ!
يَجْـــــرِيْ عَلَيْـــــكَ بِمَـــــا جَـــــنَى	وَتُعَـــــدُّ أَنْـــــتَ الْمُـــــتَّهَمْ
إِنْ قَـــــالَ: (لَا)، كَـــــذَبْتَكَ (لَا)	وَإِذَا: (نَعَـــــمْ)، كَـــــذَبَتْ (نَعَـــــمْ)

(1) هي في أغاريد الرافعي (ص 97).

كُـــــــلُّ الكَـــــــلَامِ حَـــــــلَاوَةٌ لَمَّـــــا بِـــــهِ الحُلْـــــوُ ابْتَسَـــــمْ

~~~

آهٍ مِـــــــنَ الـــــــدُّنْيا وَمِـــــــنْ قَـــــدَرٍ عَلَـــــى الـــــدُّنْيا حَكَـــــمْ

الـــــبُغْضُ شَـــــيْءٌ مُـــــؤْلِمٌ وَالحُـــــبُّ شَـــــيْءٌ كَـــــالأَلَمْ[1]

---

(1) هذان البيتان في رسائل الأحزان (ص 183).
~~~

قصيدة: حيلة مرآتها

[1342 - 1924][1]

[على الطويل]

حَسْـــــنَاءُ، خَالِقُهَــــا أَتَمَّ جَمَالَهَــــا سَـــأَلَتْهُ مُعْجِـــزَةَ الهَـــوَى فَأَنَالَهَــــا

لَمَّــــا حَبَاهَــــا اللهُ جَـــلَّ جَلَالُـــهُ بِالحُسْـــنِ مُنْفَـــرِدَاً أَجَـــلَّ جَلَالَهَــــا

تُضْـــنِي الْمُحِـــبَّ كَأَنَّمَــا أَجْفَانُهَــا أَلْقَـــتْ عَلَيْـــهِ فُتُوْرَهَــــا وَمِلَالَهَــــا

هَيْفَـاءُ قَـدْ حَسِـبَ النَّسِـيْمُ قَوَامَهَـا غُصُــنَاً فَــإِنَّ خَطَــرَ النَّسِـيْمِ أَمَالَهَـا

سَـــيَّالَةُ الأَعْطَــافِ أَيْـــنَ تَرَنَّحَـــتْ تُطْلِـــقْ لِكَهْرَبَـــةِ الهَـــوَى سَـــيَّالَهَا

طَلَبُــوا لَهَــا شَــبَهَاً يُضِــيْءُ ضِـيَاءَهَا لِهَـــوَى النَّـــوَاظِرِ أَوْ يُـــدِلُّ دَلَالَهَــــا

أَمَّــا السَّــمَا فَجَلَــتْ عَلَـيْهِمْ بَـدْرَهَا وَالأَرْضُ قَــدْ عَرَضَــتْ لِــذَاكَ غَزَالَهَــا

لَكِنَّهَــــا نَظَــرَتْ فَأَخْجَلَــتِ الظِّبَــا وَتَلَفَّتَـــتْ لِلْبَـــدْرِ فَاسْـــتَحْيَى لَهَـــا

هُــــمْ يَطْلِبُـــوْنَ مِثَالَهَــــا فَلْيَرْقُبُــــوا مِرْآتَهَــــا يَجِـــدُوا هُنَـــاكَ مِثَالَهَــــا

~~~

مِـــرْآةُ فَاتِنَـــةُ النُّفُـــوْسِ وَصَـــفْحَةٌ تَتْلُـــــوْ بِهَــــا أَرْوَاحُنَــــا آمَالَهَــــا

---

(1) هي في رسائل الأحزان (ص 50 - 55)؛ ونشرت في مجلة الهلال بتاريخ: [27 رمضان 1342 - 1 أيار 1924].
~~~

لَمَّـــا عَجِـــزْنَا أَنْ نُفَصِّـــلَ وَصْـــفَهَا   جَمَعَـــــتْ لَنَـــــا مِرْآتُهَـــــا إِجْمَالَهَـــــا

وَاهَـــاً لِمِـــرْآةِ البَخِيْلَـــةِ لَـــوْ رَثَـــتْ   يَوْمَـــاً فَأَهْـــدَتْ فِيْ الجَفَـــاءِ خَيَالَهَـــا

تَـــلَأْلَأُ الضَّـــــحِكَاتُ فِيْ جَنَبَاتِهَـــــا   فَتَخَـالُ ضَـوْءَ الشَّـمْسِ هَـزَّ صِـقَالَهَا[1]

مِـنْ ثَغْرِهَـا؛ مِـنْ مَنْبَـعِ النُّـوْرِ الَّـذِيْ   نَبَعَـــتْ بِـــهِ ضَـــحِكَاتُهَا فَأَسَـــالَهَا

تَنْتَقِـــلُ اللَّحَظَـــاتُ فِيْ أَنْحَائِهَـــا   قَتَّالُهَـــــا مُسْـــــــتَتْبِعٌ قَتَّالَهَـــــا

جَرَحَـتْ بِهَـا وَبِهُـدْبِهَا وَكَـذَا الهَـوَى   أَبَــدَاً يَعُــدُّ مِــنَ السُّــيُوْفِ ظِلَالَهَـا

حُوْرِيَّـــةٌ شَـــهِدَتْ لَهَـــا جُنَاتُهَـــا   وَجَمَـــالُ عَيْنَيْهَـــا شَـــهَادَتُهَا لَهَـــا

وَكَأَنَّمَـــا الْمِـــرْآةُ مِـــنْ أُفُـــقِ السَّـــمَا   وَكَأَنَّهَـــا مَلَـــكٌ يَلُـــوْحُ خِلَالَهَـــا

~~~

وَقَفَـــتْ لَهَـــا يَوْمَـــاً فَأَلْقَـــتْ نَظْـــرَةً   حَـــيْرَى تُشَـــابِهُ وَعْـــدَهَا وَمِطَالَهَـــا

نَظَـــرَتْ بِلَحْـــظٍ نَافِـــذٍ لَـــوْ أَنَّـــهُ   لَقِـــيَ الإِرَادَةَ نَفْسَـــهَا لَاغْتَالَهَـــا

نَظْـــرَةَ حَـــوَّاءَ الَّـــتِيْ أَوْهَـــتْ بِهَـــا   عَزَمَـــاتُ آدَمَ يَـــوْمَ ضَـــلَّ ضَـــلَالَهَا

فَـــرَأَتْ عَلَـــى الْمِـــرْآةِ وَجْهَـــاً، ظَنَّـــهُ   مَلَـــكُ الجَمَـــالِ يُحَـــاوِلُ اسْـــتِقْبَالَهَا

رَاعَ الْمَلِيْحَـــةَ مِنْـــهُ فَـــرْطُ جَمَالِـــهِ   أَمْ رَاعَهَـــا أَنْ لَا يَكُـــوْنَ جَمَالَهَـــا؟

فَرَنَـــتْ بِنَظْرَتِهَـــا إِلَيْـــهِ تُطِيْلُهَـــا   وَرَنَا بِنَظْرَتِـــــهِ لَهَـــــا فَأَطَالَهَـــــا

لَحَظَـانِ لَـوْ رَجَفَـا عَلَيْـكَ تَرَاجَفَـتْ   كُـــرَةُ الفُـــؤَادِ فَزُلْزِلَـــتْ زِلْزَالَهَـــا

~~~

[1] صِقَالُ المِرْآةِ: مَاؤُهَا وَرَوْنَقُهَا.

نَظَرَتْ لَهَا حُسْنَاً إِذَا مَا احْتَلَّ فِيْ ... دُوَلِ النُّهَى سَلَبَ النُّهَى اسْتِقْلَالَهَا

وَرَأَتْ لِسِحْرِ جُفُوْنِهَا مَا رَاعَهَا ... وَرَأَتْ لِفَتْكِ لِحَاظِهَا مَا هَالَهَا

فَتَذَكَّرَتْ شَمْسُ الجَمَالِ مُتَيَّمَاً ... تَرَكَتْهُ مِنْ فَرْطِ النُّحُوْلِ (هِلَالَهَا)

مَا زَالَ يَشْكُوْ (الصَّدَ) حَتَّى بَغَّضَتْ ... فِيْ نَفْسِهِ (صَادَ) الحُرُوْفِ وَ(دَالَهَا)

وَرَأَتْ صَفَا الْمِرْآةِ يُشْبِهُ قَلْبَهُ ... مَهْمَا تُحَمِّلْهُ يَكُنْ حَمَّالَهَا

فَتَنَهَّدَتْ أَسَفَاً عَلَيْهِ وَأَنْشَأَتْ ... عَبَرَاتُ رَحْمَتِهَا تَجُوْلُ مَجَالَهَا

جَزِعَتْ لَهُ يُعْنَى العِنَايَةَ كُلَّهَا ... وَتُرِيْهِ كُلَّ ثَوَابِهِ إِهْمَالَهَا

حَالَانِ خَيْرُهُمَا وَشَرُّهُمَا سُوَىً ... وَمِنَ الْمَنَافِعِ مَا يَجُرُّ وَبَالَهَا

جُهْدُ الْمُقَامِرِ أَنْ يُحَاوِلَ حِيْلَةً ... وَلَكَمْ أَضَرَّتْ حِيْلَةٌ مُحْتَالَهَا

وَالعُمْرُ آمَالٌ وَمَا جَلَبَ الشَّقَا ... إِلَّا ابْتِغَاءُ الطَّامِعِيْنَ مُحَالَهَا

إِنَّ الَّذِيْ أَعْطَى النُّفُوْسَ عُقُوْلَهَا ... جَعَلَ القَنَاعَةَ لِلنُّفُوْسِ عِقَالَهَا

~~~

جَرَتِ الخَوَاطِرُ بِالْمَلِيْحَةِ لَحْظَةً ... شَغَلَتْ بِأَحْزَانِ الْمُتَيَّمِ بَالَهَا

فَبَدَا عَلَيْهَا بَعْضُ مَا قَدْ نَالَهُ ... وَبَدَا عَلَى الْمِرْآةِ مَا قَدْ نَالَهَا

وَرَأَتْ لَهُ وَجْهَاً تَغَشَّاهُ الأَسَى ... وَالحُسْنُ قَدْ مَنَعَ الأَسَى أَمْثَالَهَا

كَادَتْ تَقُوْلُ (رَضِيْتُ عَنْهُ) فَأَمْسَكَتْ ... وَمَضَتْ عَلَى عَجَلٍ لِتُخْفِيَ حَالَهَا

أَوَّاهِ لَوْ مِرْآتُهَا نَجَحَتْ... وَلَوْ ... فَمُهَا تَبَسَّمَ عِنْدَ ذَاكَ وَ(قَالَهَا)
~~~

قصيدة: أيام لبنان

[1924 - 1342][1]

[على الكامل]

فَجْــرُ الهَــوَى مِــنْ ثَغْرِهَــا البَسَّــامِ مُتَطَــايِرُ اللَّمَحَــاتِ فَــوْقَ ظَلَامِــيْ

رَفَّــتْ عَلَــيَّ ظِلَالُــهُ وَتَنَفَّسَــتْ بِنَـدَى الشَّـبَابِ عَلَـى فُـؤَادِيْ الظَّـامِيْ

ذَهَبَــتْ هُمُــوْمٌ حِــرْتُ فِيْ أَسْمَائِهَــا وَأَتَــتْ هُمُــوْمٌ مَــا لَهُــنَّ أَسَــامِيْ

فِيْ حُبِّهَــا وَالحُــبُّ فِيْ بَأْسَــائِهِ أَهْنَــا لِأَهْلِيْــهِ مِــنَ الإِنْعَــامِ

حَسْــنَاءُ صَــوَّرَهَا الهَــوَى فِيْ صُــوْرَةٍ كَــادَتْ تُعِيْــدُ عِبَــادَةَ الأَصْــنَامِ

فِيْ مَنْظَــرِ الأَقْمَــارِ أَلْمَــحُ وَجْهَهَــا وَتُحِــسُّ فِيْ لَمْــسِ النَّسِــيْمِ غَرَامِــيْ

وَلِكَهْــرُبَاءِ الحُــبِّ مِــنْ لَحَظَاتِهَــا سَــيَّالُهَا الْمُتَــدَافِعُ الْمُتَرَامِــيْ

يَنْسَــابُ فِيْ مَجْــرَى دَمِــيْ مُتَلَهِّبَــاً فَكَأَنَّــهُ تَيَّــارُ بَحْــرٍ ضِــرَامِ

يَا كَهْــرُبَاءِ الحُــبِّ رِفْقَــاً إِنَّمَــا هَــذِيْ (الأَنَابِيْــبُ) الضِّــعَافُ عِظَامِيْ

~~~

ذَهَــبَ الْمَنَــامُ وَمَــنْ يُــذَكِّرُهُ الهَــوَى قَمَــرَاً فَــلَا يَلْقَــى الــدُّجَى بِمَنَــامِ

---

(1) هي في رسائل الأحزان (ص 68 - 73)؛ ونشرت في مجلة المقتطف بتاريخ: [26 شعبان 1342 - 1 نيسان 1924].
~~~

يَا لَيْلُ أَنْتَ صَحِيْفَةٌ مِلْءُ الفَضَا ... ءِ وَمَا بِهَا سَطْرٌ مِنَ الأَحْلَامِ

فِيْ كُلِّ نَجْمٍ مِنْ نُجُوْمِكَ بَسْمَةٌ ... وَقَفَتْ تُشِيْرُ إِلَى الهَوَى بِسَلَامِ

وَكَأَنَّ أُفْقَكَ وَالنُّجُوْمُ سُطُوْرُهُ ... تَارِيْخُ مَا أَسْلَفْتُ مِنْ أَيَّامِيْ

مُتَأَلِّقُ الجَنَبَاتِ مَشْبُوْبُ الضِّيَا ... خَضْلُ النَّدَى صَافِيْ الشَّمَائِلِ سَامِيْ

يَا لَيْلُ أَيْنَ الفَجْرُ أَيْنَ زِمَامُهُ ... أَيَّامَ يُمْسِكُهُ الهَوَى بِزِمَامِ

أَيَّامَ (لُبْنَانَ) وَكَانَتْ سَاعَةً ... غَفَرَتْ ذُنُوْبَ الدَّهْرِ فِيْ أَعْوَامِ

غَفَلَ الزَّمَانُ هُنَاكَ مِنْ غَفَلَاتِهِ ... فَفَرَرْتُ لِلَّذَّاتِ مِنْ آلَامِيْ

وَقَطَعْتُ مِنْ ثَوْبِ الشَّبَابِ عِصَابَةً ... وَرَبَطْتُ مِنْ جُرْحِ الحَيَاةِ الدَّامِيْ

وَمَضَيْتُ أُصْعِدُ ذِرْوَةً فِيْ ذِرْوَةٍ ... كَالنَّجْمِ مُشْتَمِلاً عَلَيَّ غَمَامِيْ

فِيْ كُلِّ مَنْزِلَةٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ ... يَضَعُ الهَوَى قَمَراً يُضِيْءُ أَمَامِيْ

وَعَلَوْتُ حَتَّى عَنْ أَمَانِيْ الحَيَا ... ةِ وَغِبْتُ حَتَّى غِبْتُ عَنْ أَوْهَامِيْ

وَسَمَوْتُ فِيْ أُفُقٍ يَذُوْبُ نَسِيْمُهُ ... شَغَفاً إِذَا مَا اهْتَزَّ غُصْنُ قَوَامِ

أُفُقٌ يُطِلُّ عَلَى الحَيَاةِ وَهَمِّهَا ... إِطْلَالَ مَغْفِرَةٍ عَلَى الآثَامِ

لُبْنَانُ فَنٌّ فِيْ الطَّبِيْعَةِ قَائِمٌ ... دَقَّتْ مَحَاسِنُهُ عَلَى الأَفْهَامِ

مُتَكَبِّرٌ حَتَّى عَلَى إِكْبَارِهَا ... مُتَعَظِّمٌ حَتَّى عَلَى الإِعْظَامِ

قِمَمٌ تُغَطَّى بِالسَّمَاءِ كَأَنَّهَا ... فِيْ الكَوْنِ أَمْثِلَةٌ عَلَى الإِبْهَامِ

شُمٌّ فَوَارِعُ عَلَّمَتْ أَبْنَاءَهَا ... عِنْدَ الحَوَادِثِ كَيْفَ رَفْعُ الهَامِ

وَمَدَارِجٌ تُنْبِيْكَ مُنْحَدَرَاتُهَا ... أَنَّ الحَيَاةَ مَذَاهِبٌ وَمَرَامِيْ

تَرَكَــتْ بَنِيْهَــا أَيْنَمَــا حَكَمَــتْ بِهِــمْ | نَفَــذُوا عَلَــى الأَسْــبَابِ كَالأَحْكَــامِ

وَتَــرَى هُنَالِــكَ كُــلَّ شَــيْءٍ نَاطِقَــاً | أَنْ لَا يَعِــيْشَ هُنَــا سِــوَى الْمِقْــدَامِ

جَبَــلٌ تَمَنَّــعَ فِيْ الطَّبِيْعَــةِ عِــزَّةً | وَمَهَابَــةً كَالنَّــابِ فِيْ الضِّــرْغَامِ

يَتَقَلَّــبُ التَّــارِيْخُ مِــنْ أَبْنَائِــهِ | فِيْ الغُــرِّ بَــيْنَ فَــوَارِسٍ وَكِــرَامِ

فَــالنُّوْرُ لَمْ يَــبْرَحْ عَلَــى أَرْجَائِــهِ | مِــنْ مَبْسَــمٍ أَوْ مِــنْ فِرِنْــدِ حُسَــامِ

جَبَــلٌ إِذَا وَصَــفُوا الرَّوَاسِــيْ لَمْ يَكُــنْ | أَبَــدَاً لِصَــدْرِ الأَرْضِ غَــيْرَ وِسَــامِ

~~~

يَا نَفْحَــةَ الجَنَّــاتِ مِــنْ تِلْــكَ الــرُّبَى | كَــمْ ذَا يَطُــوْلُ تَلَهُّفِــيْ وَهُيَــامِيْ

بَيْــنِيْ وَبَيْنَــكِ بَحْــرُ دَمْــعٍ يَرْتَمِــيْ | مِــنْ عَــيْنِ مَهْجُــوْرٍ وَبَــرُّ خِصَــامِ

لَهْفِــيْ عَلَــى رِيْــحِ الشَّــآمِ وَنَظْــرَةٍ | مِــنْ أَرْضِــهَا لِهَــوَىً هُنَالِــكَ نَامِــيْ

أَرْضٌ بَنُوْهَــا الصِّــيْدُ كَيْــفَ تَوَاثَبُــوا | عَنَــتِ الحَيَــاةُ لَهُــمْ بِكُــلِّ مَــرَامِ

حَمَلُــوا النُّبُــوَّةَ وَهِــيَ رُوْحُ بِلَادِهِــمْ | وَمَضَــوا بِــوَحْيِ العَــزْمِ وَالإِقْــدَامِ

فَهُــمُ بِأَيِّ الأَرْضِ حَــلَّ نَــزِيْلُهُمْ | قَــوْمٌ قَضَــتْ لَهُــمُ السَّــمَا بِمَقَــامِ

أَرْضٌ كَسَــاهَا الــوَحْيُ جَــوَّاً عَــاطِرَاً | وَبَــنَى لَهَــا أُفُقَــاً مِــنَ الأَنْغَــامِ

اللهُ زَيَّنَهَــا بِكُــلِّ بَدِيْعَــةٍ | بَاحَــتْ بِأَسْــرَارٍ مِــنَ الإِلْهَــامِ

فَهُنَــا يُرِيْــكَ الحُسْــنُ صَــفْحَةَ شَــاعِرٍ | وَهُنَــا يُرِيْــكَ صَــحِيْفَةَ الرَّسَــامِ

وَالحُسْــنُ مُخْتَلِــفُ الْمَــوَاطِنِ فِيْ الــوَرَى | لَكِنَّمَــا حُسْــنُ الطَّبِيْعَــةِ (شَــامِيْ)
~~~

قصيدة: وادي الهوى

[1342 - 1924](1)

[على الكامل]

وَادِيْ هَــوَاكِ كَــأَنَّ مَطْلَــعَ شَمْسِــهِ ... يُلْقِــيْ عَلَــى يَأْسِــيْ شُــعَاعَ أَمَــانِيْ

وَكَــأَنَّ هَــذَا البَــدْرَ فِيْ ظَلْمَائِــهِ ... يَــدُ رَاحِــمٍ مَسَــحَتْ عَلَــى أَحْــزَانِيْ

وَكَــأَنَّ أَنْجُــمَ أُفْقِــهِ فِيْ لَيْلِهَــا ... ذِكْــرَى وُعُــوْدِكِ لَحْــنَ فِيْ نِسْــيَانِيْ

يَا ظَبْيَـةَ الـوَادِيْ الَّـذِيْ نَبَـتَ الهَـوَى ... بِثُــرَاهُ بَــيْنَ الزَّهْــرِ وَالرَّيْحَــانِ

وَادِيْـكِ مِـنْ طُـوْلِ التَّـدَلُّلِ قَـدْ بَـدَا ... شَــبَهُ القُــدُوْدِ بِــهِ عَلَــى الأَغْصَــانِ

وَكَـأَنَّ طِيْـبَ نَسِـيْمِهِ قَـدْ مَـسَّ مِـنْ ... شَــفَتَيْكِ مَوْضِــعُ قُبْلَــةٍ وَأَتَانِيْ

هُــوَ جَنَّــةٌ كُــلُّ النَّعِــيْمِ بِأَرْضِــهَا ... إِلَّا رِضَــاكِ؛ فَــذَاكَ مِــنْ نِــيْرَانِيْ

دَانٍ وَمَــا يَــدْنُوْ؛ بَعِيْــدٌ مَــا نَأَى ... يَا شَــدَّ مَــا يُضْــنِيْ البَعِيْــدَ الــدَّانِيْ

~~~

أَنَا مَــنْ عَلَمْــتِ فَــتًى كَــأَنَّ مَهَــزَّهُ ... فِيْ الــرَّوْعِ مَسْــنُوْنُ الغِــرَارِ يَمَــانِيْ

كُــلُّ الحَــوَادِثِ حُمْــرُهُنَّ وَسُــوْدُهَا ... فِيْ صَــفْحَةِ الأَيَّامِ مِــنْ أَلْــوَانِيْ

نَفْسِــيْ مِــنَ الْمَــلَأِ العُلَــى وَسَــجِيَّتِيْ ... تَأْبَى عَلَــيَّ مَذَلَّــةَ الإِنْسَــانِ

---

(1) هي في رسائل الأحزان (ص 101 - 102).
~~~

وَلَقَـــدْ أُرَاعُ إِذَا لِحَاظُـــكِ لَامَسَـــتْ   قَلْـــبِيْ كَـــأَنِّيْ فِيْ هَـــوَاكِ اثْنَـــانِ

~~~

أَلْحُسْـــنُ أَلْـــوَانٌ يُمَـــازِجُ بَعْضُـــهَا   بَعْضَـــاً لِتَصْـــوِيْرِ الهَـــوَى الفَتَّـــانِ

وَأَرَى الجَـوَى وَالسِّـحْرَ وَالإِيْمَـانَ قَـدْ   مُزِجَـــتْ فَمِنْهَـــا هَـــذِهِ العَيْنَـــانِ
~~~

قصيدة: صب كأسا

[1924 - 1342][1]

[على الخفيف]

صُـــبَّ كَأْسَـــاً عَلَـــى الهَـــوَى فَـــتَرَاهُ عَـــادَ قَلْبَـــاً يَطِـــيْرُ فِيْـــهِ احْـــتِرَاقُ

يَتَلَـــــوَّى بِهَـــــا وَيَهْتَـــــزُّ مِنْهَـــــا إِنَّـــــهُ كَـــــانَ أَكْبُـــــدَاً تَشْـــــتَاقُ

وَيْـــحَ مَـــنْ أَسْـــكَرَتْ إِذْ تُسْـــكِرُ الكَـــأْ سُ وَيَا وَيْحَهُـــــمْ إِذَا مَـــــا أَفَـــــاقُوا

تَنْسُـــجُ النُّـــوْرَ وَالشُّـــعَاعَ خُيُوْطَـــاً كُـــلُّ خَـــيْطٍ لِلْهَـــمِّ مِنْـــهُ وَثَاقُ

وَتُـــرِيْنِي السَّـــمَاءَ فِيْ سَـــعَةِ الصَّـــدْ رِ وَصَـــــدْرِيْ بِشَمْسِـــــهَا[2] آفَـــــاقُ

أَحْتَسِـــيْهَا كَـــالفَجْرِ يُعْقِـــبُ لَـــيْلاً أَوْ كَلَيْـــــلِ الفَجْـــــرِ فِيْـــــهِ انْبِثَـــــاقُ

هَاتِهَـــا فَهِـــيَ فِيْ فَمِـــيْ قُـــبُلاتٌ وَاصْـــطِدَامُ الكُـــؤُوْسِ مِنْهَـــا عِنَـــاقُ

---

(1) هي في رسائل الأحزان (ص 155).

(2) تُشَبَّهُ الخَمْرُ بِالشَّمْسِ.

قصيدة: الحب

[1925 - 1343][1]

[على مجزوء الكامل]

مَـــــنْ لِلْمُحِـــــبِّ وَمَـــــنْ يُعِيْنُـــــهْ	وَالحُـــــــبُّ أَهْنَـــــؤُهُ حَزِيْنُـــــــهْ!
أَنَا مَـــــا عَرَفْـــــتُ سِـــــوَى قَسَـــا	وَتِـــــهِ فَقُوْلُـــــوا كَيْـــــفَ لِيْنُـــــهْ؟
إِنْ يُقْـــــضَ دَيْـــــنُ ذَوِيْ الهَـــــوَى	فَـــــأَنَا الَّـــــذِيْ بَقِيَـــــتْ دُيُوْنُـــــهْ
قَلْـــــبِيْ هُـــــوَ الـــــذَّهَبُ الكَرِيْـــــ	ـــــمُ فَـــــلَا يُفَارِقُـــــهُ رَنِيْنُـــــهْ
قَلْـــــبِيْ هُـــــوَ الأَلْمَـــــاسُ يُعْـــــ	ـــــرَفُ مِـــــنْ أَشِـــــعَّتِهِ ثَمِيْنُـــــهْ
قَلْـــــبِيْ يُحِـــــبُّ وَإِنَّمَـــــا	أَخْلَاقُـــــهُ فِيْـــــهِ وَدِيْنُـــــهْ

~~~

يَا مَـــــنْ يُحِـــــبُّ حَبِيْبَـــــهُ	وَبِظَنِّـــــهِ أَمْسَـــــى يُهِيْنُـــــهْ
وَتَعِـــــفُّ مِنْـــــهُ ظَـــــوَاهِرٌ	لَكِنَّـــــهُ نَجِـــــسٌ يَقِيْنُـــــهْ
كَـــــالقَبْرِ غَطَّتْـــــهُ الزُّهُـــــوْ	رُ وَتَحْتَـــــهُ عَفِـــــنٌ دَفِيْنُـــــهْ
مَـــــاذَا يَكُـــــوْنُ هَـــــوَاكَ لَـــــوْ	كُـــــلُّ الَّـــــذِيْ تَهْـــــوَى يَكُوْنُـــــهْ؟
دَعْ فِيْ ظُنُوْنِـــــكَ مَوْضِـــــعاً	إِنَّ الحَبِيْـــــبَ لَـــــهُ ظُنُوْنُـــــهْ

---

(1) هي في السحاب الأحمر (ص 9 - 11).
~~~

وَخُـــــذِ الجَمِيْـــــلَ لِكَـــــيْ تَزِيـــــْ	ـــــنَ الحُسْـــــنَ فِيْــــهِ بِمَــــا يَزِيْنُــــهْ
إِنْ تَنْقَلِـــــبْ لِـــــصَّ العَفَـــــا	فِ لِمَـــــنْ تُحِـــــبُّ فَمَـــــنْ أَمِيْنُــــهْ؟
مَــــا لَــــذَّةُ القَلْـــــبِ الْمُدَلَّـــــ	ـــــهِ لَا يَطُـــــوْلُ بِــــهِ حَنِيْنُــــهْ؟
مَــــا لَــــذَّةُ العَقْــــلِ الْمُحِـــــ	ـــــبِّ وَلَمْ يُجَنِّنْـــــهُ جُنُوْنُــــهْ
الحُـــــبُّ سَـــــجْدَةُ عَابِـــــدٍ	مَـــــا أَرْضُـــــهُ إِلَّا جَبِيْنُــــهْ
الحُـــــبُّ أُفْـــــقٌ طَـــــاهِرٌ	مَـــــا إِنْ يُدَنِّسُـــــهُ خَؤُوْنُــــهْ
أُفْـــــقُ الْمَلَائِـــــكِ نَفْسُـــــهُ	فِيْ البَـــــدْءِ كَـــــانَ لَـــــهُ لَعِيْنُــــهْ[1]

~~~

وَيْلِـــــيْ عَلَـــــى مُتَـــــدَلِّلٍ	مَـــــا تَنْقَضِـــــيْ عَـــــنِّيْ فُنُوْنُــــهْ
كَيْـــــفَ السُّـــــلُوُّ وَفِيْ فُـــــؤَا	دِيْ لَا تُفَـــــارِقُنِيْ عُيُوْنُـــــهْ؟

(1) هُوَ إِبْلِيْسُ لَعِيْنُ السَّمَاءِ وَطَرِيْدُ الْمَلَائِكَةِ.
~~~

قصيدة: أنا ونفسي

[مجلة الزهراء، 21 ذي القعدة 1344 – 1 حزيران 1926][1]

[على البسيط]

(1) لم تنشر من قبل في كتاب. نشرت أيضا في مجلة المقتطف بتاريخ: [27 جمادى الأخرى 1345 - 1 كانون الثاني 1927]؛ ونشرت في مجلة الحديقة بتاريخ: [14 صفر 1347 - 1 آب 1929].

أَعْنَــتُّ نَفْسِــيَ حَــتَّى مَضَّــهَا السَّــأَمُ وَكَــــدَّهَا عُمُــــرٌ فِيْ الجِـــدِّ يَنْصَـــرِمُ

قَالَــتْ تُحَــاوِرُنِيْ يَا وَيْــحَ قَلْبِــكَ مِــنْ قَلْــبٍ بَــنَى مَــا بَنَــاهُ وَهُــوَ يَنْهَــدِمُ

أَذَابَ أَكْثَـــــرَهُ إِبْـــــدَاعُ أَيْسَـــــرِهِ كَالسِّــنِّ مِــنْ قَلَــمٍ فِيْــهِ انْــبَرَى القَلَــمُ

مُقَيَّــــدٌ فِيْ وَثَاقٍ مِـــــنْ خَلَائِقِـــــهِ فَمَـــــا لَـــــهُ لَـــــذَّةٌ إِلَّا لَهَـــــا أَلَمُ

يُنَاشِــدُ الْمَثَــلَ الأَعْلَــى وَفِيْــهِ إِلَى الــ أَدْنَى مُجَاذَبَـــــةٌ مَـــــا دَامَ فِيْــــهِ دَمُ

يَا مُفْــنِيَ العُمْــرِ فِيْ التَّفْتِــيْشِ عَــنْ حُلُــمٍ لَــوْ كَــانَ يُــدْرَكُ مَــا كَــانَ اسْمُــهُ الحُلُــمُ

مَــا لَــذَّةُ العَــيْشِ إِمَّــا كُنْــتَ مُنْقَسِــمَاً فَفِيْـــكَ قَـــاضٍ وَسَـــجَّانٌ وَمُـــتَّهَمُ

دَأْبَاً تَظَــلُّ سَــجِيْنَاً لَا انْطِــلَاقَ لَــهُ مَــا دَامَ لِلْعَقْــلِ قَــاضٍ فِيْــكَ يَحْــتَكِمُ

إِنَّ الصَّــــبِيَّ صَــــبِيٌّ فِيْ طَبَائِعِــــهِ فَـــالنَّهْيُ وَالأَمْـــرُ فِيْ أَخْلَاقِـــهِ هَـــرَمُ

وَالقَيْــدُ قَيْــدٌ وَإِنْ قَــالُوا اسْمُــهُ خُلُــقٌ وَالهَـــمُّ هَـــمٌّ وَإِنْ قَـــالُوا اسْمُـــهُ هِمَـــمُ

كَــمْ لَفْظَــةٍ فِيْ لُغَــاتِ النَّــاسِ مُجْرِمَــةٍ لَـــوْ حَاكَمُوْهَـــا أَمَاتُوْهَـــا وَمَـــا رَحِمُـــوا

فَفَــيْ القُبُــوْرِ لِسَــفَّاكِيْ الــدِّمَا رِمَــمٌ وَلِلشَّـــــهَامَةِ فِيْ أَجْـــــدَاثِهَا رِمَـــــمُ

مَــوْتَى كَمَــوْتَى فَــلَا زَادُوا وَلَا نَقُصُــوا وَإِنْ تَكُـــنْ قَتَلَـــتْ إِحْـــدَاهُمَا الـــذِّمَمُ

وَاثْنَــانِ لِصَّــانِ فِيْ الأَمْــوَالِ قَــدْ رَتَعَــا اللُّـــصُّ تَعْرِفُـــهُ وَالآخَـــرُ... الكَـــرَمُ

~~~
~~~

فَقُلْـــتُ لِلـــنَّفْسِ تَأْسَـــاءً وَتَعْزِيَـــةً إِنَّ الصَّـــوَاعِقَ مِمَّـــا تَجْلُـــبُ الـــدِّيَمُ

يَا نَفْسُ وَيْحَكِ مَا فِيْ السَّهْلِ مِنْ قِمَمٍ وَإِنَّمَـــا شَمَخَـــتْ فِيْ طَوْدِهَـــا القِمَـــمُ

مَـــنْ كَـــانَ فِيْ نَفْسِـــهِ أَرْضَـــاً مُوَطَّـــأَةً تَطَـــأْهُ مِـــنْ كُـــلِّ شَـــيْءٍ حَوْلَـــهُ قَـــدَمُ

وَمَـــنْ تَكُـــنْ نَفْسُـــهُ بَحْـــرَاً تُرَجْرِجُـــهُ أَمْوَاجُـــهُ لَمْ يَـــزَلْ يَـــدْوِيْ وَيَلْـــتَطِمُ

وَمَـــنْ يَكُـــنْ طَـــامِيَ البُرْكَـــانِ مُنْفَجِـــرَاً فَـــوَّارُهُ طَـــاشَ مِنْـــهُ الجَمْـــرُ وَالحِمَـــمُ

الخُلْـــقُ مَـــا الخُلْـــقُ إِلَّا مَـــا يُنَوِّعُـــهُ فِيْ النَّـاسِ مِـنْ دَهْـرِهِمْ مَـا شَـاءَتِ الحِكَـمُ

مِـــنْهُمْ زُجَـــاجٌ وَمِـــنْهُمْ جَنْـــدَلٌ عَسِـــرٌ فَحَـــــاطِمٌ فِيْ تَلَاقِـــــيْهِمْ وَمُـــــنْحَطِمُ

حَـــالٌ تُلَائِـــمُ حَـــالَاً فِيْ مُنَاسَـــبَةٍ وَالضِّـــدُّ لَـــيْسَ بِغَـــيْرِ الضِّـــدِّ يَلْتَـــئِمُ

إِنْ لَمْ يَكُـــنْ عِنْـــدَهُمْ لَـــوْحُ الوُجُـــوْدِ فَمَـــا عَسَـــاكَ تَحْسَـــبُهُمْ فِيْ اللَّـــوْحِ قَـــدْ رَسَمُـــوا

هِـــيَ الرِّوَايَـــةُ أَحْـــدَاثٌ يَجِـــيُّ بِهَـــا مُمَثِّلُوْهَـــا عَلَـــى مَـــا صَـــوَّرَ القَلَـــمُ

وَكُـــلُّ لَفْـــظٍ لِمَعْنَـــاهُ، فَـــإِنْ تَـــكُ لَا تَجْـرِيْ الْمَعَـانِيْ فَلَـنْ تَجْـرِيَ بِهَـا الكَلِـمُ

يَا حَـيْرَةَ العَقْـلِ هَـلْ لِلظُّلْمَـةِ انْبَثَقَـتْ أَنْوَارُهَـــا أَمْ عَلَـــى أَنْوَارِهَـــا الظُّلَـــمُ

وَالخَـيْرُ وَالشَّـرُّ أَيُّ اثْنَيْهِمَـا هُـوَ مِـنْ خَـيْرٍ وَأَيُّهُمَـا الشَّـرُّ الَّـذِيْ زَعَمُـوا

هَـــلِ الأُلَى حُرِمُـــوا إِلَّا بِمَـــنْ رُزِقُـــوا أَمِ الأُلَى رُزِقُـــوا إِلَّا بِمَـــنْ حُرِمُـــوا

يَجْنِيْ عَلَـى الشَّـاءِ نَابُ الـذِّئْبِ وَيْحَكَ أَمْ تَجْـنِيْ عَلَـى الـذِّئْبِ مِـنْ لُحْمَانِهَـا الغَـنَمُ؟

~~~
~~~

لَمْ يُخْلَـــقِ النَّـــاسُ إِلَّا خَلْـــقَ مُشْـــكِلَةٍ　　بِمَـــا بِـــهِ افْتَرَقُـــوا تَلْقَـــاهُمُ انْتَظَمُـــوا

لَكَانَـــتِ الأَرْضُ لَا هَـــمٌّ وَلَا تَعَـــبٌ　　لَـــوْ أَصْـــبَحَ العُمْـــرُ لَا مَـــوْتٌ وَلَا سَـــقَمٌ

مِمَّـــا وُلِـــدْتَ رَضِـــيْعَاً وَانْتَشَـــأْتَ فَـــتَىً　　وَعِشْـــتَ مِـــنْ بَعْـــدُ كَهْـــلَاً جَـــاءَكَ الهَـــرَمُ

فَمَـــا الَّـــذِيْ أَنْـــتَ رَاضِـــيْهِ فَحَامِـــدُهُ　　إِلَّا الَّـــذِيْ أَنْـــتَ شَـــاكِيْهِ فَمُـــتَّهِمُ

هَـــمُّ الحَيَـــاةِ كَمِثْـــلِ الجَمْـــرَةِ اضْـــطَرَمَتْ　　فَمَـــا الرَّمَـــادُ سِـــوَى مَـــا كَـــانَ يَضْـــطَرِمُ

~~~

يَا نَفْـسُ وَيْحَـكِ أَرْضَـى الجِـدَّ مِنْـكِ فَـتَىً　　مَاضِـــيْ العَزِيْمَـــةِ وَثَّابٌ فَمُقْـــتَحِمُ

لَا تَعْرُضِـــيْ لِيَ لَـــذَّاتِ الهَـــوَى أَبَـــدَاً　　مَـــا لِلْهَـــوَى فِيْ لِسَـــانِيْ (لَا) وَلَا (نَعَـــمُ)

كَـــأْسُ الْمُدَامَـــةِ فِيْ بَعْـــضِ الخِطَـــابِ فَـــمٌ　　وَمَـــدْفَعُ الحَـــرْبِ فِيْ بَعْـــضِ الكَـــلَامِ فَـــمُ

مَـــا لَـــذَّتِيْ أَنَا إِلَّا أَنْ أَكُـــوْنَ فَـــتَىً　　كَمَـــا يُرَفْـــرِفُ فِيْ أَعْلَـــى الـــذُّرَى عَلَـــمُ

كَأَنَّـــهُ صَـــفْحَةٌ مَنْشُـــوْرَةٌ قَـــرَأَتْ　　فِيْهَـــا ضَـــمَائِرُهَا العُلْوِيَّـــةَ الأُمَـــمُ

سِـــلْمٌ وَحَـــرْبٌ لَـــهُ فِيْ سِـــلْمِهَا عِظَـــمٌ　　يَخْشَـــوْنَهُ وَلَـــهُ فِيْ حَرْبِهَـــا عِظَـــمُ

~~~

أَنَا الْمُقَيَّـــدُ فِيْ نَفْسِـــيْ وَفِيْ خُلُقِـــيْ　　كَـــأَنَّنِيْ عَهْـــدُ حُـــرٍّ قَيْـــدُهُ القَسَـــمُ

لَا كَـــالخَلِيْعِ يَـــرَى الأَخْـــلَاقَ تَمْنَعُـــهُ　　جُرْمَـــاً عَلَيْـــكَ فَيُلْقِيْهَـــا وَيَجْـــتَرِمُ

شَـــتَّانَ بَـــيْنَ امْـــرِئٍ فِيْ نَفْسِـــهِ حَـــرَمٌ　　قُـــدْسٌ وَبَـــيْنَ امْـــرِئٍ فِيْ نَفْسِـــهِ صَـــنَمُ

لَا تَحْسَبُوا كُلَّ قَيْدٍ قَيْدَ حَامِلِهِ ... بَلْ قُيِّدَتْ نِقَمٌ فِيْهِ أَوِ النِّعَمُ

كَيْفَ السِّبَاقُ غَدَاةَ السَّبْقِ إِنْ جُمِعَتْ ... لَهُ الجِيَادُ وَلَمْ تُوْضَعْ لَهَا لُجُمُ

وَالعُوْدُ أَوْتَارُهُ إِنْ لَمْ تُشَدَّ بِهِ ... شَدَّ الْمُقَيَّدِ لَمْ يَصْدَحْ لَهَا نَغَمُ

قصيدة: كما يُرى مفرغاً في جسمه السبع

[مجلة الزهراء، 13 محرم 1347 – 1 تموز 1928][(1)]

[على البسيط]

رِثَاءُ العَلَّامَةِ أَحْمَد تَيْمُوْر بَاشَا

لَا الصَّبْرُ عَنْهُ يُعَزِّيْنَا؛ وَلَا الجَزَعُ ... وَلَا التَّجَلُّدُ مُغْنِيْنَا؛ وَلَا الفَزَعُ

مَصَائِبُ الْمَوْتِ كَالتَّقْلِيْدِ فِيْ نَسَقٍ ... أَمَّا مُصِيْبَتُنَا هَذِيْ فَتَخْتَرِعُ

يَا ضَرْبَةَ الْمَوْتِ مَا بَالَيْتِ أَنْ تَقَعِيْ ... عَلَى امْرِئٍ فِيْهِ بُنْيَانٌ لَنَا يَقَعُ

عَلَى الَّذِيْ كَانَ حِصْنَ (الضَّادِ) يَمْنَعُهَا ... إِنْ لَمْ تَجِدْ صَدْرَ حُرٍّ فِيْهِ تَمْتَنِعُ

حِصْنٌ بِأَسْوَارِهِ أَنْصَارُهَا احْتَشَدُوا ... وَحَوْلَ أَسْوَارِهِ أَعْدَاؤُهَا انْصَرَعُوا

رَاسٍ عَلَى الصَّخْرِ مِنْ دِيْنٍ وَمِنْ خُلُقٍ ... فَلَيْسَ يُعْرَفُ صَخْرٌ مِنْهُ يُقْتَلَعُ

وَمَا الهُوَيْنَا لِذَاكَ الدِّيْنِ غَامِزَةٌ ... وَلَا التَّرَاخِيْ بِذَاكَ الخُلْقِ يَنْصَدِعُ

وَمَنْ يَكُنْ لِدِفَاعِ (الضَّادِ) مُنْجَرِداً ... فَلْيَنْتَصِبْ كَالرَّوَاسِيْ فِيْمَنْ اتَّضَعُوا

وَلْيَجْفُ مِثْلَ جَفَاءِ القَفْرِ مُمْتَنِعَاً ... عَلَى الْمَذَلَّةِ فِيْ أَخْلَاقِ مَنْ خَضَعُوا

وَلْيَدَّرِعْ صَدْرُهُ الصَّحْرَاءَ كَاشِرَةً ... لِمَنْ بِسَفْسَافِ أُوْرُبَّا قَدِ ادَّرَعُوا

(1) لم تنشر من قبل في كتاب؛ ونشرت أيضا في مجلة الحديقة بتاريخ: [12 شعبان 1349 - 1 كانون الثاني 1931].

~~~

قَـــالُوا أَتَـــى اللَّيْـــثَ حَـــلَّاقٌ يُعَلِّمُـــهُ قَـــصَّ الأَظَـــافِرِ تَجْمِـــيْلاً كَمَـــا ابْتَـــدَعُوا

يَا لَيْـــثُ قُلْهَـــا لِـــذَا الحَـــلَّاقِ زَمْجَـــرَةً إِنَّ الْمَخَالِـــبَ فِيْ كَفِّـــيْ هِـــيَ الشَّـــبَعُ

يَا لَيْـــثُ قُلْهَـــا لِـــذَا الحَـــلَّاقِ هَمْهَمَـــةً زِدْنِيْ مِقَصَّـــكَ ظُفْـــراً مِنْـــهُ أَنْتَفِـــعُ

يَا لَيْـــثُ قُلْهَـــا لِـــذَا الحَـــلَّاقِ دَمْدَمَـــةً الظُّفْـــرُ لِلَّيْـــثِ بِالـــدُّنْيَا وَمَـــا تَسَـــعُ

~~~

لَـــوْ كُـــلُّ مِزْمَـــارِ فَـــنٍّ عِنْـــدَنَا خَنِـــثٍ لَنَـــــا بِـــــهِ مِـــــدْفَعٌ فَنَّانُـــــهُ بَشِـــــعُ

إِذَنْ لَكَانَـــتْ لَنَـــا بَـــيْنَ الـــوَرَى لُغَـــةٌ مَـــتَى تَقُـــلْ قَوْلَهَـــا فِيْ العَـــالَمِ اقْتَنَعُـــوا

قُـــلْ لِلْعَصَـــافِيْرِ فِيْ مِنْقَارِهَـــا نَغَـــمٌ مِنْقَـــارُ نَسْـــرِكِ مَـــا غَـــنَّى وَيَبْتَلِـــعُ...

وَيْـــحَ الفَضَـــائِلِ مِـــنْ بَاغِـــيْنَ لَـــوَّثَهُمْ هَـــوَى أُوْرُبَّا فَهُـــمْ نَاسٌ وَهُـــمْ بُقَـــعٌ...

يُجَـــدِّدُوْنَ لَنَـــا أَخْلَاقَنَـــا زَعَمُـــوا ضَـــرُّوا لِنَفْـــعٍ؛ فَقَـــدْ ضَـــرُّوا وَمَـــا نَفَعُـــوا

يَا مَـــنْ يُحَطِّـــمُ بِلُّـــوْراً لِيَسْـــمَعَ مِـــنْ أَنْغَامِـــهِ؛ وَيْلَـــكَ اسْمَـــعْ أَنَّـــهُ قِطَـــعُ..

~~~

(تَيْمُـــوْرُ) لَـــوْ قُلْـــتَ فِيْ إِنْسَـــانِهِ مَلَـــكٌ لَكَـــانَ حَسْـــبُكَ مِنْـــهُ الطُّهْـــرُ وَالـــوَرَعُ

مِـــنَ الرِّجَـــالِ الْمَصَـــابِيْحِ الَّـــذِيْنَ هُمُـــو كَـــأَنَّهُمْ مِـــنْ نُجُـــوْمٍ حَيَّـــةٍ صُـــنِعُوا

أَخْلَاقُهُـــمْ نُـــوْرُهُمْ؛ مِـــنْ أَيِّ نَاحِيَـــةٍ أَقْبَلْـــتَ تَنْظُـــرُ فِيْ أَخْلَاقِهِـــمْ سَـــطَعُوا

يُحَقِّـــقُ العِلْـــمُ فِيْ إِنْسَـــانِهِ مَـــثَلاً مِـــنْ قُـــوَّةِ الـــدِّيْنِ: لَا زَيْـــغٌ، وَلَا بِـــدَعُ

دِيْـــنٌ تَفَـــرَّغَ فِيْ جِسْـــمٍ فَـــوَقَّرَهُ كَمَـــا يُـــرَى مُفْرَغَـــاً فِيْ جِسْـــمِهِ السَّـــبُعُ
~~~

يَا جَهْــلَ مَــنْ ظَــنَّ أَنَّ العِلْــمَ غَايَتُــهُ ... شَـــكٌّ وَزَيْـــغٌ وَإِنْكَـــارٌ لِمَـــا شَـــرَعُوا

مَــا العِلْــمُ إِلَّا حُــدُوْدُ العَقْــلِ تَحْبِسُــهُ ... وَالــدِّيْنُ مِــنْ خَلْفِهَــا بِالعَقْــلِ يَتَّسِــعُ

أَيَّ العَجَائِــبِ فِيْ ضِــدَّيْنِ قَــدْ جُمِعَــا ... فِيْ العَقْــلِ وَالسَّــلْبِ بِالإِيْجَــابِ مُجْتَمِــعُ

لِلنَّـــاسِ أَخْضَــعْتِ الفَـــانِيْ عُقُوْلُهُمُـــو ... وَالنَّـــاسُ لِلْخَالِــدِ البَــاقِيْ بِهَــا خَضَــعُوا

~~~

يَا رَايَــةَ اللُّغَــةِ الفُصْــحَى تُقَدِّسُــهَا ... عَلَــى مَنَابِرِهَــا (الآحَــادُ) وَ(الجُمَــعُ)

فَفِــيْ قُلُــوْبٍ يَقُــوْمُ الــدِّيْنُ يَحْرِسُــهَا ... وَفِيْ قُلُــوْبٍ يَقُــوْمُ الحُــبُّ وَالوَلَــعُ

فَــدَتْكِ نَفْسِـــيْ قُرْآنِيَّـــةً رُفِعَـــتْ ... بِكَــفِّ جِبْرِيْــلَ مَــا فِيْ مَسِّــهَا طَمَــعُ

وَلِلنَّـــبِيِّ عَلَيْهَـــا لَمْ يَـــزَلْ نَفَـــسٌ ... حَــيٌّ وَمِــنْ وَجْهِــهِ فِيْ نُوْرِهَــا لُمَــعُ

لَكَــادَ وَاللهِ فِيْ التَّنْزِيْـــلِ قَارِئُـــهُ ... يُحِــسُّ صَــوْتَ رَسُــوْلِ اللهِ يَرْتَفِــعُ

إِنَّ النَّـــبِيَّ لَحَـــيٌّ فِيْ ضَـــمَائِرِنَا ... عَلَــى الزَّمَــانِ يَــرَى مِنْهَــا وَيَسْــتَمِعُ

فَكَيْـــفَ تَفْتِنُنَـــا الأَيَّامُ عَـــنْ لُغَـــةٍ ... كِتَابُهَــا فِيْــهِ صَــوْتُ الــوَحْيِ مُنْطَبِــعُ

صَــحَائِفٌ كَــ(فَنُغْرَافِ) الْمَلَائِــكِ إِنْ ... أَنْطَقْتَهَــا أَقْبَلُــوا فِيْ الصَّــوْتِ وَاطَّلَعُــوا

تَاللهِ مَــا نَاصَــبَ الفُصْــحَى سِــوَى رَجُــلٍ ... بِالْمَكْــرِ يَخْــدَعُ أَوْ بِالجَهْــلِ يَنْخَــدِعُ

وَقَاحَــةُ الْمَكْــرِ تَأْبَى مِــنْ طَبِيْعَتِهَــا ... رَدْعَــاً وَلِلْجَهْــلِ طَبْــعٌ لَــيْسَ يَرْتَــدِعُ

كَــمْ أَجْنَــبِيٍّ غَرِيْــبٍ بَاتَ يَحْفَظُهَــا ... كَحِفْــظِ عَيْنَيْــهِ أَنْ يَغْشَــاهُمَا الوَجَــعُ

وَكَــمْ نَــرَى مِــنْ بَنِيْهَــا ذَا مُكَاشَــرَةٍ ... لِسَـــانُهُ كَلِسَـــانِ النَّـــارِ يَنْــدَلِعُ

يَا قَــوْمِ لَــنْ يَسْــتَحْيَ مُسْــتَنْقَعٌ وَخِــمٌ ... إِذَا جَــرَتْ حَوْلَــهُ الأَنْهَــارُ وَالــتِّرَعُ
~~~

قصيدة: لسان الصحراء؛ في رحلة جلالة الملك

[ربيع الأول 1347 - أيلول 1928][1]

قال محمد سعيد العريان في مجلة الرسالة[2]: فِيْ شَهْرِ أُكْتُوْبَرَ مِنْ سَنَةِ 1928 قَامَ الْمَغْفُوْرُ لَهُ الْمَلِكُ فُؤَادٌ بِرِحْلَةٍ إِلَى الصَّحْرَاءِ الغَرْبِيَّةِ وَوَاحَةِ سِيْوَةَ، وَكَانَ الْمَرْحُوْمُ الرَّافِعِيُّ يَوْمَئِذٍ شَاعِرَ جَلَالَتِهِ وَحَادِيَ رِكَابِهِ؛ فَأَنْشَأَ هَذِهِ القَصِيْدَةَ يَتَحَدَّثُ فِيْهَا عَنِ الصَّحْرَاءِ لِمُنَاسَبَةِ هَذِهِ الرِّحْلَةِ الْمَيْمُوْنَةِ. **[على البسيط]**

تَسَاءَلَ القَفْرُ إِذْ حَلَّ الْمَلِيْكُ بِهِ ... أَدَارَ بِيْ مَوْضِعِيْ أَمْ حَانَ تَجْدِيْدِيْ؟

أَمْ بَعْدَ زَرْعِيْ دُهُوْرَاً لَا حَصِيْدَ لَهَا ... مِنَ التَّوَارِيْخِ، آنَ اليَوْمَ مَحْصُوْدِيْ؟

رَمْلِيْ عَلَى الأَرْضِ كَالدِّيْنَارِ مِنْ ذَهَبٍ ... مُلْقَىً ضَيَاعَاً وَمَوْجُوْدَاً كَمَفْقُوْدِ

أَمْ غَيَّرَ اللهُ أَيَّامِيْ فَأَسْعَدَنِيْ ... مَلِيْكُ مِصْرَ بِيَوْمٍ مِنْهُ مَسْعُوْدِ؟

كَأَنَّ لِيْ زَمَنَاً مَا كَانَ مِنْ زَمَنٍ ... وَلَا مَشَى بِحِسَابٍ أَوْ بِتَعْدِيْدِ

وَالوَقْتُ يَخْضَعُ لِلسَّاعَاتِ تُمْسِكُهُ ... بِكُلِّ ثَانِيَةٍ مِنْ غَيْرِ تَبْدِيْدِ

وَسَاعَةُ القَفْرِ قَفْرٌ، فَالثَّلَاثُ بِهَا ... كَالخَمْسِ، كَالتِّسْعِ، لَا مَعْنَى لِتَحْدِيْدِ

أَمْ طُوْلُ صَبْرِيْ عَلَى الفِقْدَانِ عَوَّضَنِيْ ... بِأَنْ يَزُوْرَ قِفَارِيْ خَيْرُ مَوْجُوْدِ؟

---

(1) لم تنشر من قبل في كتاب.

(2) مجلة الرسالة (العدد 273)، بتاريخ: [3 رمضان 1357 - 26 تشرين الأول 1938].

شَمْسٌ مِنَ اللهِ فِيْ صَدْرِيْ وَمَا كَمُلَتْ ... إِلَّا بِشَمْسٍ مِنَ الإِنْسَانِ فِيْ جِيْدِيْ

أَمْ مَا لَقِيْتُ مِنَ الحِرْمَانِ كَافَأَنِيْ ... بِأَنْ يَحُلَّ بِأَرْضِيْ سَيِّدُ الجُوْدِ؟

مَلْكٌ كَأَنَّ نَبَاتَ العِزِّ فِيْ يَدِهِ ... تَجْنِيْهِ مِنْ ذَهَبٍ أَيْدِيْ الْمَجَاهِيْدِ

وَيَسْحَرُ الأَرْضَ حَتَّى الأَرْضُ مِنْ أُفُقٍ ... وَيَسْحَرُ الوَقْتَ حَتَّى الوَقْتُ مِنْ عِيْدِ

أَمَ ذَاكَ حُلْمُ الصَّحَارَى بِالنَّعِيْمِ سَرَى ... وَمَرَّ مُنْطَلِقاً فِيْ هَجْعَةِ البِيْدِ؟

فِيْ القَفْرِ دُنْيَا وَرَا الدُّنْيَا نَفِرُّ لَهَا ... عَلَى مَطَايَا الكَرَى مِنْ عَيْشِ تَنْكِيْدِ

إِنِّيْ كَقِطْعَةِ وَحْشٍ صُوِّرَتْ بَلَداً ... أَرْضِيْ سَوَاءٌ وَإِنْسَانِيْ وَجُلْمُوْدِيْ

وَعُوْدُ آدَمَ عُرْيَانٌ بِلَا ثَمَرٍ ... وَزَهْرُ حَوَّاءَ مَحْطُوْمٌ بِلَا عُوْدِ[1]

فَلَا بَنِيَّ لَهُمْ دُنْيَا تَعُدُّهُمُو ... فِيْهَا، وَلَا أَنَا فِيْ الدُّنْيَا بِمَعْدُوْدِ

لَوْ أَنْزَلَ اللهُ سَقْفاً مِنْ كَوَاكِبِهِ ... لَهُمْ لِيَبْنُوا لَمَا هَمُّوا بِتَشْيِيْدِ

لَوْ أَمْسَكُوا ظِلَّ طَيْرِ الجَوِّ فِيْ قَفَصٍ ... مَا أَمْسَكُوا ظِلَّ عُمْرَانٍ بِمَجْهُوْدِ

وَفِيْ عَرِيْضٍ فِجَاجِيْ الشَّمْسُ طَالِعَةٌ ... تَزِيْدُ فِيْ ظُلُمَاتِيْ الحَيَّةِ السُّوْدِ

فِيْ الجَدْبِ فِيْ الوَحْشِ فِيْ الأَحْياءِ فِيْ زَمَنِيْ ... وَفِيْ طَبَائِعِ أَرْضِيْ، فِيْ تَقَالِيْدِيْ

فَاليَوْمَ أَعْرُضُ آمَالِيْ عَلَى مَلِكِيْ ... وَهُوَ الكَفِيْلُ بِمَرْجُوِّي وَمَقْصُوْدِيْ

لَعَلَّنِيْ خُطَّ لِيْ مِنْهُ كِتَابُ هُدَىً ... وَمَا زِيَارَتُهُ إِلَّا كَتَمْهِيْدِ...

لَبَّيْكِ يَا مُعْضِلَاتِ القَفْرِ قَدْ بَعَثَتْ ... لَكِ العِنَايَةُ صِنْدِيْدَ الصَّنَادِيْدِ

آبَاؤُهُ الصِّيْدُ هِمَّاتٌ مُجَمَّعَةٌ ... فِيْهِ، وَزَادَ عَلَى آبَائِهِ الصِّيْدِ

(**1**) عُوْدُ آدَمَ: كِنَايَةٌ عَنِ الرَّجُلِ؛ وَزَهْرُ حَوَّاءَ: كِنَايَةٌ عَنِ الْمَرْأَةِ. (العريان)

رَحْـــبُ الأَمَـــانِي وَثَّابٌ عَلَـــى فُـــرَصٍ مَـــا أَطْمَعَـــتْ غَـــيْرَهُ فِيْ غَـــيْرِ تَزْهِيْـــدِ

يَرْمِـــيْ بِحَبْلَيْـــهِ: مَحْلُـــوْلٍ وَمُنْعَقِـــدٍ فِيْهَـــا عَلَـــى كُـــلِّ مَحْلُـــوْلٍ وَمَعْقُـــوْدِ

سِـــرُّ اللُّيُـــوْثِ بِعَيْنَيْـــهِ، فَنَظْرَتُـــهُ فِيْهَـــا اكْتِشَـــافُ فَرِيْسَـــاتِ الْمَوَاعِيْـــدِ

وَتَحْـــتَ رَاحَتِـــهِ سِـــرُّ السُّـــيُوْفِ، فَـــإِنْ أَشَـــارَ رَاعَ كَسَـــيْفٍ عِنْـــدَ تَجْرِيْـــدِ

وَفِيْ أَنَامِلِـــهِ سِـــرُّ الأَعِنَّـــةِ: لَا يَنْفَـــكُّ يَطْلِـــبُ مَيْـــدَاناً لِتَأْيِيْـــدِ

مَلِيْـــكُ مُعْجِـــزَةٍ فِيْ أَرْضٍ مُعْجِـــزَةٍ مُخَلَّـــدُ الحَمْـــدِ فِيْ تَارِيْـــخِ تَخْلِيْـــدِ

وَمَـــا يُسَـــدُّ طَرِيْـــقٌ دُوْنَ غَايَتِـــهِ طَرِيْـــقُ كُـــلِّ سَـــعِيْدٍ غَـــيْرُ مَسْـــدُوْدِ

~~~

سَتَسْـــتَفِيْضُ عَلَـــى الصَّـــحْرَاءِ هِمَّتُـــهُ تَجَّاجَـــةً بِالْمَشَـــارِيْعِ الْمَحَامِيْـــدِ

فَيُوْلَـــدُ الـــزَّمَنُ الْمَشْـــبُوْبُ مِـــنْ زَمَـــنٍ فَـــانٍ تَكَلَّـــحَ فِيْ تِلْـــكَ التَّجَاعِيْـــدِ

هَيْهَـاتَ هَيْهَـاتَ مَـا يَبْـنِيْ القِفَـارَ سِـوَى صَـــبْرٍ كَصَـــبْرِ (فُـــؤَادٍ) غَـــيْرِ مَحْـــدُوْدِ

هُـــمُ الأَعَارِيْـــبُ فِيْ تَلْهِيْـــبِ جَمْـــرِهِمْ مِثْـــلُ البَرَاكِـــيْنِ لَـــنْ تَحْيَـــا بِتَبْرِيْـــدِ

يَا لَلْعَزِيْمَـــةِ لَـــوْ أَخْـــرَجْتَهُمْ عَـــرَباً تَحْـــتَ القَـــوَانِيْنِ أَحْـــرَاراً بِتَقْيِيْـــدِ

إِذَنْ لَضَـــاعَفَ مِصْـــرَاً سِـــحْرُ سَـــاحِرِهَا وَابْتَـــزَّ مَمْـــدُوْدَهَا مِـــنْ غَـــيْرِ مَمْـــدُوْدِ

النِّيْـــلُ كَنْـــزٌ مِـــنَ الخَضْـــرَاءِ مُنْكَشِـــفٌ فِيْ جَنْـــبِ كَنْـــزٍ مِـــنَ الصَّـــحْرَاءِ مَرْصُـــوْدِ

عَـــزَّ الَّـــذِيْ جَمَـــعَ الكَنْـــزَيْنِ فِيْ يَـــدِهِ يَحْمِـــيْ بِكَنْـــزِ زَئِـــيْرٍ كَنْـــزَ تَغْرِيْـــدِ
~~~

قصيدة: ما نفع رقة روحي؟

[1931 - 1349][1]

[على المضارع]

يَا مَــــــنْ لِنَضْــــــوٍ طَــــــرِيْحٍ ... مُجَمَّـــــــعٍ مِـــــــنْ حُطَـــــامِ[3]

بَقِيَّـــــــةٍ مِـــــــنْ سُـــــــلُوٍّ ... عَلَـــــــى بَقَـــــــايَا غَـــــــرَامِ

وَقِطْعَــــــةٍ مِـــــــنْ جَفَـــــــاءٍ ... فِيْ قِطْعَـــــــةٍ مِـــــــنْ سَـــــــلَامِ

أُضِــــــيْءُ كَـــــــالنَّجْمِ لَكِـــــــنْ ... فِيْ وَحْـــــــدَةٍ وَظَــــــــــلَامِ

وَمَـــــــا أُكَابِـــــــدُ[2] نَارَاً ... يَـــــــرَوْهُ نُـــــــوْرَاً أَمَـــــــامِيْ

~~~

مَـــــا نَفْــــعُ رِقَّـــــةِ رُوْحِـــــيْ ... تَنْــــــدَى كَطَــــــلٍّ[4] الغَمَـــــامِ

وَكُـــــلُّ مَـــــا هُـــــوَ حَـــــوْلِيْ ... كَحَلْــــقِ عَطْشَـــــانَ ظَـــــامِيْ؟

~~~

(1) هي في أوراق الورد (ص 35)؛ وأغاريد الرافعي (ص 116).

(2) في أغاريد الرافعي: أُكَابِدُهُ.

(3) اِلنِّضْوُ: النَّحِيْلُ الْمَهْزُوْلُ. وَالطَّرِيْحُ: الَّذِيْ أَضْجَعَهُ الْمَرَضُ. وَالحُطَامُ: مَا تَكَسَّرَ أَوْ تَحَطَّمَ.

(4) في أغاريد الرافعي: كَظِلِّ.

يَا وَاصِــــــــــــلاً بِالْمَعَــــــــــــانِيْ وَهَــــــــــــاجِرِيْ فِيْ الكَــــــــــــلاَمِ

مُخَاصِــــــــــــمِيْ فِيْ نَهَــــــــــارِيْ مُصَــــــــــالِحِيْ فِيْ مَنَــــــــــامِيْ[1]

مِـــــــنَ العُبُــــــوْسِ كَــــــلاَمٌ مَعْنَــــــاهُ مَعْــــــنَى ابْتِسَــــــامِ

وَلَـــــنْ يُغَّـــــيَّرَ جِسْـــــمَ الــــــ ــــــوِدَادِ ثَــــــوْبُ الخِصَــــــامِ

~~~

مَـــــا نَفْـــــعُ رِقَّـــــةِ رُوْحِـــــيْ تَنْـــــدَى كَطَـــــلِّ[2] الغَمَـــــامِ

وَكُـــــلُّ مَـــــا هُـــــوَ حَـــــوْلِيْ كَحَلْـــــقِ عَطْشَـــــانَ ظَـــــامِيْ؟

---

(1) في أغاريد الرافعي: مَقَامِيْ.

(2) في أغاريد الرافعي: كَظِلِّ.
~~~

قصيدة: قال القمر...

[1931 - 1349](1)

[على البسيط]

يَا لَيْــلُ، هَيَّجْــتَ أَشْــوَاقاً أُدَارِيْهَــا ... فَسَــلْ بِهَــا البَــدْرَ، إِنَّ البَــدْرَ يَــدْرِيْهَا

رَأَى حَقِيْقَــةَ هَــذَا الحِــسِّ غَامِضَــةً ... فَجَــاءَ يُظْهِرُهَــا لِلنَّــاسِ تَشْــبِيْهَا

فِيْ صُــوْرَةٍ مِــنْ جَمَــالِ البَــدْرِ نَنْظُرُهَــا ... وَنَنْظُــرُ البَــدْرَ يَبْــدُوْ صُــوْرَةً فِيْهَــا

~~~

يَأْتِيْ بِمِــلْءِ سَمَــاءٍ مِــنْ مَحَاسِــنِهِ ... لِمُهْجَــتِيْ، وَأَرَاهُ لَــيْسَ يَكْفِيْهَــا

وَرَاحَــةُ الخُلْــدِ تَأْتِيْ فِيْ أَشِــعَّتِهِ ... تَبْغِيْ عَلَى الأَرْضِ مَنْ فِيْ الأَرْضِ يَبْغِيْهَا

وَكَــمْ رَسَــائِلَ تُلْقِيْهَــا السَّــمَاءُ بِــهِ ... لِلْعَاشِــقِيْنَ، فَيَــأْتِيْهِمْ وَيُلْقِيْهَــا

~~~

يَقُــوْلُ لِلْعَاشِــقِ الْمَهْجُــوْرِ مُبْتَسِــمَاً: ... خُــذْنِيْ خَيَــالَاً أَتَــى مِمَّــنْ تُسَــمِّيْهَا

وَلِلَّــذِيْ أَبْعَدَتْــهُ فِيْ مَطَارِحِهَــا ... يَــدُ النَّــوَى، أَنَا مِــنْ عَيْنَيْــكَ أُدْنِيْهَــا

وَلِلَّــذِيْ مَضَّــهُ يَأْسُ الهَــوَى فَسَــلَا: ... أُنْظُــرْ إِلَيَّ وَلَا تَــتْرُكْ تَمَنِّيْهَــا

~~~

(1) هي في أوراق الورد (ص 55).
~~~

أَمَّـــا أَنَا فَـــأَتَانِيْ البَـــدْرُ مُزْدَهِيَـــاً وَقَـــالَ: جِئْـــتُ بِمَعْـــنَى مِـــنْ مَعَانِيْهَـــا

فَقُلْـتُ: مِـنْ خَـدِّهَا، أَمْ مِـنْ لَوَاحِظِهَـا أَمْ مِـــنْ تَـــدَلُّلِهَا، أَمْ مِـــنْ تَأَبِّيْهَـــا

أَمْ مِـــنْ مَعَاطِفِهَـــا، أَمْ مِـــنْ عَوَاطِفِهَـــا أَمْ مِـــنْ مَرَاشِـــفِهَا، أَمْ مِـــنْ مَجَانِيْهَـــا

أَمْ مِـــنْ تَفَتُّرِهَـــا، أَمْ مِـــنْ تَكَسُّـــرِهَا أَمْ مِـــنْ تَلَفُّتِهَـــا، أَمْ مِـــنْ تَثَنِّيْهَـــا؟!

كُـنْ مِثْلَهَـا لِيَ: جَـذْباً فِيْ دَمِـيْ وَهَـوَىً أَوْ كُـنْ دَلَالَاً وَكُـنْ سِـحْرَاً وَكُـنْ تِيْهَـا

فَقَـالَ وَهُـوَ حَـزِيْنٌ: مَـا اسْتَطَعْتُ سِـوَى أَنِّيْ خَطَفْـتُ ابْتِسَـامَاً لَاحَ مِـنْ فِيْهَـا..!

قصيدة: مني السلام

[1931 - 1349][1]

[على البسيط]

مِـنِّيْ السَّـلَامُ عَلَـى مَـنْ لَـوْ تُصَـافِحُهَا ... يَـدُ النَّسِـيْمِ، أَحَسَّـتْ غَمْـزَ آلَامِـيْ

مَـرَّتْ عَلَى الـوَرْدِ فِيْ الأَكْمَامِ فَارْتَعَشَـتْ ... أَسَـىً، وَقَالَـتْ: أَهَـذَا قَلْبُـهُ الـدَّامِيْ؟

وَأَبْصَــرَتْ غُصْــنَاً ظَمْــآنَ مُنْطَرِحَــاً ... فَمَــا رَأَتْ فِيْــهِ إِلَّا بَعْــضَ أَسْــقَامِيْ

وَتَسْــمَعُ الطَّــيْرَ صَــدَّاحَاً بِأَيْكَتِــهِ ... يَشْـكُوْ، فَتَسْـمَعُ فِيْ شَـكْوَاهُ أَنْغَـامِيْ!

~~~

حَقِيْقَــةُ الحُــبِّ فِيْهَــا، ثُمَّ تُظْهِــرُ لِيْ ... كَــأَنَّنِيْ عَــالِقٌ مِنْهَــا بِأَوْهَــامِ

يَا لِلْعَجِيْبَــةِ لِلْمِــرْآةِ! أَنْظُرُهَــا ... وَلَا أَرَانِيْ فِيْهَــا وَهِــيَ قُــدَّامِيْ...

~~~

يَا أُخْـتَ شَمْـسٍ كَلَـوْنِ الخَـدِّ مُشْـرِقَةٍ ... وَأُخْــتَ بَــدْرٍ كَنُــوْرِ الوَجْــهِ بَسَّــامِ

مَــا كُنْــتِ مِثْلَهُمَــا إِلَّا لِتَبْتَسِــمِيْ ... عَلَــى لَيَــالِيَّ فِيْ حُــبِّيْ وَأَيَّامِــيْ

---

(1) هي في أوراق الورد (ص 72).

قصيدة: كتاب رضا

[1931 - 1349][1]

[على السريع]

كِتَابُهَــــا قَـــدْ جَــاءَنِيْ حَــامِلاً لِقَلْـــبِيَ الخَفَّـــاقِ قَلْبَـــاً خَفَـــقْ

وَالْتَمَعَـــتْ فِيْـــهِ نُجُــوْمُ الْمُـــنَى فِيْ أَسْـــطُرٍ مِثْـــلَ سَـــوَادِ الغَسَـــقْ

وَأَعْـــرِفُ القُبْلَـــةَ فِيْ مَوْضِـــعٍ يَلُـــوْحُ لِيْ كَـــالزَّهْرِ لَا كَـــالوَرَقْ

وَكَـــمْ بِـــهِ سَـــطْرٌ إِلَى آخَـــرٍ كَالصَّـــدْرِ لِلصَّـــدْرِ دَنَا فَـــاعْتَنَقْ!

وَكَـــمْ بِـــهِ مَعْـــنَىً أَنَامَ الجَـــوَى وَكَـــمْ بِـــهِ مَعْـــنَىً أَتَـــى بِالأَرَقْ!

~~~

سَـــأَلْتُهُ: كَيْـــفَ رَأَى وَجْهَهَـــا؟ فَقَـــالَ: جَـــلَّ اللهُ فِيْمَـــا خَلَـــقْ

قُلْـــتُ: وَذَاكَ الخَـــدُّ لَمَّـــا اسْـــتَحَى؟ فَقَـــالَ: مِثْـــلُ الفَجْـــرِ فِيْـــهِ الشَّـــفَقْ

قُلْـــتُ: وَذَاكَ الثَّغْـــرُ مَـــا أَمْـــرُهُ؟ فَقَـــالَ: لَمَّـــا ذَكَرْتُـــكَ (انْطَبَـــقْ)[2]

~~~

يَا ثَغْرَهَـــا، فِيْـــكَ نَسِـــيْمُ النَّـــدَى فَكَيْـــفَ قَلْـــبِيْ فِيْ نَـــدَاكَ احْـــتَرَقْ؟

---

(1) هي في أوراق الورد (ص 98)؛ وأغاريد الرافعي (ص 118).

(2) كَأَنَّهَا تُقَبِّلُ اسْمَهُ حِيْنَ ذَكَرَتْهُ.

قصيدة: متى يا حبيب القلب

[1931 - 1349][1]

[على الطويل]

أَلَا يَا نَسِيْمَ الفَجْرِ سَلِّمْ عَلَى فَجْرِيْ ... فَقَدْ غَابَ فِيْ اللَّيْلِ الطَّوِيْلِ مِنَ الهَجْرِ

تُضِيْءُ اللَّيَالِيْ بِالنُّجُوْمِ وَبَدْرِهَا ... وَلَيْلُ الجَفَا مِنْ غَيْرِ نَجْمٍ وَلَا بَدْرِ

وَقَفْتُ وَمَاذَا أَسْتَطِيْعُ بِوَقْفَتِيْ ... حَسِيْرَاً، وَأَقْدَارُ الغَرَامِ بِنَا تَجْرِيْ؟

أَدُوْرُ بِعَيْنِيْ نَحْوَ كُلِّ شُعَاعَةٍ ... عَلَى الأُفْقِ فِيْ نَجْمٍ، أَوِ الأَرْضِ فِيْ زَهْرِ

فَيَا وَيْحَ قَلْبِيْ! مَا لَهُ حَنَّ كُلَّمَا ... تَرَاءَى لَهُ شِبْهُ ابْتِسَامٍ عَلَى ثَغْرِ؟

مَتَى يَا حَبِيْبَ القَلْبِ هَجْرُكَ يَنْتَهِيْ ... وَمِنْ أَوَّلِ الأَيَّامِ فِيْهِ انْتَهَى (صَبْرِيْ)[2]؟

~~~

أَلَا يَا نَسِيْمَ الصَّبْرِ إِنَّ جِزْتَ فِيْ الرُّبَا ... خَفِيَّاً كَتَسْلِيْمِ الحَبِيْبَةِ فِيْ سِرِّ...

وَقَامَتْ عَذَارَاهَا لِلُقْيَاكَ تَنْثَنِيْ ... دَلَالَاً وَتِيْهَاً فِيْ غَلَائِلِهَا الخُضْرِ...

وَفَتَّحَ نُوَّارُ الغُصْنِ جُفُوْنَهُ ... وَفِيْهَا البَقَايَا النَّاعِسَاتُ مِنَ السِّحْرِ...

---

(1) هي في أوراق الورد (ص 149).

(2) وَكَانَ مِنْ أَصْدِقَائِهَا الْمَرْحُوْمُ إِسْمَاعِيْل صَبْرِي بَاشَا...
~~~

وَأَصْـــبَحْتَ كَالسَّـــلْوَى تُرَفْـــرِفُ نَازِلَاً		سَـلَامَاً عَلَـى قَلْـبِ الغَـدِيْرِ أَوِ النَّهْـرِ...

... فَجِئْـنِيْ بِسِـرِّ الزَّهْـرِ وَالْمَـاءِ وَالنَّـدَى		لَعَلِّـيْ بِهَـا أُطْفِـيْ جَـوَى الحُـبِّ فِيْ صَـدْرِيْ

قصيدة: في الأحلام

[1][1931 - 1349]

[على مخلع البسيط]

نَصَـــبْتُ لِيْ فِيْ الكَـــرَى حِبَالَـــهْ اَصْـــطَادُ صَـــيْدَاً مِـــنَ الصُّـــوَرِ
رَأَيْـــتُ جِسْـــمِيْ انْتَهَـــى لِحَالَـــهْ تُضِـــيْءُ كَالشَّـــمْسِ وَالقَمَـــرِ

~~~

فَطِـــرْتُ فِيْ النُّـــوْرِ أَجْتَلِيْـــهِ مَحَاسِـــنَاً تَمْـــلَأُ السَّـــمَا
وَلَا ضَـــوْءٌ بِـــلَا شَـــبِيْهِ إِلَّا حَبِيْـــبِيْ تَبَسَّـــمَا
فَقُلْـــتُ: هَـــلْ[2] بِيْ يَا قَلْـــبُ فِيْـــهِ لَعَلَّـــنِيْ أُطْفِـــئُ الظَّمَـــا

~~~

نَاجَيْـــتُ قَلْـــبِيْ بِـــذِيْ الْمَقَالَـــهْ فَدَمْـــدَمَ الأُفْـــقُ بِالشَّـــرَرْ
صَـــرَخْتُ: مَـــا لِلْفَضَـــاءِ مَـــا لَـــهْ فَقَـــالَ: فِيْ قَلْبِـــكَ الخَطَـــرْ

~~~

(1) هي في أوراق الورد (ص 170)؛ وأغاريد الرافعي (ص 117).

(2) في أغاريد الرافعي: مِلْ.
~~~

يَا أُفْــقُ هَــلْ خِفْــتَ مِــنْ شَــرَارَهْ تَحْـــتَ الضُّـــلُوْعِ اسْمُهَـــا الفُـــؤَادْ

أَمْ سَـــــعَّرَ الهَجْـــــرُ فِيْــــكَ نَارَهْ تُوْقَـــدُ مِـــنْ يَابِـــسِ الـــوِدَادْ...

أَمْ يَـــوْمُ حُـــبٍّ قَضَـــى نَهَـــارَهْ وَحَـــلَّ مِـــنْ بَعْـــدِ[1] السَّـــوَادْ...؟

~~~

فَقَـــالَ: وَجْـــهٌ نَـــرَى خَيَالَـــهْ فِيْ قَلْبِـــكَ الحَامِـــلِ الضَّـــرَرْ

اِرْجِـــعْ فَلَـــوْ أَنَّ ذِيْ (الغَزَالَـــهْ) تُغَـــازِلُ الـــنَّجْمَ لَانْفَجَـــرْ

---

(1) في أغاريد الرافعي: مِنْ بَعْدِهِ.
~~~

قصيدة: يا قلبي!

[1931 - 1349][1]

[على المديد]

كَـــانَ لِيْ قَلْـــبٌ، فَيَـــا عَجَـــبِيْ ... لَـــيْسَ فِيْ جَنْـــبِيْ سِـــوَى أَثَـــرِهْ

ضَـــاعَ مِـــنِّيْ فَـــابْحَثُوا تَجِـــدُوا ... فِيْ ابْتِسَـــامِ الحُسْـــنِ أَوْ نَظَـــرِهْ

وَيْحَـــهُ قَلْبَـــاً أَعِـــيْشُ عَلَـــى ... صَـــفْوَةِ عَيْشِـــيْ عَلَـــى كَـــدَرِهْ

يَرْتَقِـــيْ كَالنَّسْـــرِ ثُمَّ تَـــرَى ... مُرْتَقَـــاهُ عَـــيْنَ مُنْحَـــدَرِهْ

~~~

هَهُنَـــا قَلْـــبٌ وَحَامِلُـــهُ ... مَيِّـــتُ الأَمْـــنِ عَلَـــى حَـــذَرِهْ[2]

ذَابَ ذَوْبَ العِطْـــرِ مُـــذْ وُقِـــدَتْ ... لِلْهَـــوَى نَارٌ عَلَـــى زَهَـــرِهْ

ضُـــرُّهُ مَـــا كَـــانَ مَنْفَعَـــةً ... نَفْعُـــهُ مَـــا كَـــانَ مِـــنْ ضَـــرَرِهْ

عَـــابِسٌ كَاللَّيْـــلِ لَـــيْسَ بِـــهِ ... أَمَـــلٌ إِلَّا سَـــنَا (قَمَـــرِهْ)

~~~

وَهَنَّـــأَ قَلْبَـــهُ وَصَـــاحِبَهُ ... قَـــدْ بَـــنَى الـــدُّنْيَا عَلَـــى حَجَـــرِهْ...

---

(1) هي في أوراق الورد (ص 200).

(2) مَنْ كَانَ حَذِرَاً مُسْتَمِرَّاً فِيْ حَذَرِهِ كَانَ مَيِّتَ الأَمْنِ؛ إِذْ لَوْ أَمِنَ مَا حَذِرَ.

تَقْــــــــرُصُ الآلَامُ مُهْجَتَــــــــهُ   مِثْــلَ قَــرْصِ الــوَحْشِ مِـــنْ ظَفَــرِهْ[1]

وَالحَدِيْــــدُ الصُّـــــلْبُ تَحْسَـــــبُهُ   صُـــوْرَةً عَمْيَـــاءَ مِـــنْ صُـــوَرِهْ...

... لَمْ يَلِـــــــنْ إِلَّا بِمِطْرَقَـــــــةٍ   مِـــــنْ قَضَـــــاءِ اللهِ أَوْ قَـــــدَرِهْ

~~~

وَسُــــــؤَالٌ لَا جَـــــوَابَ لَـــــهُ:   أَيُّ ذَيْـــــنِ الحُلْـــــوُ فِيْ ثَمَــــرِهْ؟

لَـــوْ يُبِــــيْنُ الحُلْـــوَ خَالِقُـــهُ   كَيْــفَ يَسْــقِيْ الْمُـــرَّ مِـــنْ مَطَـــرِهْ؟

---

(1) الإِنْسَانُ لَا يَشْعُرُ إِذَا هُوَ قُرِصَ فِيْ ظِفْرِهِ الرَّقِيْقِ، فَكَيْفَ بِالوَحْشِ وَظِفْرُهُ كَمَخْرَزِ الإِسْكَافِ؟.
~~~

قصيدة: يوم النوى

[1931 - 1349][1]

[على البسيط]

يَا ظِلَّـةَ الْمَـوْجِ يَطْغَـى البَحْـرُ مُنْتَفِضَـاً ... بِهَـا، كَـأَنْ جَبَـلٌ فِيْ البَحْـرِ يُقْتَلَـعُ

تَظُـنُّ زَلْزَلَـةً فِيْ الْمَـاءِ قَـدْ جَلَسَـتْ ... أَوْ لَا، فَزَوْبَعَـةٌ فِيْ الْمَـاءِ تَضْـطَجِعُ

تَقَلْقَلَـتْ، فَاسْـتَطَارَتْ فَانْثَنَـتْ، فَهَـوَتَ ... فَأَطْبَقَـتْ، فَارْتَمَـتْ كَالرُّعْـبِ تَنْـدَفِعُ

عَلَـى غَرِيْـقٍ بِحَبْـلِ الْمَـاءِ مُعْتَصِـمٍ ... وَالحَبْـلُ فِيْ لَمْسَـاتِ الكَـفِّ يَنْقَطِـعُ

لَـهُ بَقِيَّـةُ رُوْحٍ فِيْ أَصَـابِعِهِ ... يُنَـازِعُ الْمَـوْتَ فِيْهَـا وَهِـيَ تُنْتَـزَعُ

بَـيْنَ الحَيَـاةِ وَبَـيْنَ الْمَـوْتِ مُـرْتَكِسٌ[2] ... يَقِيْئُـهُ البَحْـرُ أَطْـوَاراً وَيَبْتَلِـعُ

أَذَاكَ أَعْظَـمُ هَـؤُلَاءِ فِيْ فَجِيْعَتِـهِ ... أَمِ الْمُحِبُّـوْنَ فِيْ أَحْبَـابِهِمْ فُجِعُـوا؟

~~~

يَا لُطْـفَ نَفْسِـيْ لِلْعُشَّـاقِ! تَحْسَـبُهُمْ ... يَـوْمَ النَّـوَى نُزِعَـتْ مِـنْ قَلْـبِهِمْ قِطَـعُ

الحُـبُّ قَـاتِلُهُمْ بِالصَّـبْرِ إِنْ صَـبَرُوا ... وَالحُـبُّ قَـاتِلُهُمْ بِالهَـمِّ إِنْ جَزَعُـوا

إِنْ وَدَّعُـوا ذَاهِبَـاً لَمْ تَلْـقَ حُزْنَهُمُـو ... مِـنْ أَنَّـهُ سَـارَ، بَـلْ مِـنْ أَنَّهُـمْ رَجَعُـوا

---

(1) هي في أوراق الورد (ص 210).

(2) الارْتِكَاسُ: أَنْ يَرْجِعَ آخِرُ الأَمْرِ عَلَى أَوَّلِهِ.
~~~

رَبِّيْ، مَـــتَى تَهِـــبِ الأَحْـــزَانَ مُخْتَرِعَـــاً   فِيْ هَـــذِهِ الأَرْضِ لِلنِّسْـــيَانِ يَخْـــتَرِعُ؟

قصيدة: إلى الحزين

[مجلة أبولو، العدد: 3، 3 رجب 1351 - 1 تشرين الثاني 1932][1]

[على المجتث]

اِعْــــــبِرْ حَيَاتَـــــكَ خَوْضَـــــاً كَالخَائِضِـــــــــيْنَ وَعَوْمَـــــــــا

عَـــــــــــــــــلَامَ يَأْسُ ذُبَابٍ لم يَبْلُــــغِ الـــــنَّجْمَ حَوْمَـــــا؟

وَلَا تَنَـــــاوَمْ، فَفِـــــيْ الْمَــــــوْ تِ سَــــــوْفَ تَهْلِـــــكُ نَوْمَـــــا!

وَلَا تَقُـــــــــــلْ لِيَ: لَـــــــــوْلَا كَـــــانَ الزَّمَـــــانُ وَلَوْمَـــــا!

فَلَسْـــــــتَ وَحْـــــدَكَ مِنْـــــهُ تَـــــرُوْمُ مَـــــا شِـــــئْتَ رَوْمَـــــا

وَلَـــــــــيْسَ للهِ سُـــــــــوْقٌ فَتَشْـــــــتَرِيْ مِنْـــــهُ سَــــــوْمَا!

~~~

هِـــــيَ الْمَقَـــــادِيْرُ مِنْهَـــــا قَـــــوْمٌ يُحَـــــارِبُ قَوْمَـــــا

وَالهَـــــمُّ يَمْضِـــــيْ فَمَـــــا لِيْ أُوْتِيْـــــهِ بِالحُـــــزْنِ دَوْمَـــــا؟!

~~~

اِشْـــــبَعْ سُـــــرُوْرَاً وَضَـــــحْكَاً وَصُـــــمْ عَـــــنِ الحُـــــزْنِ صَـــــوْمَا

مَـــــنْ عَـــــاشَ يَوْمَـــــاً حَزِيْنَـــــاً فَعُـــــدَّهُ مَـــــاتَ يَوْمَـــــا!

---

(1) لم تنشر من قبل في كتاب.

قصيدة: وصف موقف

[مجلة أبولو، العدد: 6، 6 شوال 1351 - 1 شباط 1933][1]

[على الكامل]

وَلَمَّـــا الْتَقَيْنَـــا بَعْـــدَ هَجْـــرٍ وَأَقْبَلَـــتْ   تُحَـــاذِرُ أَنْ تَـــدْنُوَ، وَتَـــدْنُوْ تُحَـــاذِرُ..

وَقَفْـتُ أُرِيْهَـا الصَّـبْرَ أَكْـذَبَ مَـا يُـرَى   عَلَـى عَاشِـقٍ مِـنْ غَـيْرِ صَـبْرٍ يُصَـابِرُ

وَكَيْــفَ وَمَــا فِيْ النَّــاسِ مِثْلِــيَ هَــائِمٌ   أَعُــوْدُ وَمَــا فِيْ النَّــاسِ مِثْلِــيَ هَــاجِرُ

كَـــــذَبْنَا بِعَيْنَيْنَـــــا سُـــــؤَالاً وَرَدَّهُ   وَكُــلٌّ بِكُــلٍّ هَــازِئُ القَلْــبِ سَــاخِرُ

فَــأَوْحَى لِقَلْــبِيْ أَنْ يَثُــوْرَ مُخَــاطِرَاً   إِلَيْهَــا هَــوَىً فِيْ قَلْبِهَــا لَا يُخَــاطِرُ

فَلَـمْ تَـكُ إِلَّا غُصْـنَ نُـوْرٍ قَـدِ اكْتَسَـى   عِنَاقَــاً وَتَقْبِيْلِــيْ عَلَيْــهِ أَزَاهِــرُ

وَجُــنَّ غَرَامِــيْ وَاغْتَــدَتْ بَــيْنَ أَذْرُعِــيْ   كَــأَنْ قَفَــصٌ فِيْــهِ تَخَــبَّطَ طَــائِرُ..

---

(1) لم تنشر من قبل في كتاب.

قصيدة: الهموم

[مجلة المقتطف، 14 رجب 1352 - 1 تشرين الثاني 1933][1]

تَتَدَفَّقُ حَيَاةُ الإِنْسَانِ بَيْنَ شَاطِئَيْنِ يَمْتَدَّانِ مِنْ غَيَاهِبِ الْمَاضِيْ إِلَى غَيْبِ الْمُسْتَقْبَلِ، أَحَدُهُمَا شَاطِئٌ مِنَ الإِنْسَانِيَّةِ وَالآخَرُ شَاطِئٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَبَيْنَهُمَا تَجْرِيْ الحَيَاةُ إِلَى غَايَتِهَا مُتَغَيِّرَةً مُتَجَدِّدَةً مُتَدَافِعَةً لَا تُثْبِتُ قَطْرَةٌ مِنْهَا عَلَى قَطْرَةٍ. مَتَى قَرَّرَ الإِنْسَانُ ذَلِكَ فِيْ قَلْبِهِ عَرَفَ أَنَّ مَا يَلُمُّ بِهِ مِنْ أَكْدَارِ الحَيَاةِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَسْبَابِ الحَيَاةِ، وَأَنَّ هَذِهِ الأَكْدَارَ يَحْمِلُهَا النَّهْرُ عَنْهُ فِيْمَا يَحْمِلُ. **[على المتقارب]**

تَرَى النَّهْرَ يَنْسَابُ عَنْ شَاطِئٍ	لِيُجْرِيَهُ الشَّاطِئُ الْمُسْتَقِرُّ
كَذَا يَتَدَافَعُ بَحْرُ الحَيَاةِ	فَإِنَّ لَهُ رَحْمَةَ اللهِ بَرُّ
لَآمَنْتُ يَا رَبِّ مِثْلَ الصَّغِيْرِ	وَرَاءَ الوُجُوْدِ أَبُوْهُ الأَبَرُّ
نَفِرُّ مِنَ الهَمِّ فِيْ زَعْمِنَا	وَلَكِنَّهُ هُوَ مِنَّا يَفِرُّ
وَمُنْذُ رَأَى فِيْ السَّمَاءِ الغُيُوْمَ	تُقِيْمُ بِهَا أَبَدَاً لَا تَمُرُّ؟

~~~

وَهَلْ فِيْ الوُجُوْدِ سِوَى سَائِرٍ	تَدَافَعَ: شَيْءٌ لِشَيْءٍ يُجَرُّ؟
فَمَنْ عَرَفَ الكَوْنَ عِرْفَانَهُ	فَفِيْ كُلِّ حَالٍ لَهُ مَا يَسُرُّ

---

(1) لم تنشر من قبل في كتاب.
~~~

تَعِيْشُ عَلَى الأَرْضِ جُرْذَانُهَا   فَكَيْفَ تَعِيْشُ وَفِيْ الأَرْضِ هِرُّ؟

لَعَمْرُكَ مَا تَسْتَقِرُّ الهُمُوْمُ   عَلَى مُؤْمِنٍ رُوْحُهُ فِيْهِ حُرُّ

وَمَنْذَا رَأَى فِيْ السَّمَاءِ الغُيُوْمَ   تُقِيْمُ بِهَا أَبَداً لَا تَمُرُّ

~~~

وَفِيْ الدَّهْرِ يُسْرٌ وَفِيْ الدَّهْرِ عُسْرٌ   وَفِيْ العُمْرِ حُلْوٌ وَفِيْ العُمْرِ مُرُّ

وَلَكِنَّهَا حَرَكَاتُ الحَيَا   ةِ مِنْهَا الحَيَاةُ لَنَا تَسْتَمِرُّ

وَيَأْتِيْ الشِّتَا أَغْبَراً كَالِحَاً   لِأَنَّ الرَّبِيْعَ بِهِ مُسْتَسِرُّ

فَلَا دَامَ فِيْ نَفْعِهِ نَافِعٌ   وَلَا دَامَ فِيْ ضُرِّهِ مَا يَضُرُّ

وَمَنْذَا رَأَى فِيْ السَّمَاءِ الغُيُوْمَ   تُقِيْمُ بِهَا أَبَداً لَا تَمُرُّ؟

~~~

فَكُنْ مَرِحَاً لَا تَقِرُّ الأَسَى   فَعَادَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُقِرُّ

وَمَا سِرُّ حَظِّكَ إِلَّا لَدَيْكَ   بَلَى، فَرَحُ القَلْبِ لِلْحَظِّ سِرُّ

تَعُوْدُ الحَيَاةُ هَلَاكَاً لِمَنْ   أَرَادَ الحَيَاةَ عَلَى مَا يُصِرُّ

فَخُذْهَا حَصَىً إِنْ تَكُنْ مِنْ حَصَى   وَدُرَّاً إِذَا كَانَ فِيْ الحَظِّ دُرُّ

وَمَنْذَا رَأَى فِيْ السَّمَاءِ الغُيُوْمَ   تُقِيْمُ بِهَا أَبَداً لَا تَمُرُّ؟

~~~

وَلَا تَزِدِ الشَّرَّ فِيْ وَهْمِهِ   بِوَهْمِكَ، ذَانَكَ شَرٌّ وَشَرُّ

خِفَافُ السَّحَابِ تُطِيْرُ البُرُوْقَ   وَتَرْمِيْ الصَّوَاعِقَ إِذْ تَكْفَهِرُّ
~~~

وَهَــــذِيْ الهُمُــــوْمُ كَمِثْــــلِ النِّسَــــاءِ يُضَــــــاعِفُهُنَّ خَيَـــــــالٌ يَغُــــــرُّ

حَصَــــاةٌ وَيَثْقُــــلُ بِالقَلْــــبِ مِـــــنْ تَوَهُّمِهَـــــــا جَبَـــــــلٌ مُشْــــــمَخِرُّ

وَمَنْـــــذَا رَأَى فِيْ السَّــــمَاءِ الغُيُــــوْمَ تُقِــــيْمُ بِهَــــا أَبَـــــدَاً لَا تَمُــــــرُّ؟

قصيدة: قلبي.. يا قلبي

[مجلة المقتطف، 16 شوال 1352 - 1 شباط 1934][1]

[على البسيط]

قَلْبِيْ، أَأَنْتَ نَصِيْرِيْ فِيْ مَحَبَّتِهَا   أَمْ أَنْتَ يَا قَلْبُ فِيْهَا بَعْضُ أَعْدَائِيْ؟

كُلُّ الَّذِيْ فِيْكَ مِنْ بُرْئِيْ وَعَافِيَتِيْ   هُوَ الَّذِيْ فِيْكَ مِنْ سُقْمِيْ وَمِنْ دَائِيْ

~~~

يَا رَحْمَتَا لَكَ مِنْ قَلْبٍ كَصَوْمَعَةٍ   فِيْ رَأْسِ شَاهِقَةٍ فِيْ جَوْفِ صَحْرَاءِ

شِيْدَتْ مِنَ الصَّخْرِ لَكِنْ مِنْ طَهَارَتِهَا[2]   هِيَ الغَمَامَةُ قَدْ شِيْدَتْ مِنَ الْمَاءِ

[تَطْوِيْ مَعَانِيَ هَذِيْ الأَرْضِ فِيْ كَلِمٍ   كَالطِّفْلِ عَالَمُهُ فِيْ بَعْضِ أَسْمَاءِ][3]

فَالْمَوْتُ فِيْهَا بِلَا مَعْنَىً يُمِيْتُ كَمَا   فِيْهَا الحَيَاةُ بِلَا مَعْنَىً لِإِحْيَاءِ[4]

~~~

يَا حَسْرَتَا لَكَ مِنْ قَلْبٍ تَقَلَّبَ مِنْ   جُوْعٍ لِجُوْعٍ وَإِظْمَاءٍ لِإِظْمَاءِ

---

(1) لم تنشر من قبل في كتاب. ونشرها أيضا محمد سعيد العريان في مجلة الرسالة (العدد 216)، بتاريخ: [16 جمادى الأخرى 1356 - 23 آب 1937].

(2) في الرسالة: فِيْ.

(3) لم يرد هذا البيت في الرسالة.

(4) في الرسالة: لِأَحْيَاءِ.

عِنْـــدَ الأَحِبَّـــاءِ لَا يَأْلُـــوْ مُنَازَعَـــةً وَإِنْ تَكُـــنْ رُوْحُـــهُ عِنْـــدَ الأَحِبَّـــاءِ

نَاءٍ قَـــدِ ازْوَرَّ عَـــنْ نَاءٍ وَمَـــا ابْتَعَـــدَا لَكِـــنْ مُعَانِـــدُ مَـــنْ يَهْـــوَى هُـــوَ النَّـــائِيْ

يَظَـــلُّ ذَاكِـــرَ حُـــبٍّ غَـــيْرَ مُحْتَفِـــلٍ ذِكْـــرَى، وَنَاسِـــيَ حُـــبٍّ غَـــيْرَ نَسَّـــاءِ

~~~

أَوْفَى بِـكَ الحُـبُّ يَا قَلْـبِيْ عَلَـى زَمَـنٍ كَـالأَرْضِ بَعْـدَ حَصَـادِ الـزَّرْعِ لِلرَّائِـيْ

سَـــوْدَاءَ شَـــعْثَاءَ مُغْـــبَرّاً جَوَانِبُهَـــا مِـــنْ بَعْـــدِ لَفَّـــاءَ رَيَّا النَّبْـــتِ خَضْـــرَاءِ

قَلْـبِيْ، أَئِـنْ[1] بِـتَّ مَطْـوِيّاً عَلَـى حُـرَقٍ مِـــنَ الصَّـــبَابَةِ تُطْفِيْهَـــا بِإِطْفَـــاءِ؟

وَيْـــكَ اتَّئِـــدْ، إِنَّ نِـــيْرَانَاً تُحْـــرِقُنِيْ فِيْ حُبِّهَـــا، هِـــيَ نِـــيْرَانِيْ وَأَضْـــوَائِيْ

~~~

يَا بُـؤْسَ لِلْقَلْـبِ مِـنْ هَجْـرٍ عَرَفْـتُ بِـهِ ثُقْـلَ الزَّمَـانِ عَلَـى قَلْـبِيْ وَأَحْشَـائِيْ

يَمُـــرُّ يَـــوْمٌ فَيَـــوْمٌ فِيْ تَسَلْسُـــلِهِ وَالحُـبُّ حَابِسُـنِيْ[2] فِيْ يَـوْمِ أَخْطَـائِيْ

مِثْـلَ الضَّـبَابِ عَلَـى الأَنْـوَارِ يَتْرُكُهَـا مَرْضَـى مِـنَ النُّـوْرِ قَـدْ حُمَّـتْ بِظَلْمَـاءِ

وَشُـقَّةُ الهَجْـرِ تَمْضِـيْ لَا انْتِهَـاءَ لَهَـا إِذَا الـدَّلَالُ مَشَـى فِيْهَـا بِإِبْطَـاءِ!!

~~~

قَلْـبِيْ، أَأَنْـتَ نَصِـيْرِيْ فِيْ مَحَبَّتِهَـا أَمْ أَنْـتَ يَا قَلْـبُ فِيْهَـا بَعْـضُ أَعْـدَائِيْ؟

كُـلُّ الَّـذِيْ فِيْـكَ مِـنْ بُرْئِـيْ وَعَـافِيَتِيْ هُـوَ الَّـذِيْ فِيْـكَ مِـنْ سُـقْمِيْ وَمِـنْ دَائِـيْ

---

(1) في الرسالة: إِنْ.

(2) في الرسالة: جَالَسَنِيْ.
~~~

القسم الثالث:

القطع والنتف

قال الأستاذ محمد رشيد رضا[1]: رُفِعَ إِلَى الأُسْتَاذِ قَصَائِدُ كَثِيْرَةٌ جِدًّا تُهَنِّئُهُ بِقُدُوْمِهِ مِنْ مَصْيَفِهِ فِيْ الآسِتَانَةِ وَأُوْرُوبَّا، وَرَغِبَ إِلَيْنَا كَثِيْرُوْنَ مِمَّنْ نَعْرِفُهُمْ مِنْ نَاظِمِيْهَا أَنْ نَنْشُرَ قَصَائِدَهُمْ، وَلَيْس نَشْرُ الْمَدَائِحِ مِنْ شَأْنِ (الْمَنَارِ)؛ وَلَكِنَّنَا نُشِيْرُ إِلَى بَعْضِ القَصَائِدِ بِبَعْضِ أَبْيَاتٍ مِنْهَا لِاعْتِبَارَاتٍ لَنَا فِيْهَا... وَمِنْ قَصِيْدَةٍ لِلشَّابِ اللَّوْذَعِيّ مُصْطَفَى صَادِقٍ أَفَنْدِيّ الرَّافِعِيّ الكَاتِبِ بِمَحْكَمَةِ شَبِيْنِ الكَوْمِ: **[على الكامل]**

وَالصُّــــبْحُ مَيْمُــــوْنُ الطَّلِيْعَــــةِ قَــــادِمٌ	مِثْــــلُ (الإِمَــــامِ) بِطَلْعَــــةٍ زَهْــــرَاءِ
يَجْلُــــوْ الظَّــــلَامَ كَمَــــا تَجَلَّــــى هَدْيُــــهُ	فَأَضَــــاءَ كُــــلَّ سَــــرِيْرَةٍ ظَلْمَــــاءِ
تَزْهُــــوْ السَّــــمَاءُ بِشَمْسِــــهَا وَ(مُحَمَّــــدٌ)	فِيْ الأَرْضِ شَمْــــسُ الْمِلَّــــةِ السَّــــمْحَاءِ

قال الرافعي[2]: **[على المجتث]**

السَّــــعْدُ فِيْ فُلْــــكِ الــــنَّحْسِ	بَالِــــغٌ مِنْــــهُ حُزْنُــــهُ
أَنَّى تَقَلَّــــبَ فِيْ الأُفْــــقِ	فَهُــــوَ وَاللَّــــوْنُ لَوْنُــــهُ
مِثْــــلُ الغُــــرَابِ سَــــوَاءٌ	ظَهْــــرُ الغُــــرَابِ وَبَطْنُــــهُ

---

(1) مجلة المنار (العدد 14، السنة 4)، بتاريخ: [16 جمادى الأخرى 1319 - 29 أيلول 1901]؛ والأبيات لم تنشر من قبل في كتاب.

(2) هي في مقالات الرافعي المجهولة في اللغة والأدب (53/1).

قال الرافعي[1]: **[على الوافر]**

وَأَوَّلُ رَأْيِـــــــــــكَ أَنْ تَسْــــــــــــتَفِيْدَ وَآخِـــــــرُ رَأْيِـــــــكَ أَنْ تَجْتَهِـــــــدْ

قال الرافعي في مطلع قصيدة له[2]: **[على الكامل]**

فَـــاضَ البَيَـــانُ عَلَـــى فَمِـــيْ وَتَحَـــيَّرَا حَــــتَّى لَهَــــمَّ القَلْـــبُ أَنْ يَتَحَـــدَّرَا

قال الرافعي في مطلع قصيدة له[3]: **[على الطويل]**

نَسَــوا بُؤْسَــنَا لَمَّــا نَسِــيْنَا نَعِــيْمَهُمْ فَيَـــا رَبِّ مَـــا حُكْـــمُ القَضَـــا بِظَلُـــوْمِ

قال الرافعي[4]: **[على الطويل]**

وَلَمَّـــا الْتَقَيْنَـــا ضَـــمَّنَا الحُـــبُّ ضَـــمَّةً بِهَـــا كُـــلُّ مَـــا فِيْ مُهْجَتَيْنَـــا مِـــنَ الحُـــبِّ

وَشَـــدَّ الهَـــوَى صَـــدْرَاً لِصَـــدْرٍ كَأَنَّمَـــا يُرِيْـــدُ الهَـــوَى إِنْفَـــاذَ قَلْـــبٍ إِلَى قَلْـــبِ

---

(1) هو في رسائل الرافعي (ص 53)؛ بتاريخ: [10 صفر 1336 - 25 تشرين الثاني 1917].

(2) مجلة خيال الظل (مج231/2)؛ نقلا عن زهير أحمد ظاظا.

(3) مجلة خيال الظل (مج219/2)؛ نقلا عن زهير أحمد ظاظا.

(4) مجلة المقتطف، بتاريخ: [16 رمضان 1341 - 1 أيار 1923]؛ وهما في وحي القلم (1015/3).

قال الرافعي[1]: **[على الخفيف]**

يَا رِيَاضَ الغَــزَالِ فِيْ سَــرْجِكَ الفَيْــ نَـانِ يَهْفَـوْ بِنَـا النُّحُـوْلُ غُصُـوْنَا[2]

مَـا الَّـذِيْ يَجْعَـلُ الْمُحِـبَّ سَـعِيْدَاً غَـيْرُ مَـنْ غَـادَرَ الْمُحِـبَّ حَزِيْنَـا

لَيْتَــنِي فِيْ ثَــرَاكِ نَبْــعٌ وَيَأْتِيْ يَـتَرَاءَى الغَــزَالُ فِيْ النَّبْـعِ حِيْنَـا

لَيْتَــنِيْ فِيْ رُبَاكِ ظِــلٌّ ظَلِيْــلٌ لِيَلُــوْذَ الغَــزَالُ بِيْ وَيَلِيْنَـا

بَعْــدَ مَــا كُنْــتَ يَا غَــزَالُ وَكُنَّـا مَـا الَّـذِيْ تَحْسَـبُ الهَـوَى أَنْ يَكُـوْنَا؟

قال الرافعي[3]: **[على الوافر]**

وَمِـلْءُ شُـعَاعِ هَـذَا السَّـيْفِ قَتْـلٌ وَمِـلْءُ جَمَـالِ هَـذَا الحُسْـنِ ذُلُّ

وَلَـوْلَا سَـطْوَةُ الأَقْـدَارِ فِيْمَـا يُحِـبُّ النَّـاسُ كَـانَ النَّـاسُ مَلُّـوا

فَـإِنْ كَثُـرُوا يَقِلُّـوا كَـيْ يَعُـوْدُوا كِثَـارَاً، ثُمَّ إِنْ كَثُـرُوا يَقِلُّـوا

مَسَـائِلُ مَـا لَهَـا حَـلٌّ وَلَكِـنْ إِذَا نُسِـيَتْ فَفِـيْ النِّسْـيَانِ حَـلُّ

---

(1) هي في رسائل الأحزان (ص 23).

(2) أَصْلُ (الفَيْنَانِ): الحَسَنُ الشَّعْرِ الطَّوِيْلُهُ، وَاسْتُعِيْرَتْ هُنَا لِلشَّجَرِ.

(3) هي في رسائل الأحزان (ص 99 - 100).

قال الرافعي[1]: **[على الطويل]**

فَيَـا كَبِـدِيْ مِمَّـا أُلَاقِـيْ مِـنَ الهَـوَى ... ...

قال الرافعي[2]: **[على البسيط]**

كَـمْ أَسْـأَلُ الـدُّرَّ عَـنْ مَعْنَـاكِ بَاسِمَـةً وَالـوَرْدَ عَـنْ لَفْظَـةٍ قَـدْ أَطْبَقَـتْ فَـاكِ

لَا الـدُّرُّ يَـدْرِيْ وَلَا فِيْ الـوَرْدِ لِيْ خَـبَرٌ أَرْوِيْـهِ عَـنْ شَـفَتَيْكِ أَوْ ثَنَـايَاكِ

يَا نَجْمَـةً أَنَا فِيْ أَفْلَاكِهَـا قَمَـرٌ مِـنْ جَـذْبِهَا لِيَ قَـدْ أَضْـلَلْتُ أَفْلَاكِـيْ

النَّـارُ بِالنَّـارِ لَا تُطْفَـى إِذَا اتَّصَـلَتْ فَكَيْـفَ أَصْـنَعُ فِيْ قَلْـبِيْ لِيَنْسَـاكِ؟

قال الرافعي[3]: **[على البسيط]**

يَا مَـنْ عَلَـى الحُـبِّ يَنْسَـانَا وَنَـذْكُرُهُ لَسَـوْفَ تَـذْكُرُنَا يَوْمَـاً وَنَنْسَـاكَا

إِنَّ الظَّـلَامَ الَّـذِيْ يَجْلُـوْكَ يَا قَمَـرُ لَـهُ صَـبَاحٌ مَـتَى تُدْرِكْـهُ أَخْفَاكَـا

---

(1) هو في رسائل الأحزان (ص 146).

(2) هي في رسائل الأحزان (ص 162).

(3) هما في السحاب الأحمر (ص 36).

قال الرافعي[1]: **[على المتقارب]**

وَمَـــاذَا بِمِصْـــرٍ مِـــنَ الْمُضْـــحِكَاتِ ... وَحَسْـــبُكَ طَـــه حُسَـــيْنٌ بِهَـــا

وَلَكِنَّـــــهُ ضَـــــحِكٌ كَالبُكَـــا ... عَلَـــى عِلْمِهَـــا وَعَلَـــى كُتْبِهَـــا

قال محمود أبو ريه[2]: كَانَ بَيْنَ الرَّافِعِيّ وَبَيْنَ الدَّكْتُوْرِ شَخَاشِيْرِيّ صَدَاقَةٌ وَثِيْقَةٌ، وَلَمَّا احْتَسَبَ طِفْلَاً لَهُ لَمْ يُجْدِ فِيْهِ طِبُّ أَبِيْهِ وَلَا عِلْمُهِ، وَخَرَّ العِلْمُ وَالطِّبُّ عَلَى أَقْدَامِ الْمَوْتِ= جَرَى عَلَى لِسَانِ الوَالِدِ الحَزِيْنِ هَذَا البَيْتُ مِنَ الشِّعْرِ:

أَيْـــنَ السَّـــعَادَةُ وَالأَيَّامُ تَأْبَاهَـــا ... مَـــرَّتْ عَلَيْنَـــا فَلَـــمْ نَشْـــعُرْ بِمَجْرَاهَـــا

وَبَعَثَ بِهَذَا البَيْتِ إِلَى صَدِيْقِهِ الرَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللهُ، فَأَجَابَهُ بِالأَبْيَاتِ الحَكِيْمَةِ التَّالِيَةِ: **[على البسيط]**

اللهُ أَوْجَـــدَهَا لِلنَّـــاسِ قَاطِبَـــةً ... فَمَـا الَّـذِيْ عَـنْ جَمِيْـعِ النَّـاسِ أَخْفَاهَـا

لَا ذَلِـكَ الْمَـالُ سَـوَّاهَا لَنَـا ذَهَبَـاً ... وَلَا مِـنَ الطِّـيْنِ هَـذَا الفَقْـرُ سَـوَّاهَا

وَالعُمْـرُ فِيْ وَهْمِهَـا ضَـاعَتْ حَقَائِقُـهُ ... كَأَنَّمَـا هِـيَ تَحْيَـا بَـيْنَ مَوْتَاهَـا

فَسَـلْ صِـغَارَ الـوَرَى عَـنْ هَـمِّ أَوَّلِهَـا ... وَسَـلْ شِـيُوْخَ الـوَرَى عَـنْ هَـمِّ أُخْرَاهَـا

إِنَّ السَّـعَادَةَ أَنْ تَرْضَـى بِـلَا غَضَـبٍ ... وَكَيْـفَ ذَاكَ بِـدُنْيَا لَسْـتَ تَرْضَـاهَا

---

(1) هما في تحت راية القرآن (ص 115).

(2) رسائل الرافعي (ص 129 الحاشية).

قال الرافعي في مطلع قصيدة له[1]: **[على البسيط]**

النِّيْــــلُ أَمْ نَجْــــمٌ تَرَجْــــرَجَ ذَائِبَــــاً يَسْــقِيْ الــوَرَى مَــاءً مِــنَ الأَنْــوَارِ

قال الرافعي[2]: **[على البسيط]**

وَهَـلْ نَمَـا قَـطٌّ فِيْ غُصْـنٍ عَلَـى شَـجَرٍ فِجْــــلٌ وَثُــــوْمٌ وَكُــــرَّاثٌ وَأَبْصَــــالُ

قال الرافعي[3]: **[على البسيط]**

فَإِنَّــــهُ سَــــيْفُ نَجَّــــارٍ!!! تَقَلَّــــدَهُ مَــنْ زِنْــدُهُ عَضَــلَاتٌ مِــنْ شَــرَامِيْطِ

قال الرافعي[4]: **[على الكامل]**

فَيَجِــيْءُ جَلْجَــلُ جَلْجَــوْتَ جَلْجَلَــتْ يَضَــعُ القُطَــيْرَةَ فِيْ السُّــلَيْكِ لَــدَيْكِ!

---

(1) هو في رسائل الرافعي (ص 179 الحاشية).

(2) مجلة العصور (العدد: 23)، بتاريخ: [24 محرم 1348 - 1 تموز 1929]؛ وهو في على السفود (ص 73 الحاشية). وانظر المصدر لزوما.

(3) مجلة العصور (العدد: 24)، بتاريخ: [25 صفر 1348 - 1 آب 1929]؛ وهو في على السفود (ص 92).

(4) مجلة العصور (العدد: 29)، بتاريخ: [1 شعبان 1348 - 1 كانون الثاني 1930]؛ وهو في على السفود (ص 192). وانظر المصدر لزوما.

قال الرافعي(1): **[على الوافر]**

وَلِلسَّـــــفُّوْدِ نَارٌ لَـــــوْ تَلَقَّـــــتْ ... بِجَاحِمِهَـــا حَدِيْـــدَاً ظُـــنَّ شَـــحْمَا
وَيَشْـــوِيْ الصَّـــخْرَ يَتْرُكُـــهُ رَمَـــادَاً ... فَكَيْـــفَ وَقَـــدْ رَمَيْتُـــكَ فِيْـــهِ لَحْمَـــا

قال الرافعي(2): **[على البسيط]**

تَاللهِ لَـــوْ جَـــدَّدُوا لِلْبَـــدْرِ تَسْـــمِيَةً ... لَأُعْطِـي اسْمَـكِ يَا مَـنْ تَعْشَـقُ الْمُقَـلُ
كِلَاكُمَـــا الحُسْـــنُ فَتَّـــانَاً بِصُـــوْرَتِهِ ... وَزِدْتِ أَنَّـــكِ أَنْـــتِ الحُـــبُّ وَالغَـــزَلُ

قال الرافعي(3): **[على الطويل]**

وَكَـــمْ حَـــارَ عُشَّـــاقٌ وَلَا مِثْـــلَ حَـــيْرَتِيْ ... إِذَا شِـــئْتُ يَوْمَـــاً أَنْ أَسَـــوْءَ حَبِيْـــبِيْ
وَهَـــلْ لِيْ قَلْـــبٌ غَـــيْرُ قَلْـــبِيْ يَسُـــوْؤُهُ ... وَيَأْخُـــذُ لِيْ فِيْ الكِـــبْرِيَاءِ نَصِـــيْبِيْ؟
أَلَا لَيْـــتَ لِيْ قَلْبَـــيْنِ: قَلْـــبٍ بِحُبِّـــهِ ... مَـــرِيْضٌ، وَقَلْـــبٍ بَعْـــدَ ذَاكَ طَبِيْـــبِيْ
وَيَا لَيْـتَ لِيْ نَفْسَـيْنِ: مِـنْ رِئْـمِ رَوْضَـةٍ ... أَلُـــوْفٍ، وَمِـــنْ ذِيْ لِبْـــدَتَيْنِ غَضُـــوْبِ
وَكَيْـــفَ بِقَلْـــبٍ وَاحِـــدٍ أَحْمِـــلُ الهَـــوَى ... عَجِيْبَـــاً عَلَـــى طَبْعِـــيْ وَغَـــيْرَ عَجِيْـــبِ

---

(1) على السفود (ص 49).
(2) هما في أوراق الورد (ص 29).
(3) هي في أوراق الورد (ص 44).

فَـــوَاللهِ إِنَّ الحُـــبَّ خَـــيْرُ مَحَاسِـــنِيْ وَاللهِ إِنَّ الحُــــــبَّ شَـــــرُّ عُيُــــوْبِيْ

قال الرافعي[1]: **[على السريع]**

يُدَمْـــدِمُ الحُـــبُّ عَلَـــى قَلْبِـــهِ كَأَنَّـــــهُ فِيْ نَفْسِـــــهِ يَنْهَـــــدِمْ[2]

بِرَجْفَــــــةٍ حَامِلُهَــــــا لَمْ يَــــزَلْ مُمَزَّقَــــــاً فِيْ القَلْـــــبِ لَا يَلْتَـــــئِمْ

زَلَازِلُ البُرْكَــــانِ لَمَّــــا دَعَــــتْ أَنْ سَـــئِمَتْ بُرْكَانَهَــــا الْمُحْتَــــدِمْ

أَجَابَهَــــــا اللهُ أُلْطُفِــــيْ وَارْجُفِــــيْ مِـــنْ شَـــفَتَيْ مَحْبُوْبَـــةٍ تَبْتَسِـــمْ...!

قال الرافعي[3]: **[على المديد]**

آهِ لَـــــوْ أَسْـــــطِيْعُ أَنْ أَخْرِجَهَـــــا مِـــنْ زَمَـــانِيْ، إِنَّـــنِيْ لَا أَسْـــتَطِيْعُ

آهِ لَـــــوْ أَسْـــــطِيْعُ أَنْ أُدْخِلَهَـــــا فِيْ حَيَـــاتِيْ، إِنَّـــنِيْ لَا أَسْــــتَطِيْعُ

قَــــــدَّرَتْ قُـــــدْرَتَهَا فِيَّ... فَــــلَا أَسْــــتَطِيْعُ قُــــدْرَةً لَا أَسْــــتَطِيْعُ...

كُــلُّ مَــنْ يَكْــذِبُ فِيْ الحُــبِّ قَــدَرْ[4] إِنْ أَطَـــاقَ الحُــــبَّ -وَاللهِ- غَـــدَرْ

---

(1) هي في أوراق الورد (ص 79).

(2) أَصْلُ الدَّمْدَمَةِ: الغَضَبُ، وَدَمْدَمَ عَلَيْهِ: إِذَا كَلَّمَهُ مُغْضَبَاً؛ وَالْمُرَادُ هُنَا: عُنْفُ الحُبِّ فِيْ هَزِّ القَلْبِ مِنِ اهْتِيَاجِهِ وَشِدَّتِهِ كَأَنَّهُ مُسَلَّطٌ عَلَيْهِ يَهْدِمُهُ.

(3) هي في أوراق الورد (ص 88).

(4) الْمُحِبُّ الصَّادِقُ لَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى أَنْ يُحِبَّ، وَالكَاذِبُ يَقْدِرُ عَلَى مَا شَاءَ...

وَصَـــحِيْحُ الحُـــبِّ حُبُّـــهُ هَـــدَرْ كُـــلُّ مَـــا يَسْـــطِيْعُ أَنْ لَا يَسْـــتَطِيْعْ

قال الرافعي[1]: **[على الخفيف]**

يَا حَبِيْبَـــاً إِذَا حَنَنْـــتُ إِلَيْـــهِ حَـــنَّ فِيْ رِقَّـــتِيْ عَلَيْـــهِ حَنِيْـــنِيْ[2]

أَنْـــتَ شَخْصَـــانِ فِيْ الفُـــؤَادِ: فَشَـــخْصٌ عِنْـــدَ ظَـــنِّيْ، وَآخَـــرُ فِيْ يَقِيْـــنِيْ

وَاحِـــدٌ كَيْـــفَ شِـــئْتَ أَنْـــتَ، وَثَانٍ كَيْفَمَـــا شِـــئْتُهُ أَنَا وَظُنُـــوْنِيْ

لَا بِهَـــذَا رَحِمْتَـــنِيْ أَوْ بِهَـــذَا بَـــلْ بِعَقْلِـــيْ عَـــذَّبْتَنِيْ وَجُنُـــوْنِيْ!

أَمَلِـــيْ فِيْـــكَ كَالخَيَـــالِ عَلَـــى الْمِـــرْآ ةِ كِـــذْبٌ مُصَـــوَّرٌ لِلْعُيُـــوْنِ

قال الرافعي[3]: **[على الطويل]**

تَحَـــيَّرَ قَلْـــبِيْ وَهْـــوَ مُمْتَلِـــئٌ بِهَـــا كَمَـــا يَمْـــلَأُ الْمِـــرْآةَ نَاظِرُهَـــا ظِـــلَّا

بِأَيِّ مَكَـــانٍ فِيْـــهِ قَـــدْ حَـــلَّ شَخْصُـــهَا وَأَيَّ مَكَـــانٍ شَخْصُـــهَا فِيْـــهِ مَـــا حَـــلَّا؟

---

(1) هي في أوراق الورد (ص 125).

(2) أَيْ لِحَنِيْنِه فِيْ الرِّقَةِ وَالوَجْدِ حَنِيْنٌ أَيْضَاً، كَأَنَّه صَوْتٌ عَلَيْهِ مَعَانِيْ البُكَاءِ.

(3) هما في أوراق الورد (ص 140).

قال الرافعي[1]: **[على المتقارب]**

لَهَفِــــــيْ لِأَشْـــــجَارِ الْمَحَبَّــــةِ مَــــــــرَّ فَصْــــــــلُ رَبِيْعِهَــــــا
جَــــــدَّ الهَـــــوَى فِيْ عِرْسِـــــهَا لِيَجِــــــــدَّ فِيْ تَقْطِيْعِهَــــــا...!
كُـــــلُّ الفُتُــــوْقِ لَهَـــا الرِقَـــاعُ تَـــــــرُمُّ مِـــــــنْ تَصْــــــدِيْعِهَا
وَإِذَا تَمَزَّقَــــــــتِ الْمَحَبَّـــــــــةُ حِــــــــرْتَ فِيْ تَرْقِيْعِهَــــــا...!

قال الرافعي[2]: **[على الكامل]**

حَيَّــــا وَسَــــلَّمَ ثُمَّ صَـــافَحَ تَارِكَـــاً يَـــدَهُ عَلَـــى الكَبِـــدِ الَّـــتِي أَدْمَاهَـــا
وَأَتَـــى لِيَعْتَـــذِرَ الغَـــزَالُ، وَلَجْلَجَـــتْ كَلِمَــاتٌ فِيْـهِ[3]، فَفِـيْ فَمِـيْ أَخْفَاهَـا
وَدَنَا لِيَغْــــتَرِفَ الهَــــوَى، فَتَهَالَكَــــتْ أَسْــــرَارُهُ، فَرَمَـــتْ بِـــهِ فَرَمَاهَـــا...
قَلْـــبُ الحبيـــب مَـــتَى تَكَلَّـــمَ لَمْ تَجِـــدْ كَلِمَـــاً، وَلَكِـــنْ أَذْرُعَـــاً وَشِـــفَاهَا...

---

(1) هي في أوراق الورد (ص 159).

(2) هي في أوراق الورد (ص 164 - 165).

(3) اللَّجْلَجَةُ: التَّرَدُّدُ فِيْ الكَلَامِ وَتَكْرِيْرُ بَعْضِ أَلْفَاظِهِ وَمَقَاطِعِهِ، قَالَ الطَّيْفُ: أَنَا أَنَا أَنَا لَمْ لَمْ لَمْ لَمْ... وَهَذَا التَّلَجْلُجُ يَكُوْنُ مِنْ حِدَّةِ العَاطِفَةِ، وَإِذْهَالِهَا الفِكْرَ.

قال الرافعي[1]: **[على الطويل]**

وَبِيْ زَهْـرَةٌ فِيْ جَانِـبِ النِّيْـلِ قَـدْ نَمَـتْ ... فَـرَفَّ عَلَيْهَـا إِذْ يَـرُوْحُ وَإِذْ يَغْـدُوْ

لَطَافَتُـهُ فِيْ طَبْعِهَـا الحُـبُّ وَالرِّضَـا ... وَتَيَّـارُهُ فِيْ طَبْعِهَـا الهَجْـرُ وَالصَّـدُّ

وَيَحْكِـيْ وَفَـاءَ النِّيْـلِ فَـيْضُ وُعُوْدِهَـا ... وَيَا شَـدَّ مَـا يَـنْحَطُّ مِـنْ بَعْـدِهَا الوَعْـدُ

وَفِيْ زَمَـنٍ تَصْـفُوْ عَلَـيَّ كَمَـا صَـفَا ... وَفِيْ زَمَـنٍ مَـا مِـنْ (تَكَـدُّرِهَا) بُـدُّ

وَاللهِ ثُمَّ اللهِ، إِنَّ حَـــلَاوَةً ... مِـنَ النِّيْـلِ لِلْعَيْنَـيْنِ فِيْ فَمِهَـا تَبْـدُوْ

وَإِنِّيْ وَإِيَّاهْـا عَلَـى ظَمَـأِ الهَـوَى ... أَنَا الفُـمُ هَـذَا الهَـوَى وَهِـيَ الخَـدُّ

قال الرافعي[2]: **[على البسيط]**

يَا رَاجِيَـاً لُطْـفَ الحِمَـارِ ظَلَمْتَـهُ ... هَـلْ عِنْـدَ رِجْلَيْـهِ سِـوَى رَفَسَـاتِهِ؟!

كُـلُّ الكَـلَامِ يَضِـيْعُ فِي آذَانِـهِ ... مَـا دُمْـتَ لَا تَحْكِيْـهِ فِيْ نَهَقَاتِـهِ

وَالعَقْـلُ تَخْلُقُـهُ العَصَـا فِيْ ظَهْـرِهِ ... ضَـرْبَاً يُـتَرْجِمُ جِلْـدُهُ لَذَعَاتِـهِ

إِنَّ الحِمَـارَ وَإِنْ تَلَقَّـبَ فِيْ الـوَرَى ... بِالْفَيْلَسُـوْفِ... هُـوَ الحِمَـارُ بِذَاتِـهِ!

---

(1) هي في أوراق الورد (ص 179).

(2) مجلة أبولو (العدد 7)، بتاريخ: [5 ذي القعدة 1351 - 1 آذار 1933]؛ وهي أبيات لم تنشر من قبل في كتاب.

قال الرافعي[(1)]: **[على المتقارب]**

أَيَا غَاضِــبَاً مِــنْ صُــرُوْفِ القَضَــا
بِنَفْسِــــكَ تَعْنُــــفُ لَا بِالقَـــدَرْ

وَيَا ضَـــارِباً صَـــخْرَةً بِالعَصَـــا
ضَــرَبْتَ العَصَــا أَمْ ضَــرَبْتَ الحَجَــرْ؟

قال الرافعي[(2)]: **[على مخلع البسيط]**

وَكَسْـــرُ قَلْـــبٍ بِكَسْـــرِ قَلْـــبٍ
وَحَطْـــمُ نَفْـــسٍ بِحَطْـــمِ نَفْـــسِ

وَرُبَّ عِـــــزٍّ تَـــــرَاهُ أَمْسَـــــى
كُنَاسَــــةً هُيِّئَــــتْ لِكَـــنْسِ..!

قال الرافعي[(3)]: **[على الطويل]**

أَضَـاعَ غَـدِيْ مَـنْ كَـانَ فِيْ يَـدِهِ غَـدِيْ
وَحَطَّمَـنِيْ مَـنْ كَـانَ يَجْهَـدُ فِيْ سَـبْكِيْ!

فَـإِنْ كُنْـتُ لَا آسَـى لِنَفْسِـيْ فَمَـنْ إِذَاً؟
وَإِنْ كُنْـتُ لَا أَبْكِـيْ لِنَفْسِـيْ فَمَـنْ يَبْكِـيْ؟

---

(1) مجلة الرسالة (العدد 65)، بتاريخ: [22 جمادى الأخرى 1353 - 1 تشرين الأول 1934]؛ وهما في كلمة وكليمة (ص 89).

(2) مجلة الرسالة (العدد 71)، بتاريخ: [4 شعبان 1353 - 12 تشرين الثاني 1934]؛ وهما في وحي القلم (100/1).

(3) مجلة الرسالة (العدد 73)، بتاريخ: [18 شعبان 1353 - 26 تشرين الثاني 1934]؛ وهما في وحي القلم (261/1).

قال الرافعي[1]: **[على مجزوء الرمل]**

قُـــــــلْ لِعَنْــــــــزٍ نَاطِحَاهَــــــــا ... لِقِتَـــــــــــــــالٍ سَـــــــــــــــلَّحَاهَا

مَــــــا لَهَـــــا قَـــــدْ طَرَحَاهَــــــا ... فِيْ يَـــــــــــدَيْنِ ذَبَحَاهَـــــــــــــا؟

شِــــــــــيْمَةٌ مِــــــــــنِّيْ نَحَاهَـــــــا ... عَقْـــــــــلُ غِـــــــــرٍّ فَلَحَاهَــــــــا

لَــــــيْسَ يَـــــدْرِيْ مَــــــا طَحَاهَــــا ... بَـــــلْ يَــــرَى شَمْـــــسَ ضُــــحَاهَا

حَجَــــــــــرَاً مِثْـــــــــلَ رَحَاهَـــــــا ... وَيَـــــــــــرَى اللَّيْـــــــلَ مَحَاهَـــــــا

ظُلَمَــــــــــــــــاً طَالَــــــــــــــــتْ لِحَاهَــــــــــــــا...

قال الرافعي[2]: **[على البسيط]**

قَـالُوا جُنِنْـتَ بِمَـنْ تَهْـوَى فَقُلْـتُ لَهُـمْ ... مَــــا لَــــذَّةُ العَــــيْشِ إِلَّا لِلْمَجَــــانِيْنِ

العَقْـلُ إِنْ حَكَـمَ العُشَّـاقُ أَثْقَـلُ مِـنْ ... فَقْـــــرٍ تَحَكَّـــــمَ فِيْ رِزْقِ الْمَسَـــــاكِيْنِ

---

(1) مجلة الرسالة (العدد 127)، بتاريخ: [13 رمضان 1354 – 9 كانون الأول 1935]؛ وهي في وحي القلم (710/2).

(2) مجلة الرسالة (العدد 129)، بتاريخ: [27 رمضان 1354 –23 كانون الأول 1935]؛ وهما في وحي القلم (726/2).

القسم الرابع:

الأراجيز

النشيد الوطني

[جريدة الأخبار، 1 ذي الحجة 1338 - 1 أيلول 1920]

قالت جريدة الأخبار الغراء[1]: نُقَدِّمُ إِلَى الأُمَّةِ هَذَا النَّشِيْدَ الْمِصْرِيَّ الفَخْمَ الَّذِيْ وَضَعَهُ ذَلِكَ الشَّاعِرُ فِيْ نُبُوْغِهِ النَّابِغَةُ فِيْ شِعْرِهِ الأَدِيبُ الكَبِيْرُ مُصْطَفَى صَادِقٍ الرَّافِعِيُّ أَفَنْدِيْ. وَهُوَ كَمَا يَرَى القُرَّاءُ صُوْرَةً حَيَّةً لِلشُّعُوْرِ الوَطَنِيِّ الَّذِيْ مَلَكَ الرُّوْحَ الْمِصْرِيَّةَ، بَلْ هُوَ صَرْخَةُ ذَلِكَ الرُّوْحِ وَإِنْ اتَّزَنَتْ كَلَامَاً، وَطَيْفُهُ وَإِنْ تَمَثَّلَ نِظَامَاً، وَهُوَ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى مُوْجَزٌ مِنْ مَجْدِ مِصْرَ الغَابِرَةِ، يُحَفِّزُ هِمَّةَ مِصْرَ الحَاضِرَةِ، وَمَا أَجْدَرَهُ أَنْ يَكُوْنَ نَدَىً عَلَى الأَلْسِنَةِ فِيْ كُلِّ هَاجِرَةٍ. **[على الرجز]**

إِلَى العُــــــــلَا إِلَى العُـــــــلَا بَــــــنِيْ الــــــوَطَنْ
إِلَى العُـــــــلَا كُــــــلَّ فَتَـــــاةٍ وَفَـــــتَىً
إِلَى العُـــــلَا فِيْ كُــــلِّ عَصْــــرٍ وَزَمَــــنْ
فَلَــــنْ يَمُــــوْتَ مَجْــــدُ مِصْــــرٍ لَا وَلَــــنْ

~~~

بِعَــــزْمِ مِصْــــرٍ غَالَــــبَ الــــدَّهْرَ الهَــــرَمْ
وَشَمْــــسُ مِصْــــرٍ تُضْــــرِمُ الــــذَّكَا ضَــــرَمْ

(1) النشيد المصري الوطني (ص 15 - 21)؛ وسيأتي النشيد في القسم الخامس برواية أخرى.
~~~

وَنِيْــــلُ مِصْـــــرٍ يَمْـــــلَأُ الـــــنَّفْسَ كَـــــرَمْ
وَخِصْــــبُ مِصْــــرَ يُطْبَــــعُ الخُلْـــقَ الحَسَــــنْ

~~~

إِلَى الأَمَــــــــامِ لِلْأَمَــــــــامِ لِلْأَمَــــــــامْ
فَهِمَّــــــــةُ الأَنْفُــــــسِ تَـــــدْفَعُ الهُمَــــامْ
نَحْـــــنُ بَنُـــــوْ مِصْـــــرٍ بَنُـــــوْ نَهْـــرِ الغَمَـــامْ
بَنُـــــــوْ أَبِيْ الـــــــدَّهْرِ بَنُـــــوْ أُمِّ الـــــزَّمَنْ

~~~

بَنُــــــوْ العُلُـــــوْمِ وَالفُنُــــوْنِ مِــــنْ قِــــدَمْ
أَيَّامَ لَمْ تَثْبُـــــــــتْ لِدَوْلَـــــــــةٍ قَـــــــدَمْ
أَيَّامَ عِلْـــــــــمُ غَـــــــيْرِنَا دَمْـــــــــعٌ وَدَمْ[1]
وَمَـــــا سِــــــوَى تَـــــوَحُّشِ العَــــالَمِ فَـــــنْ

~~~

رَسَــــــا أَبُــــــوْ الهَــــوْلِ رَكِيْنَــــــاً وَرَبَــــــضْ
رَبْضَـــــــةَ جَبَّــــــارٍ عَلَـــــى الأَرْضِ قَــــبَضْ
فَــــالفَزَعُ الأَكْــــبَرُ يَوْمَــــاً لَـــــوْ نَـــــبَضْ
وَمَسَّـــــــهُ صَـــــبْرُ أَبِيْ الهَــــوْلِ اطْمَــــأَنْ

---

(1) أَيَّامَ كَانَتْ عُلُوْمُ غَيْرِنَا هِيَ الوَحْشِيَّةُ، فَقَوْمٌ مَغْلُوْبُوْنَ لَهَا وَقَوْمٌ غَالِبُوْنَ بِهَا، وَالعَالَمُ آكِلٌ وَمَأْكُوْلٌ، وَلَا مَدَنِيَّةَ إِلَّا مَدَنِيَّةُ مِصْرَ.
~~~

~~~

الصَّـــــبْرُ فِيْ الْمِصْـــــرِيِّ صَـــــبْرٌ وَجَلَـــــدْ

خَلَـــــتْ خُصُـــــوْمُ أَرْضِـــــهِ وَهُـــــوَ خَلَـــــدْ

وَمَـــــا كَمِصْـــــرَ فِيْ الـــــبِلَادِ مِـــــنْ بَلَـــــدْ

ثَـــــرَاهُ لِلطَّـــــاغِيْ وَلِلْبَـــــاغِيْ كَفَـــــنْ

~~~

هَيَّـــــا بِنَـــــا هَيَّـــــا بِنَـــــا إِلَى العُـــــلَا

يَا مِصْـــــرُ لَا نَفْسِـــــيْ وَلَا مَـــــالِيْ وَلَا

أَهْلِـــــيْ وَلَكِـــــنْ أَنْـــــتِ أَنْـــــتِ أَوَّلَا

وَأَنْـــــتِ أَنْـــــتِ كُـــــلُّ سِـــــرِّيْ وَالعَلَـــــنْ

~~~

يَا مِصْـــــرُ كُلُّنَـــــا لِمَجْـــــدِكِ الفِـــــدَا

نَقْتَلِـــــعُ الأَنْجُـــــمَ لَـــــوْ كَانَـــــتْ عِـــــدَى

فَلَـــــنْ تُرَاعِـــــيْ يَا بِـــــلَادِيْ أَبَـــــدَا

لَا عَـــــاشَ مَـــــنْ بِرُوْحِـــــهِ عَلَيْـــــكِ ضَـــــنْ

~~~

فِيْ الجِـــــدِّ لَا نَعْـــــرِفُ ضَـــــعْفًا أَوْ ضَـــــجَرْ

خَلْـــــقٌ مِـــــنَ الحَدِيْـــــدِ أَوْ مِـــــنَ الحَجَـــــرْ

هَيْهَـــــاتَ مَـــــا الأَطْـــــوَادُ فِيْ قَيْـــــدٍ تُجَـــــرْ

فَمَـــــــنْ إِذَنْ يُقَيِّـــــــدُ الأَحْــــــرَارَ مَـــــــنْ

~~~

حُرِّيَّـــــــــةُ الـــــــبِلَادِ عِـــــــزَّةُ الأُمَـــــــــمْ

إِنْ فَقَـــــــدَتْهَا أُمَّـــــــةٌ عَاشَـــــــتْ رِمَـــــــمْ

فِـــــدَا النُّفُـــــوْسِ حُـــــرَّةً فِـــــدَا الـــــذِّمَمْ

فِـــــدَا بِـــــــلَادِيْ أَنَا رُوْحَـــــــاً وَبَـــــــدَنْ

~~~

إِيْمَانُنَـــــــــا كَنِيْسَـــــــــــةً وَمَسْـــــــــــجِدَا

وَكُـــــــلُّ مَـــــــا فِيْ القَلْـــــــبِ حُبَّـــــــاً وَهُـــــدَى

وَكُـــــــلُّ مَـــــــا فِيْ العُمْـــــــرِ يَوْمَـــــــاً وَغَـــــــدَا

وَكُـــــــلُّ مَـــــــا نَمْلِـــــــكُ لِلْمَجْـــــــدِ ثَمَـــــــنْ

~~~

فَلْنُحْـــــــــــيِ فِيْ أَعْمَالِنَــــــــــا أَجْــــــــــدَادَنَا

وَلْنُحْـــــــــــــــــيِ فِيْ آمَالِنَـــــــــــــــا أَوْلَادَنَا

وَلْنَحْـــــــيَ مِصْـــــــرِيِّيْنَ مَهْمَـــــــا اعْتَـــــــادَنَا

وَلْنَحْـــــــيَ مِصْـــــــرِيِّيْنَ وَلْيَحْـــــــيَ الـــــــوَطَنْ
~~~

مطلع الشمس

[مجلة المقتطف، 15 شعبان 1341 – 1 نيسان 1923][1]

الشَّـــــمْسُ طِفْـــــلٌ فِيْ سَـــــرِيْرِ السَّــــحَرِ
عَلَيْـــــهِ سِـــــتْرٌ مِـــــنْ شُـــعَاعِ القَمَــــرِ
لَمَّـــــا تَبَــــاكَى بِـــــدُمُوْعِ الزَّهَــــرَ
غَنَّــــتْ لَـــــهُ الأَطْيَــــارُ فَــــوْقَ الشَّـــجَرِ

~~~

وَيْحَـــــكَ خُـــــذْ لِنَاظِرَيْــــكَ وَانْظُـــــرِ
فَـــــالأُفْقُ مِـــــنْ نُــــوْرِ الحَيَــــاةِ الْمُمْطِــــرِ
يَغْسِـــــلُ مِنْـــــكَ كُـــــلَّ جَـــدْبٍ مُقْفِـــــرِ
حَـــــتَّى تَعُـــــوْدَ كَالنَّهَــــارَ الأَنْـــــوَرِ
وَأَنْـــــتَ فِيْ فَجْـــــرِ الضِّـــــيَا إِنْ تَشْــــعُرِ
أَعَـــــارَكَ الفَجْـــــرُ شَـــــبَابَ العُمُـــــرِ
رِقَّتُـــــهُ كَـــــرُوْحِ مَـــــاءِ النَّهَــــرِ
يَصُـــــبُّهَا مِنْـــــكَ بِمَجْـــــرَى الكَـــــدَرِ
تَنْبُـــــتُ فِيْ الـــــنَّفْسِ بِكُـــــلِّ أَخْضَـــــرِ

---

(1) هي في أغاريد الرافعي (ص 110 – 112).
~~~

مِـــــنَ الْمُـــــنَى يُجْنِيْـــــكَ حُلْـــــوَ الثَّمَـــــرِ

يَا فَجْــــــرُ إِنِّيْ عِنْــــــدَ نَبْــــــعِ القَمَــــــرِ

غَسَـــــلْتُ نَفْسِـــــيْ مِـــــنْ هُمُـــــوْمِ الفِكَـــــرِ

حَـــــتَّى بَـــــدَتْ كَاليَـــــاسَمِيْنِ النَّضِـــــرِ

فَابْعَـــــثْ لَهَـــــا نَفْـــــحَ النَّسِـــــيْمِ العَطِـــــرِ

~~~

يَا أُفْـــــقَ الفَجْـــــرِ بِأَيِّ خَنْجَـــــرِ

مِـــــنْ عَسْـــــكَرِ الكَوَاكِـــــبِ الْمُنْحَـــــدِرِ

جَرَحْــــــتَ إِنَّ الجُــــــرْحَ بَادِيْ الأَثَــــــرْ

وَالشَّـــــرْقُ فِيْـــــهِ كَالـــــدَّمِ الْمُنْفَجِـــــرِ

~~~

أَهْـــــلاً بِأُمِّ النُّـــــوْرِ بِنْـــــتِ القَـــــدَرِ

وَجَـــــدَّةِ الـــــدُّنْيَا الَّـــــتِيْ لَمْ تَكْـــــبُرِ

مُغْنِيَـــــةِ[1] العُمْـــــرِ الَّـــــذِيْ إِنْ يُـــــذْكَرِ

بِالطُّـــــوْلِ، عُـــــدَّ الطُّـــــوْلُ مِثْـــــلَ القِصَـــــرِ

قُـــــدْرَةُ رَبِّ خَـــــالِقٍ مُصَـــــوِّرِ

تَحَوَّلَـــــتْ فِيْ (لَوْحَـــــةٍ) لِمَنْظَـــــرِ

تَمُـــــوْجُ فِيْ تَلْوِيْنِهَـــــا الْمُسْـــــتَعِرِ

---

(1) في أغاريد الرافعي: مُضْنِيَةِ.

كَأَنَّهَــــــا غَمَامَـــــــةٌ مِــــــنْ شَــــــرَرِ

بَـــــلْ حُجَّــــــةُ القَـــــادِرِ الْمُقَـــــــدِّرِ[1]

فِيْ كُــــــلِّ مَعْـــــرُوْفٍ وَكُــــــلِّ مُنْكَــــــرِ

تَصُـــــبُّ مِــــنْ نُـــوْرِ النَّهَـــارِ الْمُسْــــفِرِ

بُرْهَانَهَـــــا فِيْ كُــــلِّ قَلْـــــبٍ مُمْـــــتَرِيْ[2]

تُعَلِّـــــمُ القُلُـــــوْبَ عِلْـــــمَ البَصَـــــرِ

وَتَنْثُـــــرُ الشُّـــــعَاعَ مِثْـــــلَ الإِبَــــــرِ

فِيْ قَلْـــــبِ كُــــلِّ جَاحِــــدٍ وَمُفْــــتَرِيْ

تُـــــزَيِّنُ بِالجَمَــــــالِ كُـــــلَّ نَـــــيِّرِ[3]

فِيْ جَـــــوْهَرِ الأَرْضِ بِحُسْـــــنِ الزَّهَـــــرِ

فِي زَهْــــرَ الأَرْضِ بِحُسْـــــنِ الجَـــــوْهَرِ[4]

فِيْ كُــــلِّ حُسْـــنٍ مِـــنْ بَـــدِيْعِ الصُّـــوَرِ

تَطْلُـــــعُ لِلْأَسْـــــوَدِ مِثْـــــلَ الأَحْمَـــــرِ

تُنِـــــيْرُ لِلْأَبْـــــيَضِ نُـــــوْرَ الأَصْـــــفَرِ

تَضْـــــحَكُ لِلْمُجْـــــرِمِ ضِـــــحْكَةَ الـــــبَرِيْ

مَـــا عِنْـــدَهَا مِـــنْ أَكْـــبَرٍ وَأَصْـــغَرِ

(1) في أغاريد الرافعي: وَالمقْتَدِرِ.

(2) في أغاريد الرافعي: مُفْتَرِيْ.

(3) في أغاريد الرافعي: مِنْبَرِ.

(4) في المجلة: الجَوْهَرِيْ.

بَــــلْ هِـــــيَ كَـــــالأَمِّ لِكُـــــلِّ البَشَـــــرِ

~~~

مُؤْمِنَــــــــــةٌ كَفَــــــــــرَتْ أَمْ لَمْ تَكْفُــــــــــرِ

[تَقِيَّــــــــــةٌ فَجَــــــــــرَتْ أَمْ لَمْ تَفْجُــــــــــرِ

كَالشَّــــــوْقِ لَــــــوْلَا أَنَّهَــــــا لَمْ تَفْــــــتُرِ][1]

كَالحُسْــــــنِ لَــــــوْلَا أَنَّهَــــــا لَمْ تَغْــــــدُرِ[2]

وَقَـــــدْ مَضَـــــتْ فِيْ لَيْلِهَـــــا الْمُعْتَكِـــــرِ

كَنِيَّــــــــــةٍ مَخْبُــــــــــوْءَةٍ فِيْ حَــــــــــذَرِ

وَقَـــــدْ أَتَـــــتْ فِيْ صُـــــبْحِهَا الْمُشْـــــتَهِرِ

كَطَلْعَـــــةِ الظَّـــــافِرِ يَـــــوْمَ الظَّفَـــــرِ

تَبْسُـــــطُ نُـــــوْرَ حُسْـــــنِهَا الْمُنْتَشِـــــرِ

كَأَنَّمَــــــــــا تَمُجُّــــــــــهُ مِــــــــــنْ دُرَرِ

وَيَتَبَــــــــــدَّى نُوْرُهَــــــــــا إِنْ تَنْظُــــــــــرِ

فَـــــوْقَ الوُحُـــــوْلِ مِثْـــــلَ خَـــــيْرِ الخَـــــيِّرِ

يَظَـــــلُّ طَـــــاهِرًا بِمَـــــا لَمْ يَطْهُـــــرِ

كَأَنَّهَـــــا[3] فِكْـــــرَةُ مُصْـــــلِحٍ سَـــــرِيْ

---

(1) سقط هذان الشطران من كتاب أغاريد الرافعي.

(2) في أغاريد الرافعي: لَمْ تَعْذُرِ.

(3) في أغاريد الرافعي: كَأَنَّمَا.
~~~

تَخُـــــــــوْضُ فِيْ أَدْنَاسِ كُـــــــــلِّ مَعْشَـــــــــرِ

فِيْ طُــــــرُقِ الجَهْــــــلِ وَوَحْــــــلِ العِــــــبَرِ[1]

وَتَنْثَـــــنِيْ وَمَــــا بِهَــــا[2] مِــــنْ أَثَــــرِ

~~~

إِرَادَةٌ مِـــــــــنْ رَبِّهَـــــــــا الْمُـــــــــدَبِّرِ

مَــــا غَيَّرَهَــــا فِيْ الكَــــوْنِ مِــــنْ مُغَــــيِّرِ

وَمَــــا اعْــــتَرَى الكَــــوْنَ وَمَــــا[3] سَــــيَعْتَرِيْ

وَكُــــلُّ (فِعْــــلٍ) فَهُــــوَ مِــــنْ ذَا (الْمَصْــــدَرِ)

---

(1) في أغاريد الرافعي: الغِيَرِ.

(2) في أغاريد الرافعي: لَهَا.

(3) سقطت الواو قبل (ما) في أغاريد الرافعي.
~~~

في طه حسين

[شعبان 1344 – آذار 1926]

قال الرافعي[1]: حَضَرَتْنِيْ الآنَ أُرْجُوْزَةٌ صَغِيْرَةٌ أُحِبُّ أَنْ أُهْدِيَهَا لِصَاحِبِنَا الدُّكْتُوْرِ طَهَ حُسَيْنٍ لِيَتَقَاصَرَ قَلِيْلاً، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ يَبْلُغَ الجِبَالَ طُوْلاً، وَمَا هُوَ إِلَّا كَمَا هُوَ:

يَا عَجَبَـــــــاً طَـــــــهَ أَدِيْـــــــبُ العَصْـــــــرِ
أَصْـــــــبَحَ مِثْـــــــلَ انْجِلْـــــــتَرَا فِيْ مِصْـــــــرِ
أُسْـــــــطُوْلُهُ يَرَاعَـــــــةٌ فِيْ شِـــــــبْرِ
وَمُلْكُـــــــهُ مِـــــــتْرٌ فِيْ نِصْـــــــفِ مِـــــــتْرِ
فِيْ مَجْلِـــــــسٍ لِلـــــــدَّرْسِ بَـــــــلْ لِلْهَـــــــتْرِ[2]
يَجْلِـــــــسُ فِيْـــــــهِ مِثْـــــــلَ ضَـــــــبِّ الجُحْـــــــرِ
مُعَقَّـــــــدَاً مِـــــــنْ ذَنَـــــــبٍ لِظَهْـــــــرِ
تَعْقِيْـــــــدَ مَـــــــنْ قَـــــــدْ خُلِقُـــــــوا لِلْمَكْـــــــرِ
وَهَبَطُـــــــوا الـــــــدُّنْيَا لِأَمْـــــــرٍ نُكْـــــــرِ
يَحْتَـــــــكُّ فِيْ كُـــــــلِّ أَدِيْـــــــبٍ حُـــــــرِّ
يُخِيْفُـــــــهُ بِالشَّـــــــتْمِ أَوْ بِالشَّـــــــرِّ

---

(1) هي في تحت راية القرآن (ص 126 - 127).

(2) الهَتْرُ: السَّقْطُ وَالخَطَأُ فِيْ الكَلَامِ.

كَـــــــأَنَّ فِيْـــــــهِ رُوْحَ حَــــــــرْفِ جَـــــــرِّ

يَا وَيْحَـــــــــهُ مِـــــــــنْ وَاهِـــــــمٍ مُغْـــــــــتَرِّ

يُفَـــــــزِّعُ اللَّيْــــــــثَ بِوَجْـــــــهِ الهِــــــرِّ

~~~

إِسْـــــــفَنْجَةٌ جَـــــــاءَتْ لِشُـــــــرْبِ البَحْـــــــرِ

وَشَمْعَـــــــــةٌ ضَـــــــاءَتْ لِشَـــــــمْسِ الظُّهْـــــــرِ

وَالشَّـــــــيْخُ طَـــــــهَ فِيْ انْتِقَـــــــادِ الشِّـــــــعْرِ

ثَلَاثَـــــــــةٌ مُضْـــــــــــحِكَةٌ لَعَمْــــــــــرِيْ
~~~

القسم الخامس:

الأناشيد

نشيد الراية العثمانية الدستورية

[مجلة الجامعة، 19 ذي القعدة 1327 - 1 كانون الأول 1909][1]

فَارَقْنَا الوَطَنَ وَهُوَ عَبْدٌ وَعُدْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ حُرٌّ.

وَ(الجَامِعَةُ) تَشْكُرُ لِجَنَابِ صَدِيْقِهَا الشَّاعِرِ البَلِيْغِ الطَّائِرِ الصِّيْتِ مُصْطَفَى أَفَنْدَي صَادِقٍ الرَّافِعِيّ نَاظِمِ هَذِهِ القَصِيْدَةِ النَّفِيْسَةِ لِأَنَّهُ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهَا فَمَكَّنَهَا مِنْ أَنْ تَجْعَلَ فِيْ أَوَّلِ جُزْءٍ مِنْهَا يَظْهَرُ فِيْ الشَّرْقِ هَذَا النَّشِيْدَ الجَمِيْلَ، تَحِيَّتَهَا إِلَى الحُكُوْمَةِ الدُّسْتُوْرِيَّةِ العُثْمَانِيَّةِ وَرَايَتِهَا الَّتِيْ هِيَ مَجِيْدَةٌ مُنْذُ طُفُوْلِيَّتِهَا. وَقَدْ أَبْدَعَ النَّاظِمُ فِيْ هَذِهِ القَصِيْدَةِ وَأَتَى فِيْ البَيْتِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْهَا بِمَعْنَىً مُبْتَكَرٍ جَمِيْلٍ سَيَبْقَى لَاصِقاً بِالرَّايَةِ العُثْمَانِيَّةِ الدُّسْتُوْرِيَّةِ وَيَجْرِيْ مَجْرَى الأَمْثَالِ لَدَى الوَاقِفِيْنَ عَلَيْهِ. رَفَعَ اللهُ رَايَةَ الرَّجَاءِ وَعَفَا عَمَّا مَضَى. **[على الخفيف]**

رَفَــعَ الصُّــبْحُ رَايَــةَ الشَّــفَقِ الأَحْمَــرِ   مُسْــتَفْتِحاً لِجَــيْشِ الضِّــيَاءِ

~~~

هَــلْ أَرَى فِيْ السَّــمَاءِ أَذْيَالَ حَــوْرَا   ءٍ تَخَطَّــى بِهَــا عَلَــى اسْــتِحْيَاءِ

أَمْ أَرَى فِيْ السَّــمَا حَدِيْقَــةَ وَرْدٍ   كَشَــفَتْهَا الجِنَــانُ لِلشُّــعَرَاءِ

~~~

[1] لم ينشر من قبل في كتاب.

رَايَةٌ فِيْ صِبَاغِهَا ذَابَتِ الشَّمْسُ   فَلَاحَتْ كَالبُقْعَةِ الحَمْرَاءِ

فِيْ ذَرَى الجَوِّ حَيْثُ لَا تَتَرَامَى   هِمَّةُ الرِّيْحِ فِيْ ذُيُوْلِ الفَضَاءِ

حَيْثُ لَا تَنْتَهِيْ الْمَطَامِعُ إِلَّا   عَبَثَاً مِنْ وَسَاوِسِ الجُهَلَاءِ

مَنْ رَآهَا يَخَالُ رَايَةَ عُثْمَا   نَ أُقِيْمَتْ عَلَى بُرُوْجِ السَّمَاءِ

~~~

رَايَةُ الدَّوْلَةِ الَّتِيْ لِحِمَاهَا   مَهْرَبُ الشَّمْسِ مِنْ يَدِ الظَّلْمَاءِ

رَايَةُ الأُمَّةِ الَّتِيْ مِنْ حَلَاهَا   عِقْدُ دَمْعِ الْمُلُوْكِ وَالأُمَرَاءِ

إِنَّهُ لُؤْلُؤٌ يُغَاصُ عَلَيْهِ   تَحْتَ مَوْجِ الحَدِيْدِ بَحْرُ الدِّمَاءِ

~~~

رَايَةٌ حَيْثُمَا تُهَزُّ يُحَمُّ الْمَوْ   تُ رُعْبَاً لِغَضْبَةِ الخُلَفَاءِ

غَضْبَةٌ تَزْأَرُ البَرَاكِيْنُ مِنْهَا   وَتَمُوْرُ الجِبَالُ فِيْ الهَيْجَاءِ

~~~

غَضْبَةُ الرَّايَةِ الَّتِيْ لِعِدَاهَا   ظِلُّهَا عَابِسٌ عُبُوْسَ الفَنَاءِ

وَأَرَاهَا عَلَى القِنَاعِ لِسَانَ النَّا   رِ مُسْتَعْجِلَاً رَدَى الأَعْدَاءِ

~~~

رَايَةُ الحَرْبِ رَايَةُ السِّلْمِ طُرَّاً   رَايَةُ النَّصْرِ رَايَةُ السُّعَدَاءِ

لَيْسَ رَسْمُ الهِلَالِ ذَاكَ وَلَكِنْ   قَلَمُ النُّوْرِ خَطَّ رَاءَ الرَّجَاءِ

~~~
~~~

يَا جَنَـاحَ السَّـلَامِ رَفْـرِفْ عَلَـى الخَلْـقِ فَمَـــــا فِيْ سِـــــوَاكَ رَوْحُ الهَنَـــــاءِ
إِنَّ هَـــذَا الهَـــوَاءَ مَهْـــبَطُ جِبْرِيْـــلَ وَذِيْ الأَرْضُ مَنْشَـــــأُ الأَنْبِيَـــــاءِ

النشيد الوطني

[مجلة البيان، العدد: 58، 19 ربيع الأول 1329 - 30 تشرين الثاني 1920][1]

[على الرجز]

قالت مجلة البيان: الأُسْتَاذُ السَّيِّدُ مُصْطَفَى صَادِقٍ الرَّافِعِيُّ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُنَبَّهَ عَلَيْهِ أَوْ يُدَلَّ عَلَى مَكَانَتِهِ فِيْ الأَدَبِ العَرَبِيّ، وَبِخَاصَّةٍ فِيْ أُسْلُوْبِهِ الْمُنْفَرِدِ الَّذِيْ يَكَادُ يَكُوْنُ صُوْرَةً مِنْ نَفْسِهِ؛ فَهُوَ فِيْ أَخْلَاقِهِ أُسْلُوْبٌ وَحْدَهُ، مِنْ أَيْنَ جِئْتَهُ رَأَيْتَهُ مُنْدَمِجاً مُتَمَاسِكاً جَزلاً إِلَى الجِدِّ وَالدِّقَّةِ فِيْ كُلِّ شَيْءٍ يُعَالِجُهُ، حَتَّى لَيُسْرِفَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ يَكْتَفِيْ غَيْرُهُ بِأَيْسَرِ النَّصَبِ وَالتَّعَبِ. وَلِذَا فَهُوَ قَلَّمَا يُخْرِجُ عَمَلاً مِنْ أَعْمَالِهِ إِلَّا ظَهَرَ كُلُّ ذَلِكَ فِيْهِ وَاضِحاً صَرِيْحاً، وَجَاءَ بِهِ عَلَى الغَايَةِ.

وَقَدْ وُفِّقَ تَوْفِيْقَاً تَامَّاً فِيْ النَّشِيْدِ الْمِصْرِيّ الَّذِيْ نَحْنُ بِصَدَدِهِ، وَالَّذِيْ قَدَّمَهُ إِلَى لَجْنَةِ الأَغَانِيْ ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِهِ وَأَذَاعَهُ وَقَدَّمَتْهُ إِلَى الأُمَّةِ جَرِيْدَةُ الأَخْبَارِ الغَرَّاءُ، فَكَانَ لَهُ دَوِيٌّ بَعِيْدٌ، وَكُتِبَ عَنْهُ مَا لَمْ يُكْتَبْ عَنْ كُتُبٍ مِنَ الكُتُبِ؛ ثُمَّ طُبِعَ عَلَى حِدَةٍ فِيْ كُرَّاسَةٍ طَارَتْ نُسَخُهَا أُلُوْفَاً أُلُوْفاً.

وَلَمْ يَكَدْ يَمْضِيْ عَلَى هَذِهِ الطَّبْعَةِ شَهْرَانِ حَتَّى بَدَأَتِ الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِيْ ظَهَرَتْ هَذَا الشَّهْرَ.

---

(1) هو في أغاريد الرافعي (ص 68 - 69) والنص منه.

وَلَقَدْ ظَفَرَ هَذَا النَّشِيْدُ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ بِعِدَّةِ مُلَحِّنِيْنَ تَنَاوَلُوْهُ وَأَذَاعُوْهُ، ثُمَّ كَانَ لَحْنُهُ الأَخِيْرُ -الَّذِيْ يُعَدُّ وَحْدَهُ تَوْفِيْقَاً نَادِرَاً- هَذَا اللَّحْنَ الَّذِيْ وَضَعَهُ نَابِغَةُ الْمُوْسِيْقَى الشَّرْقِيَّةِ الأُسْتَاذُ مَنْصُوْرُ عَوَضٍ رَئِيْسُ اللَّجْنَةِ الفَنِّيَّةِ لِنَادِيْ الْمُوْسِيْقَى الشَّرْقِيِّ.

وَهَذِهِ الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ ذَاتُ فَاتِحَةٍ تَتْلُوْهَا كَلِمَةٌ، ثُمَّ مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الأُوْلَى، ثُمَّ مَقَالَةٌ لِرَصِيْفِنَا الأُسْتَاذِ أَمِيْنِ الرَّافِعِيِّ بِكْ، ثُمَّ النَّشِيْدُ، ثُمَّ مَقَالَةٌ لِلْأُسْتَاذِ الأَدِيْبِ حَافِظِ عَامِرٍ الْمُحَامِيْ، ثُمَّ مَقَالَةٌ لِلْأُسْتَاذِ الفَاضِلِ مُحَمَّدِ صَادِقٍ عَنْبَرٍ، ثُمَّ كَلِمَةٌ بِعُنْوَانِ: خَبَرُ لَجْنَةِ الأَغَانِيْ، وَهُوَ فَصْلٌ مُسْهِبٌ لَذَّاعٌ، يَجْدُرُ بِالأَدِيْبِ أَنْ يَتَأَمَّلَهُ وَيُعْطِيَهُ حَقَّهُ مِنَ النَّظَرِ، ثُمَّ فَصْلٌ آخَرُ فِيْ نَقْدِ نَشِيْدِ أَمِيْرِ الشُّعَرَاءِ أَحْمَدَ شَوْقِيِّ بِكْ، الَّذِيْ اخْتَارَتْهُ اللَّجْنَةُ وَنَشَرْنَاهُ فِيْ العَدَدِ الْمَاضِيْ مِنَ (البَيَانِ).

وَهَذَا النَّقْدُ حَادٌّ جِدَّاً، وَلَا يَتَّسِعُ الْمَقَامُ الآنَ لِتَفْصِيْلِ الكَلَامِ فِيْ هَذَا النَّقْدِ، وَلَعَلَّنَا نُفَصِّلُهُ وَنَكْتُبُ رَأْيَنَا فِيْ الأَنَاشِيْدِ الَّتِيْ ظَهَرَتْ، وَنَخْرُجُ بِذَلِكَ عَمَّا الْتَزَمْنَاهُ مِمَّا لَمْ يُرْضِ جَانِبَاً مِنَ القُرَّاءِ لَا يَزَالُوْنَ يَتَطَلَّعُوْنَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَّا. غَيْرَ أَنَّ الرَّافِعِيَّ لَمْ يَتْرُكْ لِشَوْقِي بِكْ شَيْئَاً مِنْ نَشِيْدِهِ، وَكَانَ يَجْمُلُ بِهِ غَيْرُ هَذِهِ الخُطَّةِ، وَلَعَلَّهُ كَانَ يَعْدِلُ بَعْدَ ذَلِكَ لَوْلَا لَجْنَةُ تَرْقِيَةِ الأَغَانِيْ وَسُلُوْكُهَا مَعَهُ.

وَهَذَا هُوَ نَشِيْدُ الرَّافِعِيِّ.

إِلَى العُـــلَا إِلَى العُـــلَا بَـــنِيْ الـــوَطَنْ إِلَى العُـــــلَا كُـــــلَّ فَتَـــــاةٍ وَفَـــــتَى

إِلَى العُـــلَا فِيْ كُـــلِّ جِيْـــلٍ وَزَمَـــنْ فَلَـــنْ يَمُـــوْتَ مَجْـــدُنَا كَـــلَّا وَلَـــنْ

~~~
~~~

إِلَى الأَمَامِ لِلْأَمَامْ   يَا مِصْرُ وَالهِمَّةُ تَدْفَعُ الهُمَامْ

لِمِصْرِنَا عَهْدٌ لِمِصْرِنَا ذِمَامْ   لِمِصْرِنَا عَلَى بَنِيْ الدُّنْيَا الْمِنَنْ

~~~

مِصْرُ العُلُوْمِ وَالفُنُوْنِ مِنْ قِدَمْ   أَيَّامَ لَمْ تَثْبُتْ لِدَوْلَةٍ قَدَمْ

أَيَّامَ عِلْمُ غَيْرِنَا دَمْعٌ وَدَمْ   وَمَا سِوَى تَوَحُّشِ العَالَمِ فَنْ

~~~

رَسَا أَبُوْ الهَوْلِ رَكِيْنَاً وَرَبَضْ   رَبْضَةَ جَبَّارٍ عَلَى الأَرْضِ قَبَضْ

فَالهَوْلُ كُلُّ الهَوْلِ مِنْهُ لَوْ نَبَضْ   فَهُمَّ فَاسْتَعْدَى فَزَلْزَلَ الزَّمَنْ

~~~

إِلَى الأَمَامِ لِلْأَمَامْ   يَا مِصْرُ وَالهِمَّةُ تَدْفَعُ الهُمَامْ

لِمِصْرِنَا عَهْدٌ لِمِصْرِنَا ذِمَامْ   لِمِصْرِنَا عَلَى بَنِيْ الدُّنْيَا الْمِنَنْ

~~~

بِعَزْمِ مِصْرَ غَالَبَ الدَّهْرَ الهَرَمْ   وَشَمْسُ مِصْرٍ تُضْرِمُ الذَّكَا ضَرَمْ

وَنِيْلُ[1] مِصْرٍ يَمْلَأُ النَّفْسَ كَرَمْ   وَخِصْبُ مِصْرَ يُنْبِتُ الخُلْقَ الحَسَنْ

~~~

---

(1) في أغاريد الرافعي: وليلُ مصر.
~~~

وَالصَّــــبْرُ فِيْ الْمِصْــــرِيِّ صَـــبْرٌ وَجَلَـــدْ   خَلَـــتْ خُصُـــوْمُ أَرْضِــهِ وَهُـــوَ خَلَـــدْ
وَمَـــا كَمِصْــــرَ فِيْ الـــبِلَادِ مِــــنْ بَلَـــدْ   ثَـــرَاهُ[1] لِلطَّـــاغِيْ وَلِلْبَـــاغِيْ كَفَـــنْ

~~~

[إِلَى الأَمَــــــامِ لِلْأَمَــــــامِ لِلْأَمَــــــامْ   يَا مِصْـــــرُ وَالهِمَّـــــةُ تَــــدْفَعُ الهُمَـــــامْ
لِمِصْـــــرِنَا عَهْــــدٌ لِمِصْــــرِنَا ذِمَـــــامْ   لِمِصْـــرِنَا عَلَـــى بَـــنِيْ الـــدُّنْيَا الْمِـــنَنْ][2]

~~~

هَيَّـــــا إِذَنْ هَيَّـــــا إِذَنْ إِلَى العُـــــلَا   يَا مِصْـــــرُ لَا نَفْسِـــــيْ وَلَا مَـــــالِيْ وَلَا
أَهْلِــــيْ وَلَكِــــنْ أَنْــــتِ أَنْــــتِ أَوَّلَا   وَأَنْــــتِ أَنْــــتِ كُــــلُّ سِـــرِّيْ وَالعَلَـــنْ

~~~

يَا مِصْــــرُ كُلُّنَــــا لِمَجْــــدِكِ الفِـــــدَا   نَقْتَلِــــعُ الأَنْجُــــمَ لَــــوْ كَانَــــتْ عِــــدَى
فَلَــــنْ تُرَاعِــــيْ[3] يَا بِــــلَادِيْ أَبَـــــدَا   لَا عَـــاشَ مَـــنْ بِرُوْحِـــهِ عَلَيْـــكِ ضَـــنْ

~~~

إِلَى الأَمَــــــامِ لِلْأَمَــــــامِ لِلْأَمَــــــامْ   يَا مِصْـــــرُ وَالهِمَّـــــةُ تَــــدْفَعُ الهُمَـــــامْ
لِمِصْـــــرِنَا عَهْــــدٌ لِمِصْــــرِنَا ذِمَـــــامْ   لِمِصْـــرِنَا عَلَـــى بَـــنِيْ الـــدُّنْيَا الْمِـــنَنْ

~~~

(1) في أغاريد الرافعي: تلأاه؛ وفي مجلة البيان: ثراء؛ والتصحيح من كتاب النشيد المصري.

(2) سقطت هذه اللازمة من أغاريد الرافعي.

(3) في مجلة البيان: نراعي.
~~~

لَا الضَّـعْفُ يُـوْهِيْ عَزْمَنَـا وَلَا الضَّـجَرْ — خَلْـقٌ مِـنَ الحَدِيْـدِ أَوْ مِـنَ الحَجَـرْ

هَيْهَـاتَ مَـا الأَطْـوَادُ فِيْ قَيْـدٍ تُجَـرْ — فَمَـنْ إِذَنْ يُقَيِّـدُ الأَحْـرَارَ مَـنْ

~~~

حُرِّيَّـةُ الـبِلَادِ عِـزَّةُ الأُمَـمْ — إِنْ لَمْ تَنَلْهَـا أُمَّـةٌ عَاشَـتْ رِمَـمْ

فِـدَا النُّفُـوْسِ حُـرَّةً فِـدَا الـذِّمَمْ — فِـدَا بِـلَادِيْ أَنَا رُوْحَـاً وَبَـدَنْ

~~~

إِلَى الأَمَـامِ لِلْأَمَـامِ لِلْأَمَـامْ — يَا مِصْـرُ وَالهِمَّـةُ تَـدْفَعُ الهُمَـامْ

لِمِصْـرِنَا عَهْـدٌ لِمِصْـرِنَا ذِمَـامْ — لِمِصْـرِنَا عَلَـى بَـنِيْ الـدُّنْيَا الْمِـنَنْ

~~~

إِيْمَانُنَـا كَنِيْسَـةً وَمَسْـجِدَا — دِيْـنُ اتِّحَـادٍ لِلْـبِلَادِ وَهُـدَى

وَكُـلُّ مَـا فِيْ العُمْـرِ يَوْمَـاً وَغَـدَا — وَكُـلُّ مَـا نَمْلِـكُ لِلْمَجْـدِ ثَمَـنْ

~~~

فَلْنُحْـيِ فِيْ أَعْمَالِنَـا[1] أَجْـدَادَنَا — وَلْنُحْـيِ فِيْ آمَالِنَـا أَوْلَادَنَا

وَلْنَحْـيَ مِصْـرِيِّيْنَ مَهْمَـا اعْتَـادَنَا — وَلْنَحْـيَ مِصْـرِيِّيْنَ وَلْيَحْـيَ الـوَطَنْ

---

(1) في أغاريد الرافعي: أعماقنا.

نشيد زهر الجنة

[صفر 1329 – تشرين الأول 1920]

[زجل]

قال الرافعي في مقدمة كتابه "النشيد المصري الوطني"[1]: كَانَ مِنْ غَرَائِبِ الاتِّفَاقِ أَنَّهُ لَمَّا اجْتَمَعَتِ النِّيَّةُ عَلَى طَبْعِ هَذِهِ الأَوْرَاقِ، رَأَى صَاحِبُ النَّشِيْدِ فِيْمَا يَرَى النَّائِمُ أَنَّهُ يَضَعُ نَشِيْدَاً وَطَنِيَّاً آخَرَ بِاللُّغَةِ العَامِّيَّةِ مِنَ الزَّجَلِ، فَنَظَمَ مَطْلَعَهُ فِيْ نَوْمِهِ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَحْفَظُهُ وَيَتْلُوْهُ.

وَقَدْ رَأَيْنَا فِيْ هَذَا الْمَطْلَعِ الآتِيْ مِنْ لِسَانِ الغَيْبِ أَحْسَنَ فَاتِحَةٍ لِنَشِيْدِ مِصْرَ الخَالِدِ مَعَ الآثَارِ، وَأَجْمَلَ بُشْرَى لِمُسْتَقْبَلِ مِصْرَ إِذْ تَكُوْنُ عَرُوْسَ الأَمْصَارِ.

وَهَذَا هُوَ وَحْيُ الغَيْبِ لَمْ نَحْذِفْ مِنْهُ حَرْفَاً:

أَدَبْ بَــــــــــلَادِيْ بِيتْهَنَّـــــــــــا وَمَصْـــــــرْ العَرَوْسَـــــــهْ بِتِتْحَنَّـــــا

خُــــــذُوا نَشِـــــيْدْ زَهْـــــرْ الجَنَّــــــهْ زِفُّـــــوا عَـــــرِيْسْ الإِسْـــــــتِقْلَالْ

---

(1) النشيد المصري الوطني (ص 4).

نشيد سعد باشا زغلول

[مجلة الحديقة، 3 جمادى الأولى 1340 – 1 كانون الثاني 1922][1]

[على الرمل]

اِسْـــــــلَمِيْ يَا مِصْــــــــرُ إِنَّــــــــنِيْ الفِــــــدَا
ذِيْ يَــــــدِيْ إِنْ مَــــــدَّتِ الـــــدُّنْيَا يَــــــدَا
أَبَــــــدَاً لَــــــنْ تَسْــــــتَكِيْنِيْ أَبَــــــدَا
إِنَّــــنِيْ أَرْجُـــــوْ مَــــعَ اليَــــوْمِ غَــــدَا
وَمَعِــــــيْ قَلْـــــبِيْ وَعَزْمِــــيْ لِلْجِهَــــــادْ
وَلِقَلْـــــبِيْ أَنْـــــتِ بَعْـــــدَ الـــدِّيْنِ دِيْـــنْ
لَـــــكِ يَا مِصْـــــرُ السَّـــــلَامَهْ وَسَــــــــــلَامَاً يَا بِــــــــــلَادِيْ
إِنْ رَمَـــــى الـــــدَّهْرُ سِــــهَامَهْ فَاتَّقِيْهَـــــــــــا بِفُــــــــــؤَادِيْ
وَاسْــــــــــلَمِيْ فِيْ كُــــــــــلِّ حِــــــــــيْنْ

~~~

أَنَا مِصْــــــرِيٌّ بَنَــــــانِيْ مَــــــنْ بَــــــنَى
هَــــرَمَ الــــدَّهْرِ الَّــــذِيْ أَعْيَــــا الفَنَــــا
وَقْفَــــــةُ الأَهْــــــرَامِ فِيْمَــــــا بَيْنَنَــــــا

(1) هو أغاريد الرافعي (ص 70 – 71).
~~~

لِصُـــرُوْفِ الـــدَّهْرِ وَقْفَـــتِيْ أَنَا

فِيْ دِفَـــاعِيْ وَجِهَـــادِيْ لِلْـــبِلَادْ

لَا أَمِيْـــلُ لَا أَمَـــلُّ لَا أَلِـــيْنْ

لَـــكِ يَا مِصْـــرُ السَّـــلَامَهْ   وَسَـــلَامَاً يَا بِـــلَادِيْ

إِنْ رَمَـــى الـــدَّهْرُ سِـــهَامَهْ   فَاتَّقِيْهَـــا بِفُـــؤَادِيْ

وَاسْـــلَمِيْ فِيْ كُـــلِّ حِـــيْنْ

~~~

وَيْـــكَ يَا مَـــنْ رَامَ تَقْيِيْـــدَ الفَلَـــكْ

أَيُّ نَجْـــمٍ فِيْ السَّـــمَا يَخْضَـــعُ لَـــكْ؟

وَطَـــنُ الحُـــرِّ سَمَـــاً لَا تُمْتَلَـــكْ

وَالفَـــتَى الحُـــرُّ بِأُفْقِـــهِ مَلَـــكْ

لَا عَـــدَا يَا أَرْضَ مِصْـــرٍ بِـــكِ عَـــادْ

إِنَّنَـــا دُوْنَ حِمَـــاكِ أَجْمَعِـــيْنْ

لَـــكِ يَا مِصْـــرُ السَّـــلَامَهْ   وَسَـــلَامَاً يَا بِـــلَادِيْ

إِنْ رَمَـــى الـــدَّهْرُ سِـــهَامَهْ   فَاتَّقِيْهَـــا بِفُـــؤَادِيْ

وَاسْـــلَمِيْ فِيْ كُـــلِّ حِـــيْنْ

~~~

لِلْعُـــلَا أَبْنَـــاءَ مِصْـــرٍ لِلْعُـــلَا

وَبِمِصْـــرٍ شَـــرِّفُوا الْمُسْـــتَقْبَلَا

وَفِـــــــدَىً لِمِصْـــــــرِنَا الـــــــدُّنْيَا فَـــــــلَا

تَضَــــــــــــــعُوا الأَوْطَــــــــــــــانَ إِلَّا أَوَّلَا

جَــــــانِبِيْ الأَيْسَـــــــرُ قَلْبُـــــــهُ الفُــــــؤَادْ

وَبِـــــــلَادِيْ هِـــــــيَ لِيْ قَلْـــــــبِيْ اليَمِـــــــيْنْ

لَـــــكِ يَا مِصْـــــرُ السَّـــــلَامَهْ وَسَـــــــــلَامَاً يَا بِــــــــــلَادِيْ

إِنْ رَمَـــــى الـــــدَّهْرُ سِـــــهَامَهْ فَاتَّقِيْهَــــــــــا بِفُــــــــــؤَادِيْ

وَاسْـــــــــــلَمِيْ فِيْ كُـــــــــــلِّ حِـــــــــــيْنْ

نشيد الربيع

[جريدة الأهرام، 27 رجب 1341 - 15 آذار 1923][1]

[على الرمل]

نَزَلَـــــتْ إِلَى ثَـــــرَى الأَرْضِ سَمَــــا   صَـــنَعَتْ فِيْـــهِ كَوَاكِـــبَ الزُّهُـــوْرْ

مَلَأَتْهَـــــا لِلْجَمَـــــالِ أَنْجُمَـــــا   فَامْلَئِيْهَـــــا يَا حَسَـــــنَاتِهَا بُـــــدُوْرْ

~~~

... وَمِـــنَ الجَنَّـــةِ طَـــاوُوْسٌ أَتَـــى   نَافِضَـــــاً أَلْوَانَـــــهُ فِيْ ذَا الرَّبِيْـــــعْ

مُهْـــــدِياً كُـــــلَّ فَتَـــاةٍ وَفَـــتَى   نَفَـــسَ الجَنَّـــــةِ فِيْ نَارِ الضُّـــــلُوْعْ

~~~

غَـــرَّدَتْ طَـــيْرُ الـــرُّبَى فَغَـــرِّدِيْ   فِيْ فُـــؤَادِيْ يَا عَوَاطِـــفَ الشَّـــبَابْ

جَـــدِّدِي كَـــالرَّوْضِ عُمْـــرِيْ جَـــدِّدِيْ   وَالْبَسِـــيْ فِيْ الـــنَّفْسِ أَلْـــوَانَ السَّـــحَابْ

~~~

أَبْيَضَـــــاً فِيْ أَحْمَـــــرٍ فِيْ أَصْـــــفَرِ   مِثْلَمَـــــا تَلْـــبَسُ أَغْصَـــانُ الزَّهَـــرْ

أَنَا كَالـــــدُّنْيَا رَبِيْــــعٌ فَـــــانْظُرِيْ   قَلْبُهَـــــا شَمْـــسٌ وَفِيْ قَلْـــبِيْ (قَمَـــرْ)

~~~

(1) هو أغاريد الرافعي (ص 98 - 99).

وَشُـــعَاعُ الحُـــــبِّ مَـــالِئٌ دَمِــــيْ كَشُـــعَاعِ الشَّـــمْسِ يَمْـــلَأُ النَّهَـــارْ
وَالرَّبِيْــــــعُ نَارُ حُسْــــــنٍ مُضْــــرَمِ طَلَعَـــتْ أَزْهَـــارُهُ مِثْـــلَ الشَّـــرَارْ

~~~

مِــنْ خُــدُوْدِ الــوَرْدِ مِــنْ ثَغْــرِ الزَّهَــرْ قُـــبُلَاتٌ فِيْ تَحَــــايَا فِيْ ابْتِسَــــامْ
مِــنْ نَسِــيْمِ اللَّيْــلِ مِــنْ بَــرْدِ السَّــحَرْ عَـــادَتِ الأَيَّامُ بَـــــرْدَاً وَسَــــلَامْ

~~~

دَاوِ آلَامَ الحَيَــــــــاةِ بِالرِّضَــــــا وَاسْـــأَلِ الطِّـــبَّ نَسِـــيْمَهَا العَلِيْـــلْ
وَدَوِاهَـــــا فِيْ زُجَاجَــــةِ الفَضَـــــا أُفُـــقٌ طَلْـــقٌ وَمَنْظَـــرٌ جَمِيْـــلْ

نشيد ندى الورد

[جريدة الأهرام، 17 شعبان 1341 – 3 نيسان 1923][1]

[على الهزج]

نَـــدَى الــــوَرْدِ عَلَــــى فُلِّــــكْ كَسَــــــفْتِ الـــــوَرْدَ وَالفُـــــلَّا
وَمِـــــنْ غُصْــــنِكِ مِـــنْ ظِلِّـــكْ كَسَــــــفْتِ الغُصْــــنَ وَالظِّـــــلَّا
فَمَــــــا أَحْــــــلَاكِ فِيْ دَلِّـــــكْ وَمَـــــنْ عَلَّمَـــــكِ الـــــدَّلَّا؟
وَكُـــــلُّ الحُسْــــنِ فِيْ كُلِّــــكْ فَـــــرَبِّيْ يَحْفَــــظُ الكُـــــلَّا

~~~

أَلَا يَا حَبَّـــــــــةَ الحُـــــــبِّ وَيَا إِنْسَـــــــانَةَ الأُنْـــــــسِ
وَرُوْحَ القَلْـــــــبِ فِيْ القَلْـــــبِ وَمَعْــــنَى الــــنَّفْسِ فِيْ الــــنَّفْسِ
وَثَغْــــرَ اللُّؤْلُــــؤِ الرَّطْــــبِ وَلَحْــــظَ الْمَــــاسِ فِيْ الشَّــــمْسِ
يَعِــــيْشُ الحُسْــــنُ فِيْ شَــــكْلِكْ فَمَــــا أَحْلَــــى، وَمَــــا أَحْلَــــى

~~~

(1) هو أغاريد الرافعي (ص 55).

فَكُــــــوْنِيْ دَائِمَــــــاً حُسْــــــنَاً   بِأَعْمَالِــــــــكِ فِيْ النَّـــــــاسِ

وَمِــــــنْ أَخْلَاقِــــكِ الحُسْــــــنَى   أَضِــــــيْئِيْ ضَــــــوْءَ نِــــبْرَاسِ

عَلَـــــى الأَلْمَـــــاسِ مَـــــا أَثْــــنَى   كَهَــــــذَا النُّـــــوْرِ فِيْ الْمَـــــاسِ

وَمِــــنْ فَضْـــلِكِ مِـــنْ فَضْــلِكْ   أَرِيْنَــــا الْمَــــرْأَةَ الفُضْــــلَى

نشيد كن دائما لمصرك

[لم أقف على تاريخه][1]

[على المجتث]

يَا ابْـــــنِيْ وَيَا ابْــــــنَ مِصْـــــرٍ كُـــــــنْ دَائِمَــــــــاً لِمِصْــــــرِكْ

~~~

أَنْـــــتَ ابْــــنُ مِصْـــــرَ وَابْـــنِيْ وَسَـــــــــــعْدُهَا وَسَــــــــــعْدِيْ
أَبْنِيْـــــــــكَ حِــــــــيْنَ أَبْــــــنِيْ تَفِـــــــيْ لَهَــــــا بِوَعْـــــــدِيْ
أَبْنِيْـــــــكَ مِـــــــنْ ضَــــــمِيْرِيْ فَلْتُعْطِهَـــــــــــا ضَــــــــــمِيْرَكْ
وَلْتَحْــــــــــــيَ يَا صَــــــــغِيْرِيْ حَـــــــتَّى تَــــــرَى صَــــــغِيْرَكْ
جَمَــــــــــــالَ أَهْــــــــــلِ عَصْــــــــرِكْ

~~~

وَاكْــــــبَرْ وَقُـــــلْ بِـــــــلَادِيْ يَا فَرْحَـــــــــــةَ الرُّجُوْلَــــــــــــهْ
وَاكْــــــبَرْ وَقُـــــلْ أَجْـــــدَادِيْ يَا عِـــــــــــزَّةَ البُّطُوْلَـــــــــــــهْ
فَالْمَجْـــــــــدُ مِـــــنْ نَصِـــــيْبِيْ إِذَا غَـــــــــدَا نَصِــــــــــيْبَكْ
وَلْتَحْــــــــــــيَ يَا حَبِيْــــــــــبِيْ حَـــــــتَّى تَــــــرَى حَبِيْبَــــــكْ

---

(1) هو في أغاريد الرافعي (ص 53 - 54).

جَمَـــــــــــــالَ أَهْـــــــــــــلِ عَصْـــــــــــــرِكْ

~~~

أَنْــــــــتَ دَمِـــــــيْ فَصُــــــنْهُ	لِلـــــــدَّفْعِ عَـــــنْ بِـــــلَادِكْ
أَكْرِمْــــــــــــهُ لَا تَخُنْـــــــــــهُ	وَاجْعَلْـــــهُ مِـــــنْ أَمْجَـــادِكْ
يَا حَبَّـــــــــــةَ الفُـــــــــــؤَادِ	يَسْـــــــــلَمُ لِيْ فُـــــــــــؤَادَكْ
يَا زِيْنَـــــــــــــــــــةَ الأَوْلَادِ	عَسَـــــــــــــــــــى أَرَى أَوْلَادَكْ

جَمَـــــــــــــالَ أَهْـــــــــــــلِ عَصْـــــــــــــرِكْ
~~~

نشيد الشباب المحمدي[1]

[ربيع الأول 1347 - آب 1928][2]

[على الرمل]

رَبَّنَـــــا إِيَّاكَ نَـــــدْعُوْ، رَبَّنَـــــا آتِنَـــا النَّصْـــرَ الَّـــذِيْ وَعَـــدْتَنَا

إِنَّنَـــا نَبْغِـــيْ رِضَـــاكَ، إِنَّنَـــا مَـــا ارْتَضَـــيْنَا غَـــيْرَ مَـــا تَرْضَـــى لَنَـــا

أَنْفُسَـــــــاً طَـــــــاهِرَةً طُهْـــــــرَ الحَـــــــرَمْ

تَمْـــــــلَأُ[3] التَّـــــــارِيْخَ مَجْـــــــدَاً وَكَـــــــرَمْ

وَافِيَـــــــاتٍ بِالعُهُـــــــوْدِ وَالـــــــذِّمَمْ

رَاقِيَـــــــاتٍ لِلْمَعَـــــــالِيْ وَالهِمَـــــــمْ

~~~

العُـــــــلَا، إِنَّ العُـــــــلَا وَاجِبَـــــــاتُ الْمُسْـــــــلِمِ

خَـــــيْرُ عَـــــالَمٍ خَـــــلَا كَـــــانَ فِيْنَـــــا يَنْتَمِـــــيْ

~~~

(1) ويسمى: نشيد جمعية الشبان المسلمين؛ ويسمى: نشيد ربنا إياك ندعو!

(2) هو في أغاريد الرافعي (ص 72 - 73)؛ ونشره محب الدين الخطيب في مجلاته: الفتح، والزهراء؛ ونشره في مجلته مجلة الحديقة بتاريخ: [5 صفر 1349 – 1 تموز 1930].

(3) في أغاريد الرافعي: تَمْلَأُ.

لِلْعُــــــــــــــلَا، فَإِنَّنَـــــــــــــا أُمَّـــــــــــــــةُ التَّقَـــــــــــــدُّمِ

لِلْعُــــــــــــــلَا، وَهَــــــــــــا أَنَا بِحَيَـــــــــــــاتِي وَدَمِـــــــــــــيْ

~~~

يَا شَـــــبَابَ العَـــالَمِ الْمُحَمَّـــــدِيْ يَـــنْقُصُ[1] الكَــــوْنَ شَـــبَابٌ مُهْتَـــدِيْ

فَــــــأَرُوْهُ دِيْـــــنَكُمْ لِيَقْتَــــــدِيْ دِيْـــــنَ عَقْـــــلٍ، وَضَـــــمِيْرٍ، وَيَـــــدِ

يَا شَـــــــــبَابَ العَزَمَـــــــــــاتِ الْمُبْرَمَـــــــــــهْ

[يَا رِجَـــــــــالَ الْمَكْرُمَـــــــــاتِ الْمُلْهَمَـــــــــهْ][2]

عَلِّمُــــــــــوا[3] الكَــــــــوْنَ العُــــــــلَا وَالْمَكْرُمَــــــــهْ

عَرِّفُــــــــوا الكَــــــــوْنَ الهُــــــــدَى وَالْمَرْحَمَــــــــهْ

عَرِّفُــــــــوا الكَــــــــوْنَ النُّفُــــــــوْسَ الْمُسْــــــــلِمَهْ

~~~

العُــــــــــــــلَا، إِنَّ العُــــــــــــلَا وَاجِبَـــــــــــــاتُ الْمُسْـــــــــــــلِمِ

خَـــــــــيْرُ عَـــــــالَمٍ خَـــــــلَا كَـــــــانَ فِيْنَـــــــا يَنْتَمِـــــــيْ

~~~

---

(1) في أغاريد الرافعي: يَعُوْزُ.

(2) سقطت هذا الشطر من مجلة الحديقة.

(3) في مجلة الحديقة: عَرِّفُوا.
~~~

لِلْعُـــــــــــــــلَا، فَإِنَّنَـــــــــــــــا أُمَّــــــــــــــــــــةُ التَّقَــــــــــــــــدُّمِ

لِلْعُـــــــــــــــلَا، وَهَـــــــــــــــا أَنَا بِحَيَـــــــــــــــاتِيْ وَدَمِــــــــــــــــيْ

~~~

إِنَّنَــــــا الطُّهْــــــرُ الأَمَاجِيْــــــدُ الأُلَى نَزَلَــــتْ لَنَــــا السَّـــمَا مُـــذْ أُنْـــزِلَا

ذَلِـــكَ القُـــرْآنُ أَخْلَاقَـــاً عَلَـــى كَوْكَـــبِ الأَرْضِ (مُحَمَّـــدِ) العُـــلَا

لَـــــــــــيْسَ كَالْمُسْـــــــــــلِمِ فِيْ الخُلْـــــــــــقِ أَحَـــــــــــدْ

لَـــــيْسَ خُلْـــــقَ اليَـــــوْمِ بَـــــلْ خُلْـــــقُ الأَبَـــــدْ

إِنَّمَـــــــا الإِسْـــــــلَامُ فِيْ الصَّـــــــحْرَا امْتَهَـــــــدْ

لِيَجِـــــــــيْءَ كُـــــــــلُّ مُسْـــــــــلِمٍ أَسَـــــــــدْ

[وَيَعُـــــــوْدَ الـــــــدِّيْنُ لِلـــــــدُّنْيَا رَشَـــــــدْ][1]

~~~

[العُـــــــــــــلَا، إِنَّ العُـــــــــــــلَا وَاجِبَـــــــــــــاتُ الْمُسْـــــــــــــلِمِ

خَــــــيْرُ عَــــــالَمٍ خَــــــلَا كَــــــانَ فِيْنَــــــا يَنْتَمِــــــيْ

~~~

لِلْعُـــــــــــــــلَا، فَإِنَّنَـــــــــــــــا أُمَّــــــــــــــــــــةُ التَّقَــــــــــــــــدُّمِ

لِلْعُـــــــــــــــلَا، وَهَـــــــــــــــا أَنَا بِحَيَـــــــــــــــاتِيْ وَدَمِــــــــــــــــيْ][2]

---

(1) سقط هذا الشطر من مجلة الحديقة.

(2) سقطت اللازمة من أغاريد الرافعي.
~~~

~~~

فِيْ ضَـــمِيْرِيْ دَائِمَـــاً صَـــوْتُ النَّـــبِيْ آمِـــرَاً: جَاهِـــدْ، وَكَابِـــدْ، وَاتْعَـــبِ

صَـــائِحَاً: غَالِـــبْ، وَطَالِـــبْ، وَادْأَبِ صَـــارِخَاً: كُـــنْ أَبَـــدَاً حُـــرَّاً أَبِيْ

كُـــنْ سَـــوَاءً مَـــا اخْتَفَـــى وَمَـــا عَلَـــنْ

كُـــنْ قَـــوِيَّاً بِالضَّـــمِيْرِ وَالبَـــدَنْ

كُـــنْ عَزِيْـــزَاً بِالعَشِـــيْرِ وَالـــوَطَنْ

كُـــنْ عَظِيْمَـــاً فِيْ الشُّـــعُوْبِ وَالـــزَّمَنْ

[كُـــنْ كَرِيْمَـــاً فِيْ الـــدَّيَاجِيْ وَالْمِحَـــنْ](1)

~~~

[العُـــلَا، إِنَّ العُـــلَا وَاجِبَـــاتُ الْمُسْـــلِمِ

خَـــيْرُ عَـــالَمٍ خَـــلَا كَـــانَ فِيْنَـــا يَنْتَمِـــيْ

~~~

لِلْعُـــلَا، فَإِنَّنَـــا أُمَّـــةُ التَّقَـــدُّمِ

لِلْعُـــلَا، وَهَـــا أَنَا بِحَيَـــاتِيْ وَدَمِـــيْ](2)

~~~

(1) سقط هذا الشطر من مجلة الحديقة.

(2) سقطت اللازمة من أغاريد الرافعي.

رَبِّ بِالإِسْــــلَامِ قَـــــدْ هَــــدَيْتَنِيْ رَبِّ مِــــنْ نُــــوْرِكَ قَــــدْ آتَيْتَــــنِيْ

فَعَلَــــيَّ العَهْــــدُ مَــــا أَحْيَيْتَــــنِيْ أَحْــــرُسُ الكَنْــــزَ الَّــــذِيْ وَهَبْتَــــنِيْ

أَوْ أَمُــــوْتَ دُوْنَــــهُ مَــــوْتَ البَطَــــلْ

ثَابِتَــــاً أَحْيَــــا بِقَلْــــبٍ مِــــنْ جَبَــــلْ

نَــــيِّرَاً أَحْيَــــا بِــــرُوْحٍ مِــــنْ شُــــعَلْ

جَاهِــــدَاً أَحْيَــــا بِجِسْــــمٍ مِــــنْ عَمَــــلْ

[سَــــاعِيَاً بِالخَــــيْرِ مَضْــــرَبَ الْمَثَــــلْ][1]

~~~

[العُــــلَا، إِنَّ العُــــلَا وَاجِبَــــاتُ الْمُسْــــلِمِ

خَــــيْرُ عَــــالَمٍ خَــــلَا كَــــانَ فِيْنَــــا يَنْتَمِــــيْ

~~~

لِلْعُــــلَا، فَإِنَّنَــــا أُمَّــــةُ التَّقَــــدُّمِ

لِلْعُــــلَا، وَهَــــا أَنَا بِحَيَــــاتِيْ وَدَمِــــيْ][2]

---

(1) سقط هذا الشطر من مجلة الحديقة.

(2) سقطت اللازمة من أغاريد الرافعي.

نشيد المدرسة

[رجب 1351 – تشرين الثاني 1932][1]

[قال الرافعي[2]: نَاظِرُ مَدْرَسَةِ طَنْطَا الثَّانَوِيَّةِ طَلَبَ مِنِّيْ عَمَلَ نَشِيْدٍ لِلْمَدْرَسَةِ يَتَّخِذُوْنَهُ نَشِيْدَاً رَسْمِيَّاً، وَعَمِلْتُ لَهُ نَشِيْدَاً مِنْ **بَحْرٍ جَدِيْدٍ** لَيْسَ فِيْ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ. وقال محمد سعيد العريان[3]: لَمَّا هَمَّ أَنْ يَضَعَ نَشِيْدَ الطَّلَبَةِ... لَمْ يَجِدْ لَهُ نَغْمَةً تُلَائِمُهُ فِيْمَا يَعْرِفُ مِنْ بُحُوْرِ الشِّعْرِ، فَاخْتَرَعَ لَهُ هَذَا الْمَيْزَانَ الَّذِيْ يَزِنُهُ بِهِ قَارِئُهُ، وَسَمَّاهُ: طَبْلَ الحَرْبِ، وَلَكِنَّ صَاحِبَ (الْمُقَطَّمِ) أَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يُسَمِّيَهُ: البَحْرَ الْمُنْفَجِرَ، وَتَفْعِيْلَاتُهُ: فَعْلٌ فَعْلٌ فُوْ فِيْ كُلِّ شَطْرٍ، مَعْ بَعْضِ عِلَلٍ فِيْ الْمِيْزَانِ. قال مصطفى البدري[4]: وَالحَقُّ أَنَّهُ **مَجْزُوْءُ الْمُتَدَارَكِ**، وَتَفْعِيلَتُهُ: فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْ؛ وَلَيْسَ كَمَا ذَهَبَ العُرْيَانُ].

مَجْـــــــــدَاً مَجْـــــــــدَاً مَدْرَسَـــــــــتِيْ مَدْرَسَـــــــــتِيْ مَجْـــــــــدَاً مَجْـــــــــدَا

عَـــــنْ عِلْمِـــــيْ عَـــــنْ تَـــــرْبِيَتِيْ مَدْرَسَـــــــتِيْ حَمْـــــــدَاً حَمْـــــــدَا

~~~

(1) هو أغاريد الرافعي (ص 56 – 57)؛ ونشر في مجلة الحديقة بتاريخ: [5 رمضان 1351 – 1 كانون الثاني 1933].

(2) من رسائل الرافعي (ص 282).

(3) حياة الرافعي (ص 92).

(4) أغاريد الرافعي (ص 19 الحاشية).
~~~

مِنْــــكِ سَــــيَعْرِفُنِيْ زَمَــــنِيْ   فِيْ الأَبْــــرَارِ فَــــتَىً بَــــرَّا

مِنْــــكِ سَــــيَأْخُذُنِيْ وَطَــــنِيْ   فِيْ الأَحْــــرَارِ فَــــتَىً حُــــرَّا

~~~

عَهْــــدُ اللهِ لِمَدْرَسَــــتِيْ   رَجُــــلاً بَطَــــلاً أَنْ أَغْــــدُوْ

قَسَــــمَاً قَسَــــمَاً مَدْرَسَــــتِيْ   عَــــنْ ذَا العَهْــــدِ فَــــلَا أَعْــــدُوْ

~~~

أَنَا تِمْثَــــالٌ فِيْ أَدَبِيْ   لَــــكِ فِيْ النَّــــاسِ وَفِيْ عِلْمِــــيْ

فَــــرْضٌ حُبُّــــكِ مِثْــــلُ أَبِيْ   فَــــرْضٌ حُبُّــــكِ كَــــالأُمِّ

~~~

رُوْحِــــيْ مِنْــــكِ عَلَــــى زَمَــــنِ[1]   يُبْــــدِيْ مِنْهَــــا لِيْ سَــــعْدِيْ

يَا رُوْحِــــي فَــــدِّيْ وَطَــــنِيْ[2]   يَا رُوْحِــــيْ وَطَــــنِيْ فَــــدِّيْ

~~~

عَهْــــدُ اللهِ لِمَدْرَسَــــتِيْ   رَجُــــلاً بَطَــــلاً أَنْ أَغْــــدُوْ

قَسَــــمَاً قَسَــــمَاً مَدْرَسَــــتِيْ   عَــــنْ ذَا العَهْــــدِ فَــــلَا أَعْــــدُوْ

---

(1) في مجلة الحديقة: على فَلَكِ.

(2) في مجلة الحديقة: فَدِّيْ مَلِكِيْ.

نشيد بنت النيل

[شعبان 1351 - كانون الأول 1932][1]

[على المجتث]

وَادِيْنَــــــــــــــــا وَادِيْنَــــــــــــــا كَصَــــــــــــــــفْوِ النَّـــــــــــــــدَى
يَهْــــــــــــــــدِيْنَا يَهْــــــــــــــــدِيْنَا طِبَـــــــــــــاعَ الهُـــــــــــــــدَى

~~~

نُرْضِــــــــــــــيْكِ نُرْضِــــــــــــــيْكِ يَا مِصْـــــــــــــرَ الْمُـــــــــــــــنَى
نَفْــــــــــــــدِيْكِ نَفْــــــــــــــدِيْكِ أَيَا أُمَّنَـــــــــــــــــــــــــــــا

~~~

وَادِيْنَــــــــــــــــا وَادِيْنَــــــــــــــا كَصَــــــــــــــــفْوِ النَّـــــــــــــــدَى
يَهْــــــــــــــــدِيْنَا يَهْــــــــــــــــدِيْنَا طِبَـــــــــــــاعَ الهُـــــــــــــــدَى

~~~

مَــــــنْ مِثْــــــلُ بِنْــــــتِ النِّيْــــــلِ فِيْ طَبْعِهَـــــــــا الكَـــــــــــــرِيْمْ
وَصَــــــــــــــبْرِهَا الجَمِيْــــــــــــــلِ فِيْ العَمَـــــــــــلِ العَظِـــــــــــيْمِ

~~~

(1) هو في أغاريد الرافعي (ص 58 - 59).

وَادِيْنَـــــــــــا وَادِيْنَـــــــــــا كَصَــــــــــفْوِ النَّـــــــــدَى

يَهْــــــــــدِيْنَا يَهْــــــــــدِيْنَا طِبَـــــــــــاعَ الهُــــــــــدَى

~~~

يَا بِنْـــــتَ مِصْـــــرَ هَـــــاتِيْ مُعْجِــــــــزَةَ الأَهْـــــــــرَامِ

لِعِـــــــــزَّةِ الحَيَـــــــــاةِ بِالعَـــــــــزْمِ وَالإِقْـــــــــدَامِ

~~~

وَادِيْنَـــــــــــا وَادِيْنَـــــــــــا كَصَــــــــــفْوِ النَّـــــــــدَى

يَهْــــــــــدِيْنَا يَهْــــــــــدِيْنَا طِبَـــــــــــاعَ الهُــــــــــدَى

~~~

بِالعِلْـــــــــمِ وَالثَّبَـــــــــاتِ وَبِالهُــــــــــدَى وَالـــــــــدِّيْنِ

وَكُـــــــــــــــــلُّ آتٍ آتِيْ يَا رَبَّنَـــــــــا آمِـــــــــيْنِ

~~~

وَادِيْنَـــــــــــا وَادِيْنَـــــــــــا كَصَــــــــــفْوِ النَّـــــــــدَى

يَهْــــــــــدِيْنَا يَهْــــــــــدِيْنَا طِبَـــــــــــاعَ الهُــــــــــدَى

نشيد الأسد الأفغاني

[صحيفة البلاغ، 2 رجب 1352 – 20 تشرين الأول 1933]

قال محمود أبو ريه[1]: نَشَرَتْ جَرِيْدَةُ البَلَاغِ فِيْ عَدَدِهَا الصَّادِرِ فِيْ 20 أُكْتُوْبَرَ سَنَةَ 1933 مَا يَأْتِيْ:

نَشِيْدٌ مَلَكِيٌّ لِجَلَالَةِ مَلِكِ أَفْغَانِسْتَانَ

تَلَقَّى الأُسْتَاذُ النَّابِغَةُ الكَبِيْرُ مُصْطَفَى صَادِقٍ الرَّافِعِيُّ (عَلَى يَدِ البَلَاغِ) كِتَاباً مِنْ كَابُوْلَ عَاصِمَةِ أَفْغَانِسْتَانَ، يُطْلَبُ مِنْهُ فِيْهِ وَضْعَ نَشِيْدٍ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ لِجَلَالَةِ الْمَلِكِ نَادِرْ شَاهْ رَجُلِ السَّاعَةِ فِيْ تِلْكَ البِلَادِ.. وَكَذَلِكَ وَضْعُ نَشِيْدٍ وَطَنِيّ لِطَلَبَةِ الْمَدَارِسِ الأَفْغَانِيَّةِ. وَيَسُرُّنَا أَنْ نُذِيْعَ فِيْ (البَلَاغِ) نَشِيْدَ جَلَالَةِ الْمَلِكِ نَادِرْ شَاهْ، وَقَدْ وَضَعَهُ الأُسْتَاذُ الرَّافِعِيُّ مِنَ البَحْرِ الجَدِيْدِ الَّذِيْ اسْتَخْرَجَهُ وَسَمَّاهُ: قَرْعُ الحَرْبِ، وَلَمْ يَنْظِمْ فِيْهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ؛ وَهُوَ وَزْنٌ حَمَاسَيٌّ قَوِيٌّ، يَكَادُ يَشْعُرُ مَنْ يَهْتِفُ بِهِ أَنَّهُ فِيْ الْمَعْرَكَةِ لَا فِيْ الحَيَاةِ العَادِيَّةِ، وَهَذَا هُوَ النَّشِيْدُ:

يَحْيَـــــا الأَسَــــــدُ الأَفْغَــــــانِيْ مُنْتَصِــــــــــــرَاً بِسُـــــــــــيُوْفِ اللهِ
يَحْيَـــــا مَلِـــــكُ الأَوْطَـــــانِ يَحْيَـــــا مَلِكِــــــيْ نَادِرْ شَـــــاهْ

---

[1] هو في رسائل الرافعي (ص 299 الحاشية).

فِيْ يَـــــــدِهِ سَـــــــلِمَتْ يَـــــــدُهُ   سَـــــــيْفٌ يَقِـــــــظٌ لَمْ يَـــــــنَمْ

نَصْـــــــــــــرُ اللهِ يُؤَيِّـــــــــــدُهُ   وَدَمُ الشَّــــــــعْبِ الْمُعْتَـــــــــزَمْ

شَـــــــعْبِيْ مَـــــــنْ ذَا يَجْحَـــــــدُهُ   شَـــــــعْبُ العِـــــــزَّةِ وَالكَـــــــرَمِ

جَمْـــــــــرٌ بِـــــــــدَمِيْ يُوْقِـــــــــدُهُ   تَارِيْخِـــــــيْ الثَّـــــــاوِيْ بِـــــــدَمِيْ..

يَحْيَـــــــــــا الأَسَـــــــــــــدُ الأَفْغَـــــــــــانِيْ

~~~

فِيْ يَـــــــدِهِ سَـــــــلِمَتْ يَـــــــدُهُ   عَلَمِـــــــيْ، مَجْـــــــداً يَا عَلَمِـــــــيْ

عَـــــــالٍ عَـــــــالٍ مَصْـــــــعَدُهُ   عَـــــــالٍ عَـــــــالٍ فِيْ الأُمَـــــــمِ

سَـــــــامٍ سَـــــــامٍ مَقْصَـــــــدُهُ   سَـــــــامٍ سَـــــــامٍ فِيْ الهِمَـــــــمِ

عَلَمِـــــــيْ، مَـــــــنْ ذَا يَجْحَـــــــدُهُ   عَلَـــــــمٌ بِالعِـــــــزَّةِ وَالكَـــــــرَمِ

جَمْـــــــــرٌ بِـــــــــدَمِيْ يُوْقِـــــــــدُهُ   تَارِيْخِـــــــيْ الثَّـــــــاوِيْ بِـــــــدَمِيْ..

يَحْيَـــــــــــا الأَسَـــــــــــــدُ الأَفْغَـــــــــــانِيْ
~~~

النشيد القومي العربي

[مجلة الرسالة، العدد: 150، 27 صفر 1355 - 18 أيار 1936][1]

[على المتقارب]

حُمَــــاةَ الحِمَــــى يَا حُمَـــاةَ الحِمَــــى   هَلُمُّـــــوا هَلُمُّـــــوا لِمَجْـــــدِ الـــــزَّمَنْ
فَقَـــدْ صَـــرَخَتْ فِيْ العُـــرُوْقِ الـــدِّمَا   أَمُـــــوْتُ أَمُـــــوْتُ وَيَحْيَـــا الـــــوَطَنْ

~~~

لِتَـــــدْوِ السَّـــــمَاوَاتُ فِيْ رَعْــــدِهَا   لِـــــــتَرْمِ الصَّـــــــوَاعِقُ نِيْرَانَهَـــــــا
إِلَى عِـــــزَّةِ العُـــــرْبِ فِيْ مَجْـــــدِهَا   رِجَـــــــالَ الـــــــبِلَادِ وَفِتْيَانَهَـــــــا
فَـــلَا عَـــاشَ مَـــنْ لَـــيْسَ فِيْ جُنْـــدِهَا   وَلَا عَـــاشَ فِيْ العُـــرْبِ مَـــنْ خَانَهَـــا
نَمُـــــوْتُ وَنَحْيَـــــا عَلَـــــى عَهْـــــدِهَا   حَيَـــاةَ الكِـــرَامِ وَمَـــوْتَ الكِـــرَامْ

~~~

حُمَــــاةَ الحِمَــــى يَا حُمَـــاةَ الحِمَــــى   هَلُمُّـــــوا هَلُمُّـــــوا لِمَجْـــــدِ الـــــزَّمَنْ
فَقَـــدْ صَـــرَخَتْ فِيْ العُـــرُوْقِ الـــدِّمَا   أَمُـــــوْتُ أَمُـــــوْتُ وَيَحْيَـــا الـــــوَطَنْ

~~~

(1) هو في أغاريد الرافعي (ص 74 - 75).
~~~

بِـلَادِيْ احْكُمِــيْ وَامْلُكِــيْ وَاسْـعَدِيْ وَلَا عَــاشَ مَـــنْ لَمْ يَعِــشْ سَـــيِّدَا

بِحُــــرِّ دَمِــــيْ، وَبِمَــــا فِيْ يَــــدِيْ أَنَا لِــــبِلَادِيْ وَجَيْشِــــيْ فِــــدَى

أَنَا الْمَجْــــدُ وَالعِــــزُّ فَاسْــــتَمْجِدِيْ بِعِــــزَّةِ شَــــعْبِكِ طُــــوْلَ الْمَــــدَى

وَنَحْــــنُ أُسُــــوْدُ الــــوَغَى فَاشْــــهَدِيْ وُثُــــوْبَ أُسُــــوْدِكِ يَــــوْمَ الصِّــــدَامْ

~~~

حُمَــــاةَ الحِمَــــى يَا حُمَــــاةَ الحِمَــــى هَلُمُّــــوا هَلُمُّــــوا لِمَجْــــدِ الــــزَّمَنْ

فَقَــــدْ صَــــرَخَتْ فِيْ العُــــرُوْقِ الــــدِّمَا أَمُــــوْتُ أَمُــــوْتُ وَيَحْيَــــا الــــوَطَنْ

~~~

وَرِثْنَــــا سَــــوَاعِدَ بَانِيْ الهَــــرَمْ صُــــخُوْراً صُــــخُوْراً كَهَــــذَا البِنَــــا

سَــــوَاعِدُ؛ يَعْتَــــزُّ فِيْهَــــا العَلَــــمْ نُبَــــاهِيْ بِهَــــا وَتُبَــــاهِيْ بِنَــــا

وَفِيْهَــــا كِفَــــاءُ العُــــلَا وَالهِمَــــمْ وَفِيْهَــــا ضَــــمَانٌ لِنَيْــــلِ الْمُــــنَى

وَفِيْهَــــا لِكُــــلِّ عِــــدَانَا الــــنِّقَمْ وَفِيْهَــــا لِمَــــنْ سَــــالَمُوْنَا السَّــــلَامْ

~~~

حُمَــــاةَ الحِمَــــى يَا حُمَــــاةَ الحِمَــــى هَلُمُّــــوا هَلُمُّــــوا لِمَجْــــدِ الــــزَّمَنْ

فَقَــــدْ صَــــرَخَتْ فِيْ العُــــرُوْقِ الــــدِّمَا أَمُــــوْتُ أَمُــــوْتُ وَيَحْيَــــا الــــوَطَنْ
~~~

القسم السادس:

الموشحات والأزجال

موشحة: زفرات

[جريدة الحال، 3 رمضان 1347 - 13 شباط 1929][1]

[على الخفيف]

يَا عَنَـــانَ الصَّـــبْرِ وَالقَلْـــبُ جَـــوَادُ   كَيْـــفَ لَا تَقْطَـــعُ بِيْ هَـــذَا البُعَـــادْ

~~~

أَتَـــــــرَى جَـــــــدَّ بِهَـــــا لَعِـــــــبُ الهَـــــــوَى

أَمْ تَـــــرَى امْتَـــــــدَّ بِهَـــا شَـــــطُّ النَـــــوَى

أَمْ تَـــرَى لَـــيْسَ مِـــنَ الـــوِدِّ دَوَا   أَمْ تَـــرَى لَـــيْسَ عَلَـــى الأَرْضِ وِدَادْ

~~~

طَـــــــالَ لَيْلِـــــــي وَالهَـــــــوَى طَوَّلَـــــــهُ

وَأَرَى آخِـــــــــــــــــــــرَهُ أَوَّلَـــــــــــــــهُ

مَـــا لِلَيْـــلِ الحُـــبِّ صُـــبْحٌ، وَلَـــهُ   فِيْ الهَـوَى مِـنْ كُحْـلِ عَيْنَيْهَـا سَـوَادْ

~~~

يَا نُجُـــــــوْمَ اللَّيْـــــــلِ قُـــــــوْلِيْ لِلْقَمَـــــــرْ

إِنْ تَـــــــــدَلَّى، فَتَجَلَّـــــــــى فَسَـــــــــفَرْ

(1) هي في أغاريد الرافعي (ص 113 - 114).
~~~

وَجَـــرَى نَهْـــرُ الضِّـــيَاءِ فَانْحَـــدَرْ   بَقِيَـــتْ ظُلْمَـــةُ مَهْمُـــوْمِ الفُـــؤَادْ

~~~

ظُلْمَتُـــــهُ لَـــوْ صُـــبَّ فِيْهَـــا البَـــدْرُ وَالـــــ

فَجْـــــرُ، وَالصُّـــبْحُ وَنُـــوْرُ الشَّـــمْسِ بَـــلْ

فُلْـــكُ الضَّـــوْءِ، سِـــوَى ضَـــوْءِ القُبَـــلْ   مِـــنْ فَـــمٍ تَهْـــوَاهُ... ظَلَّـــتْ فِيْ ازْدِيَادْ

~~~

يَا ضَـــــــمِيْرِيْ مَـــــا أَرَى الأَمْـــــرَ لَنَـــــا

لَـــــــيْسَ فِيْ ضَـــــــمَائِرِ الحُـــــــبِّ (أَنَا)

وَالْمُـــنَى لَيْسَـــتْ تُعَـــدُّ لِيْ مُـــنَى   أَتَـــرَى العَاشِـــقَ مِـــنْ حَـــيِّ الجَمَـــادْ

~~~

دَفَعَتْـــــــــنِيْ نَحْـــــــوَ حُـــــــبٍّ كَالعَـــــــدَمْ

أَيُّ نَحْـــــوٍ وَيْحَهَـــــا مِـــــنْ غَـــــيْرِ ضَـــــمْ

كُـــــلُّ مَـــــا فِيْ نَحْوِهَـــــا لِيْ: لَا وَلَمْ   تِلْـــكَ تَنْهَـــانِيْ وَذِيْ تَنْفِـــيْ الْمُـــرَادْ

~~~

اِفْتَحِـــــــــيْ بَابَ الضِّـــــــيَا فِيْ ظُلْمَـــــــتِيْ

بِسَـــــــــلَامٍ مِنْـــــــــكِ أَوْ بِبَسْـــــــــمَةِ

وَابْعَثِـــيْ مَيِّـــتَ الرِّضَـــا فِيْ كِلْمَـــةِ   مَـــا سِـــوَى الوَعْـــدِ لَـــهُ يَـــوْمَ الْمِيْعَـــادْ

زجل في تسلية فقير

[مجلة الرسالة، العدد: 71، 4 شعبان 1353 – 12 تشرين الثاني 1934](1)

يَا لِيْــــــلْ، يَا لِيْــــــلْ، يَا لِيْـــــلْ   مَــــــا تِنْجِلِـــــــــي يَا لِيْـــــــلْ

~~~

القَلْـــــــبْ أَهُــــــــوْ رَاضِـــــــيْ   لَـــــــــكَ حَمْـــــــــــــدِيْ يَا رَبِّيْ

مِــــــنَ الهُمُــــــوْمْ فَاضِـــــــيْ   إِفْــــــــــــرَحْ لِيْ يَا قَلْــــــــــبِيْ

~~~

يَا دُوْبْ كِــــــــــــــــدَا يَا دُوْبْ   زَيِّ الحَمَـــــــــــامْ عَـــــــايِشْ

مَـــــا يِمْتِلِــــــكْ غِــــيْرْ تُــــوْبْ   طُـــــوْلْ عُمْــــرُهْ فِيْـــــهْ نَافِـــشْ

يَا لِيْـــــلْ، يَا لِيْـــــلْ، يَا لِيْـــــلْ   مَــــــا تِنْجِلِـــــــــي يَا لِيْـــــــلْ

~~~

إِنْ قُلْــــــــــتْ أَنَا فَرْحَــــــــــانْ   دَا مِــــــــــيْنْ يِكَــــــــــدِّبْنِيْ

وَأَكْــــــتَرْ مِــــــنَ السُّـــــلْطَانْ   فَرْحَــــــــانْ أَنَا بِابْـــــــــنِيْ

~~~

---

(1) هو في وحي القلم (1/99 – 100)؛ وأغاريد الرافعي (ص 85 – 86).

بِـــــــيْنِ السُّـــــــيُوْفْ يَا نَاسْ   لَمِ انْكَسَـــــــــرْ سِـــــــــيْفِيْ

وَابْـــــنِ الغِـــــنَى مِحْتَـــاسْ   وَانَا عَلَـــــــى كِيْفِـــــــيْ...

يَا لِيْـــــلْ، يَا لِيْـــــلْ، يَا لِيْـــــلْ   مَـــــا تِنْجِلِـــــيْ يَا لِيْـــــلْ

~~~

وَابـــــنِ الغِـــــنَى فِ هْمُـــــوْمْ   وَالخَـــــالِيْ خَـــــالِيْ البَـــــالْ

وَالفَقْـــــرْ مَـــــا بِيْـــــدُوْمْ   وَتْـــــدُوْمْ هُمُـــــوْمِ الْمَـــــالْ

~~~

يَا طِـــــيْرْ، يَا طِـــــيْرْ، يَا طِـــــيْرْ   الحُـــــرّ فَـــــوْقِ اللُّـــــوْمْ

وَالخِـــــيْرْ، جَمِيْـــــعِ الخِـــــيْرْ   لُقْمَـــــهْ، وَعَافْيَـــــهْ، وَنُـــــوْمْ

يَا لِيْـــــلْ، يَا لِيْـــــلْ، يَا لِيْـــــلْ   مَـــــا تِنْجِلِـــــيْ يَا لِيْـــــلْ